عِلم اللُّغة التقابلي
وتطبيقاته
على اللُّغات الشرقية

علم اللغة التقابلي
وتطبيقاته
على اللغات الشرقية

المؤلف
أ.د / الصفصافى أحمد المرسى القطوري

القاهرة
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م



الطبعة الأولى
سبتمبر ٢٠٠١ م - جماد الآخر ١٤٢٢ هـ

رقم الإيداع	١٣٦٥٨ / ٢٠٠١
الترقيم الدولى I.S.B.N	977-04-3538-4

الناشـــر
دار الآفـــاق العربيـــة
القاهرة - ٥٥ شارع محمود طلعت
من شارع الطيران - مدينة نصرت : ٢٦١٠١٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل العلم نوراً ، تهتدى به القلوب الضالة ، وينير البصيرة العرفانية ، والصلاة والسلام على النبى الأمي، مدينة العلم، وسراجها المنير ...

فبعد أن نفذت كل طبعات كتابنا الأول " السلالات اللغوية ، ومكانة اللغات الشرقية بينها " والذى كان محاولة للربط بين اللغات الشرقية ،وبيان مكانتها بين الأسرات اللغوية ، آثرت أن أعيد طباعته فى ثوب جديد ، مضيفاً إلى اللغات السابقة اللغة الأوردية ، ومركزاً على الجوانب الحضارية ، فى الصلات بين اللغات ، وعلى تطبيقات المنهج التقابلى لتيسير الفهم ، والتطبيق عند تعلم هذه اللغات .

جعلت الباب الأول ؛ مدخلاً للأبواب التالية ، ففيه استعراض للعلوم، والمناهج التى تهتم بالتحليل اللغوى ، ومستوياتها المختلفة ؛ مع التركيز على المنهج التقابلى الذى يساعد على تعلم اللُّغة الأم .

والباب الثانى ؛ فقد خصصته للحديث عن مجموعة اللغات الهندو - أوربية ، ومكانة الفارسية بينها ، وأنواع الخطوط ، والمراحل التاريخية التى مرت بها ... ثم اختتمت الحديث فى هذا الباب عن الصلات الحضارية بين الفارسية والعربية .

وجاء الباب الثالث ؛ للحديث عن لغة أخرى من اللغات الهند - أوروبية وهى اللغة الأوردية ، ومجالات التعاون بينها وبين العربية ، وإسهاماتها فى بناء الحضارة الإسلامية المعاصرة .

أما الباب الرابع ؛ فقد خصصته لدراسة اللغات الإلتصاقية ومجموعة اللغة التركية فيما بينها ... وإذا كان كتاب السلالات قد صدر والإتحاد السوفيتى كان قائماً ،

وكنت أرفض فيه التسمية الروسية بـ " اللغات التركية " ومصراً على تسميتها بمجموعة اللغة التركية، ولهجاتها، فها أنذا أعيد طباعة هذا الكتاب تحت المسمى الجديد . وقد انحل الاتحاد السوفيتي ، وتحققت النبوءة ، وبرزت الوحدة الثقافية من جديد بين شتى فروع اللغة التركية، ولهجاتها . وقد لمست هذا بنفسي في شتى المحافل اللغوية ، وخلال زياراتي لكل من تبريز، وطشقند ...

وفي هذا الباب تتبعت نشأتها ، وتطورها ، والنقوش التي تناولتها ، والخطوط التي استخدمتها ، والصلات التي تربطها بالعالم العربي والإسلامي ، والضرورات التي تُحتم التعرف عليها ، وتدريسها في الجامعات المصرية .

وختمت الحديث في الباب الخامس ، بالحديث عن مجموعة اللغات السامية ، ومكانة العربية والعبرية بينها ... وما الدوافع، والمعطيات ، والمتطلبات الحضارية التي تحتم دراسة هذه المجموعة . أو السلالات اللغوية ، بل خصصت الجزء الأكبر لتلك اللغات المعني بدراستها فقط وبيان صلاتها الحضارية مع اللغة العربية . ولزيادة التفاعل بين القارئ والمادة العلمية المطروحة ؛ ذيلت كل باب ببعض التساؤلات ... وبعض التمارين لتنمية المنهج التقابلي لدى الدراسة، وزيادة الوعي بأهمية التفاعل بين روافد الحضارة الإنسانية ....

ولا يسعني في هذا المقام إلا تقديم الشكر لابني وتلميذي : طارق عبد الجليل على ما بذله، ويبذله معي من جهد مشكور .

وعلى الله قصد السبيل .

أ.د/ الصفصافي أحمد المرسي

أستاذ الدراسات التركية

أرض الجولف

في غزة رجب سنة ١٤٢١هـ

التاسع والعشرين من سبتمبر سنة ٢٠٠٠م

الباب الأول
اللُّغة، ومناهج البحث اللُّغوي

- الفصل الأول :
  اللُّغة
- الفصل الثانى :
  التحليل اللُّغوى التقابلي
- الفصل الثالث :
  علم اللُّغة التطبيقي، والتحليل التقابلي

الفصل الأول

اللُّغة

المدخل :

أولا : ما هي اللُّغة ؟

اللُّغة كائن حي ينمو ويتطور، كنمو وتطور أي كائن آخر. وينفي جوزيف ڤندريس كون اللُّغة أنزلت على الناس بشكلها المتطور، مؤكداً أن من الباطل اعتبار اللُّغة كائناً مثالياً يسير في تطوره مستقلاً عن بني الإنسان، متجهاً نحو غاياته الخاصة، موضحاً أن : اللُّغة كانت انفعالية في مبدأ الأمر وظلت مرتبطة بالفرد وبما هو من نصيبه. بل ويذهب فندريس إلى أبعد من هذا في اعتبار أن المجتمع بما له من طابع خاص، يطبع أفراده، بوجوه مكررة من التشابه، ينعكس على اللُّغة، وذلك بأن يُدْخِل فيها أغراضاً من أنواع شتى. ويؤكد أن العامل السيكولوجي الجنسي ليس العامل الوحيد الذي له أثر عام في تشكيل اللُّغة وتكوينها؛ فالتطور اللغوي يعتمد اعتماداً وثيقاً على الظروف التاريخية، فهو يعتمد على المسكن، وعلى نوع الحياة، وعلى تشابك حياة الشعوب .

فاللُّغة هي أداة الفكر، وآلة العقل، من خلق المجتمع. تنمو مع نموه، وتتطور مع تطوره، وتجمد مع جمود المجتمع. وإن كانت اللُّغة في بداية أمرها انفعالية، فقد صارت فاعلة، ثم تأليفية؛ إذ أن اللُّغة تكونت في أحضان المجتمع، ووُجدت يوم أحسّ الناس

بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم، فاللُّغة هي الواقع الإجتماعي بمعناه الأوفى، تنتج عن الإحتكاك الإجتماعي .

وقد مارس الإنسان اللُّغة آلاف السنين، قبل أن يُدَونها، وكتبها قروناً طويلة، دون أن يفكر في طبيعتها، أو في وظيفتها، تفكيراً علمياً. فممارسة اللُّغة شيء، ومعرفة أغوارها ببحث طبيعتها الصوتية، أو وظيفتها الاجتماعية شيء آخر .

وقد تباينت الأبحاث التي تتناول اللُّغة، واختلفت في إسلوب التعامل معها، وفي تحليلها، وتجزئتها، وإعرابها، فتفرعت الأبحاث، وتشعبت، ودقت في التخصص، وبعُدَت في استخدام مختلف المناهج، ووثقت صلتها بسائر العلوم، والفنون. ومما لاشك فيه أن علوم اللُّغة تغمرها الآن ثورة رائعة من أعظم ثورات الفكر على طول التاريخ، ويقول الدكتور أحمد لطفي عبد البديع عن دور اللُّغة :

" ونحن إذ نبحث عن اللُّغة في القصائد لا نبحث عما فيها من لفظ مستعار أو وجه من وجوه التشبيه، بل همُنا الوقوف على الوجود الشعري الذي يتحقق في اللُّغة باعتبارها فكراً للشعر، لا يلبث الشاعر معه أن يجد نفسه وقد أحاطت به الكلمات من كل جانب، وفي هذه الكلمات يخلق الشاعر عالماً جديداً يقيمه على أنقاض الفناء في المعركة الرهيبة بين الإنسان والطبيعة،أو بين الإنسان والإنسان، وإلى هذا العالم تذهب المعاني لتتعانق مع غيرها، وتدل على الوجود الشعري، وتحققه وفيه تتلاقى شتى المعاني والصور والتراكيب وقد تظاهرت جميعاً لإبراز الدلالة الكلية ". ففي هذه الكلمة الموجزة تبرز أهم أدوار اللُّغة، وما يمكن أن تقوم به بين المجتمعات البشرية .

ومن هذا المنطلق فاللُّغة نظام من الرموز الصوتية، وقدعرَّفها اللغوي العربي ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) قائلاً : " حد اللُّغة أصوات يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم " وهذا التعريف دقيق، ويتفق في جوهره مع عناصر تعريف اللُّغة عند الباحثين المعاصرين فهو يؤكد الطبيعة الصوتية للرموز، ويبين أيضاً أن وظيفتها الإجتماعية هي التعبير،

ونقل الفكر في إطار البيئة اللغوية، ويذكر كذلك أنها تؤدي وظيفتها في مجتمع بعينه؛ فلكل قوم لغتهم. وكل الأبحاث اللغوية متفقة في إبراز الطبيعة الصوتية للرموز اللغوية، وفي إيضاح الوظيفة الإجتماعية للغة. ومن هنا تنجم الأسس المنهجية للبحث اللغوي بمناهجه المختلفة. فالدراسة اللغوية تعرف قطاعين متكاملين ؛ الأول دراسة البُنْيَة اللغوية في جوانبها الصوتية والصرفية النحوية والمعجمية، والثاني بحث ارتباط هذه البُنْيَة بوظيفتها الحيوية في المجتمع، ويدخل في دراسة وظيفة اللُّغة أيضاً إيضاح أثر الجوانب الاقتصادية، والسياسية، والدينية، والثقافية في المجتمع دراسة نابعة من طبيعة اللُّغة وحياتها.

فاللُّغة – أولاً وقبل كل شئ – نظام من الرموز، ومعنى هذا أنها تتكون من عدد كبير من الجزئيات التي تنتظم بعلاقات محددة في سياق أو نظام محدد، وأقل هذه الرموز هو الوحدة الصوتية تليها الكلمة ثم تتكون الجملة بالتالي من الكلمات وقد رُتِّبَت في سياق مُتعارف عليه في البيئة اللغوية. فالرمز اللغوي يستمد قيمته من الاتفاق عليه بين الأطراف التي تستخدمه في تعاملها، فهو يمثل أداة الإتصال بين المتحدث أو الكاتب من جانب، وبين المستمع أو القارئ من جانب آخر. واللُّغة هنا هي هذه الرموز التي تنقل التأثير من المؤثر إلى المتلقي. وهذا معناه وجود اتفاق بين المؤثر والمتلقي على استخدام هذه الرموز اللغوية بقيمها العُرْفِيَّة، أو بعبارة أخرى وجود اتفاق بينهما على ترجمة هذه الرموز الصوتية إلى أشياء يدركها الجهاز العصبي.

واللُّغة كونها كائن حي تُعد ظاهرة اجتماعية، يدرجُها الباحثون بين الظواهر الإجتماعية غير المادية، فاللُّغة، والدين، والعادات كلها في هذا القسم من الظواهر. ودارس الظواهر غير المادية عليه أن يلوذ بالصبر، ويستعين بالجَلَدِ، وهو يلاحظ آلاف الجزئيات المكونة للنظام اللغوي، أو العقيدي، أو الأخلاقي، وعلى الباحث بعد تسجيل هذه العناصر المكونة أن يُصَنِفَها تصنيفاً علمياً، ويبلورها في شكل نظام متكامل، يربط بين هذه الجزئيات، وهذا منهج الباحث اللغوي، فهو يُلاحظ، ثم يُسجل، ثم يُصنف، ثم

يُبلور؛ محاولاً بكل هذا اكتشاف بُنية اللُّغة التي يدرسها في إطارها الإجتماعي .

علم اللُّغة علم أساسى يهتم بكشف الأبعاد الحقيقية للظاهرة اللغوية، وليس هدفه إصدار أحكام الصواب، والخطأ، بل هدفه الأساسي أن يقرر طبيعة هذه العلاقات في واقعها الكائن، أو الذي كان، ومن هنا يختلف المفهوم الحديث للبحث اللغوي عما يسميه البعض " السياسة اللغوية " أو (تعليم اللُّغة)، فاللهجات تدخل في مجال علم اللُّغة، لا لجمالها، أو لقبحها، بل لأنها شئ قائم، وواقع محسوس، فالباحث في اللهجات القديمة أو الحديثة لا يفعل هذا بهدف الرفع من شأنها أو القضاء على الفصحى، فليس هذا مجاله، وليست هذه طبيعة عمله. عالم اللُّغة يدرس اللهجات قديماً، وحديثاً لأنها ظواهر لغوية، وُجِدت، أو لا تزال موجودة، وهو في هذا يُقرر واقع الظواهر الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية أصلاً. وليس من عمل عالم اللُّغة أن يقبل ظاهرة أو يرفضها، بل عليه أن يُصنف في هدوء، ويبلور في عمق، عليه أن يعمل في موضوعية عالم الكيمياء الذي يُحلل الماء فلا يمدح الأكسوجين، ولا يذم الهيدروجين. فعالم اللُّغة يحلل اللُّغة، أو اللهجة، أو المستوى اللغوي الذي يدرسه دون حُب، أو إعجاب، ودون كراهية أو نفور .

ثانياً : علم اللُّغة ومجالاته، ومناهجه :

علم اللُّغة " Linguistics " في أبسط تعريفاته هو دراسة اللُّغة على نحو علمي. ويدرس علم اللُّغة الحديث بُنْيَة اللُّغة من الجوانب التالية :

١. الأصوات phonetics , phonology
٢. بناء الكلمة morphology
٣. بناء الجملة syntax
٤. الدلالة semantics

وقد أصبحت تسمية هذا العلم بـ" علم اللُّغة " مُصطلحاً متعارفاً عليه عند

أكثر اللغويين العرب المعاصرين، وله عندهم مجالاته المحددة، ومناهجه المعروفة .

وقدعَرِف علم اللُّغة الحديث عدة مناهج، هي وفق نشأتها التاريخية من القرن التاسع عشر إلى الآن ما يأتي :

١. علم اللُّغة المقارن
٢. علم اللُّغة الوصفي
٣. علم اللُّغة التاريخي
٤. علم اللُّغة العام
٥. علم اللُّغة التقابلي

١- علم اللُّغة المقارن:

علم اللُّغة المقارن، هو أقدم مناهج علم اللُّغة الحديث، وفيه بدأ البحث اللغوي عصر إزدهاره في القرن التاسع عشر، لايهتم علم اللُّغة المقارن بمقارنة لغتين إثنتين من أصلين مختلفين، أو من أسرتين لغويتين متميزتين، بل يُقارن اللغات المندرجة في أسرة لغوية واحدة. إن تَصنيف اللغات، واللهجات المختلفة إلى أسرات لغوية وليد القرن التاسع عشر، فلم تكن القرابة بين اللغات تُدْرَك على نحو علمي، إلى أن اكتُشِفت اللُّغة السَنْسِكرِيتية؛ لغة الهند القديمة: لقد قورنت السنسكريتية باليونانية، واللاتينية، وثبُت من هذه المقارنات وجود قرابة لغوية بين هذه اللغات، وتقدم البحث شيئاً فشيئاً وقُورنت لغات أوربا إلى أن اتضحت معالم أسرة لغوية كبيرة تضم لغات كثيرة في الهند، وإيران، وأوربا. أطلق الباحثون على هذه الأسرة اسم أسرة اللغات الهندية — الأوربية بإعتبار أنها تمتد من الهند إلى أوربا، ويُولعَ الباحثون الألمان بكل ما هو جِرْمَاني؛ ومن ثَم فهي عندهم أسرة اللغات الهندية — الجرمانية، بإعتبار أنها تبدأ في الهند، وتنتهي عند اللغات الجِرمانية، تضم هذه الأسرة اللغوية عدداً كبيراً من اللغات القديمة، والوسيطة، والحديثة، ولكثير من هذه اللغات تاريخ طويل .

والبحث المقارن في علم اللغات يُقارن اللغات المنتمية إلى نفس الفرع من

الجوانب الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية. كما يُبْرِز البحث المقارن العلاقات التاريخية بين لغات الفرع اللغوي، ولهجاته على مدى التاريخ .

٢- علم اللُّغة الوصفي :

يتناول علم اللُّغة الوصفي بالدراسة العلمية لغة واحدة، أو لهجة واحدة في زمن معين، ومكان محدد، ومعنى هذا أن علم اللُّغة الوصفي يبحث المستوى اللغوي الواحد من جوانبه الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية. لقد ظل العلماء يبحثون اللغات في القرن التاسع عشر، و أوائل العشرين بالمنهج المقارن، ولم يكن هناك تصور واضح لإمكان بحث اللُّغة الواحدة، أو اللهجة الواحدة على نحو دقيق. ولكن الباحث السويسري دي سوسير DeSaussure أثبت بدراسته في نظرية اللُّغة، ووظيفتها إمكان بحث اللُّغة الواحدة وَصْفياً أو تاريخياً، وبذلك بدأ الباحثون في تطوير مناهج البحث لتحليل البنية اللغوية، وزاد اهتمام الباحثين بالمنهج الوصفي في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية، وأصبح المنهج الوصفي هو المنهج السائد في السنوات العشر الماضية، عند أكثر المشتغلين بعلم اللُّغة الحديث، في كل أنحاء العالم .

يهتم علم اللُّغة الوصفي، بدراسة تكوين أية لغة، أو أية لهجة، فكل لغة، وكل لهجة تتكون من أصوات لغوية، تنتظم في كلمات، تتألف منها الجمل لتعبر عن المعاني المختلفة، والفرق بين اللُّغة، واللهجة فرق حضاري لا ينبع من البنية اللغوية، ولكنه يقوم على مجالات الإستخدام، فالإستخدام في المجالين الثقافي، والعلمي يجعل من المستوى اللغوي المستخدم لغة. وأما التعامل المحلي فيمكن أن يكون بهذه اللُّغة عند المثقفين، كما هو الحال في بعض المجتمعات الراقية، ولكنه يكون في أكثر الجماعات في العالم باللهجة المحلية. وبذلك يمكن تطبيق المنهج الوصفي في تحليل البنية اللغوية لأي لغة أو لهجة .

٣- علم اللُّغة التاريخي :

يبحث علم اللُّغة التاريخي تطور اللُّغة الواحدة عبر القرون. فتاريخ اللُّغة من جوانبها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية يدخل في مجال علم اللُّغة التاريخي،

ومعنى هذا أن تطور النظام الصوتي للعربية الفصحى، يُعد دراسة صوتية تاريخية. وتطور الأبنية الصرفية ووسائل تكوين المفردات في العربية على مدى القرون مما يدخل في الدراسة الصرفية التاريخية. وتطور الجملة الشرطية، أو جملة الإستفهام في العربية الفصحى، مما يدخل في الدراسات النحوية التاريخية، والمعاجم التاريخية التي يسجل كل منها تاريخ حياة كل كلمة تُعد من أهم أهداف الباحثين في علم اللُّغة التاريخي .

وللتطور اللغوي شِقان : أولهما التطور في بُنية اللُّغة، والثاني مجالات الإنتشار، والإستخدام اللغوي. وهذان الشقان نابعان من الطبيعة الرمزية الصوتية للبنية اللغوية ومن الوظيفة الإجتماعية لها. والجانبان متكاملان يفسر أحدهما الآخر .

ويتأثر التطور في بنية اللُّغة بعوامل كثيرة أهمها مستوى الإستخدام اللغوي، ومستوى المستخدم، سواء أكان سياسياً، أو ثقافياً، أو وظيفياً. فالتطور اللغوي أساسه الإستخدام الفردي للغة، كما يتأثر انتشار الصيغة اللغوية بعوامل كثيرة، ولعل من الملاحظ أن أساتذة الجامعات يُدخِلون عدداً من المصطلحات العلمية إلى اللُّغة للتعبير عن المعاني الجديدة، أو عن العلوم الوافدة على العربية، فيُكتَب لجمهرة هذه المصطلحات أن تُستخدم – بادئ ذي بدء – بين طلابهم ثم في دوائر أوسع إلى أن تستقر في العرف اللغوي، وقد تصبح من المشاع اللغوي العام بعد ذلك. كما أن للعامل الديني أيضاً تأثيره الواضح في أصوات، وصيغ، وتراكيب أية لغة، وهذه كلها جوانب خاصة بالبِنية اللغوية

ولكن العامل السياسي يتدخل في انتشار أية لغة، ومجالات استخدماتها، ولكن هذا الأثر يختلف مداه من إقليم لآخر، طبقاً لطبيعة العلاقات في المجتمع. وهذا ما يجعل للعامل الإجتماعي أيضاً أهمية بالغة في حياة اللُّغة، فانتقال مجموعة بشرية معينة من مكان إلى آخر، وإختلاط المجموعة الوافدة مع السكان القُدامى، كفيل بخلق علاقات لغوية جديدة. ومن المعروف أن هجرة القبائل العربية عقب الفتح الإسلامي للشام، والعراق، ومصر، والمغرب كانت أهم حدث في تاريخ العربية، فقد انتشرت العربية بهذا

خارج نطاق الجزيرة العربية، وأصبحت لغة الحديث، والأدب، والثقافة في الدولة الإسلامية الكبرى .

والعامل الحضاري عامل فعَّال في حياة اللغات، وانتشارها، فتعلم أبناء العربية اليوم للغة الإنجليزية يرجع أولاً وقبل كل شئ إلى القيمة العلمية للمؤلفات المكتوبة باللُّغة الإنجليزية في مُختلف فروع المعرفة. كما كان سبب انتشار العربية في العصور السابقة يرجع إلى ما كانت تحمله من معالم حضارية، وقيم ثقافية، ودينية. فاللُّغة نظام من الرموز الصوتية، يؤدي وظيفته في المجتمع، ويتأثر بالعلاقات المختلفة. ودراسة التطور اللغوي هي مُحَصلة دراسة تطور البنية، وتطور العلاقات .

٤- علم اللُّغة العام :

علم اللُّغة العام؛ هو الأساس المنهجي النظري للبحث اللغوي، وهو أساس نظري لا ينفصل عن واقع اللغات، وعن ممارسة الباحثين لها. إذاً فهو أساس نظري ينمو بالممارسة العلمية، والتطبيقية. وعلم اللُّغة العام ذو شقين أساسيين، ومترابطين في نفس الوقت .

يهتم علم اللُّغة العام أولاً بوضع نظرية شاملة عن بُنية اللُّغة، وطبيعة الحياة اللغوية، كما يتناول علم اللُّغة العام قضية مناهج البحث اللغوي في محاولة لتطويرها، بهدف الوصول إلى اكبر درجة من الدقة الموضوعية .

فاللُّغة نظام من الرموز يتعامل به كل البشر، وكل اللغات تتألف من أصوات تصدر من أعضاء النطق، وهي واحدة عند كل البشر. وتتألف هذه الأصوات في انساق مختلفة لتكون الكلمة، ثم تتألف الكلمات في عدة أنسق لتكون الجمل. وبحث الوسائل الدقيقة لتحليل الأصوات، ولتحليل أبنية الكلمات، وأنماط الجمل من الموضوعات التي يهتم بها علم اللُّغة العام .

٥- علم اللُّغة التقابلي :

علم اللُّغة التقابلي أحدث فروع علم اللُّغة، نشأ بعد الحرب العالمية الثانية،

ويقوم علم اللُّغة التقابلي على فكرة بسيطة لاشك أن كثيراً ممن تعلموا لغات أجنبية أو علَّموها قد أحسوا بها. فالصعوبات التي تواجـه متعلـم لغـة أجنبيـة في فـترة تعلمـه لا ترتبط في المقام الأول بالإختلافات التي بين اللُّغة الأم، واللُّغة المنشودة. والمقصود باللُّغة الأم تلك اللُّغة، أو اللهجة التي اكتسبها الإنسان في طفولته، وتعلـم الكـلام بـها منـذ البداية. أما اللُّغة المنشودة فهي اللُّغة المراد تعلمـها، وبقـدر الإختـلاف بـين اللُّغـة الأم واللُّغة المنشودة تكمن الصعوبات. فالأصوات التي تُوجد في اللُّغة المنشودة، ولا توجد في اللُّغة الأم تشكل صعوبات ينبغي العمل على تذليلها.

وموضوع علم اللُّغة التقابلي، هو المقابلة بين نظامين لغويـين مختلفـين، همـا بالتحديد النظام اللغوي للغـة الأم، والنظـام اللغـوي للغـة المنشـودة، وقـد تجنبنـا هنـا استخدام كلمة المقارنة لئلا يختلط علم اللُّغة التقابلي، وعلم اللُّغة المقارن. موضوع علم اللُّغة التقابلي مقابلة اللُّغة الأم، واللُّغة المنشودة، ولتكن اللغتان من أسرة لغوية واحدة، أو من أسرتين لغويتين مختلفتين. فعندما تُقابل بين النظـام الصوتـي للهجـة القاهريـة، والنظام الصوتي للإنجليزيـة الأمريكيـة، وتُحـدد جوانـب الإختـلاف بـين النظـامين في الصوامت والحركات والنبر ... الخ. كما يمكن أن تتم المقارنـة الصوتيـة بـين العربيـة، والأمهرية وكلتاهما من أسرة لغوية واحدة. الهدف هنا، وهناك تعليمي، فمقارنة المستويين اللغويين للغة الأم، واللُّغة المنشودة يحدد الصعوبـات الـتي يمكـن تذليلـها بمراعاتـها في برامج تعليم اللغات، مما يُيَسر تعليم اللغات الأجنبية. كما يدخل مقابلة اللهجة المحليـة التي تعلمها الطفل باللُّغة الفصحى المنشودة تحت نِطاق علم اللُّغة التقابلي.

الفصل الثانى

التحليل اللغوي التقابلي

يعتمد التحليل اللغوي التقابلي على الثوابت التالية :

أولاً : الأصوات

لا تعتمد الدراسة الصوتية على الكلمة برسمها المكتوب، بل تبحثها وفق مكوناتها الصوتية الحقيقية .

ويفرق اللغويون المعاصرون بين عِلْمَين، أو بالأحرى بين فرعين إثنين للدراسة الصوتية للغة. وهذان الفرعان هما : علم الأصوات phonetics وعلم الفونولوجي، وكلاهما يدرس اللغة من جانبها الصوتي، وبينها تكامل، وجوانب اختلاف. يهتم علم الأصوات بدراسة اللغة باعتبارها ظاهرة تشريحية فيزيائية .

يُحدد التقابل الدلالي للوحدات الصوتية في اللغة الواحدة، ولكن تحديد السمات الحاسمة التي تُميز كُل وحدة صوتية عن الأخرى، يتم ببحث الخصائص النُطقية، والفيزيئية، والسَمْعية للأصوات، أو للصوتين موضع التقابل. وهناك عدة معايير لتصنيف الأصوات اللغوية المختلفة، أكثرها استخداماً المعيار النُطقي. وتوضح لنا عملية النطق في كل حالة، على حدة، عدة سمات لكل صوت، من الأصوات اللغوية، وأهم هذه السمات :

أ. الصوامت والحركات :

تُقسم الأصوات اللغوية إلى صوامت، وحركات. ويرجع الفرق بينهما إلى كيفية تكون الصوت في أعضاء النطق. فعند النطق يندفع الزفير من الرئتين، بتأثير الحِجاب الحاجز على القفص الصدري، ويمضي هواء الزفير محاولاً الخروج، وعند النطق بالصوامت consonants يحدث نوع من الإعتراض، يعوق خروج هواء الزفير، قد يكون هذا الإعتراض كاملاً أو جزئياً. ففي كل حالات النطق بالصوامت يحدث هذا الإعتراض، ومن الطبيعي أن يظل هذا الإعتراض لوقت قصير جداً ثم يزول. وتختلف الصوامت لعدة أسباب؛ منها كون ذلك الإعتراض كاملاً أو جزئياً، كما تختلف الصوامت أيضاً من ناحية النقطة التي يتم فيها الإعتراض، والإنفراج أي النقطة التي يصدر فيها الصوت. فعند النطق بالباء العربية يحدث الإعتراض عند الشفتين؛ فالباء لا تُنطق إلا بالتقاء الشفتين ثم إنفراجهما. والعَقَبَة هنا تمنع خروج الهواء لحظة قصيرة، أي أن الباء تُنْطَق بإعتراض كامل. ولكن نطق الفاء يختلف عن نطق الباء من ناحيتين؛ فعندما يحاول الإنسان نطق الفاء يحدث الإعتراض بين الشفة السفلى، والأسنان العليا، هذا الإعتراض غير كامل، لأن إلتقاء الشفة السفلى بالأسنان العليا لا يمكن أن يُحْدِث حَبْساً كاملاً لمجرى الهواء .

أما عند النطق بالحركات vowels فلا يحدث أي إعتراض لمجرى الهواء، ولكن إختلاف الحركات عن بعضها البعض، يرجع إلى وضع اللسان في الفم، ووضع الشفتين .

ب. الهَمْسِ والجَهْرِ :

يهتز الوتران الصوتيان إهتزازاً شديداً عند النُطق ببعض الأصوات، ولا يهتزان عند النطق بالبعض الآخر. والوتران الصوتيان هما ما أصطلح العرب على تسميتهما بالأحبال الصوتية. ويوجدان في الحنجرة. وعندما يمر هواء الزفير محاولاً الخروج

فإن الوترين الصوتيين قد يتوتران بشدة فيحدثا ذلك الصوت الذي يحثه الناطق، بأن يضع يديه على أذنيه وهو ينطق بصوت " ز " العربية. ويُطلق على هذا الصوت الذي يُنطَق بهذا الوتر الشديد في الوترين الصوتين اسم الصوت المجهور . وعندما يحس الناطق في نطق "السين" باختفاء ذلك الصوت الناجم من الوترين الصوتيين يكون ذلك ما يسمى بالهَمْسِ .

المقاطع والنبر :

لا يتكون الكلام العادي من مجرد تتابع الصوامت، والحركات، ولكن تكون المقاطع، وتختلف درجات نبرها وفق ضوابط محددة. وتوجد في معظم اللغات المقاطع التالية :

١. المقطع القصير المفتوح : ويتكون من صامت واحد تعقبه حركة قصيرة. فكلمة " كتب " تتكون من ثلاثة مقاطع قصيرة، متتابعة. وكل هذه المقاطع مفتوحة، لأن المقطع المفتوح؛ هو المقطع الذي ينتهي بحركة. ويُقدر طول المقطع القصير بوحدتين إثنتين، هما الصامت، والحركة القصيرة .

٢. المقطع الطويل المفتوح : يتكون من صامت واحد، وحركة طويلة. فكلمة " بارك" تتكون من مقطع طويل مفتوح، ثم من مقطعين مفتوحين. ويوصف هذا المقطع بالطول، لأنه يتكون من ثلاث وحدات، بإعتبار الصامت وحدة، والحركة الطويلة وحدتين، وهذا المقطع مفتوح لأنه ينتهي بحركة .

٣. المقطع الطويل المغلق : ويتكون من صامت واحد + حركة قصيرة + صامت واحد، ومعنى هذا أنه طويل، لأنه يتكون من ثلاث وحدات، وهو مقطع مغلق لانه ينتهي بصامت، وهناك كلمات كثيرة في العربية تتكون من مقطع طويل مغلق مثل : بل .هل . من . عن .

٤. المقطع المُغْرق في الطول : ويتكون من صامت، وحركة طويلة، وصامت أي أنه يتكون من أربع وحدات. ومثل هذا المقطع في العربية كلمة " دالة وطامة " فكلتا

الكلمتين تتكون من مقطع مغرق في الطول، ثم مقطع طويل. وهذا النوع نادر في العربية .

٥. المقطع المغلق بصامتين : ويتكون من صامت، وحركة قصيرة، وصامتين. وهذا المقطع في العربية ثمرة مقطع طويل مغلق، ومقطع طويل قصير، مفتوح، حُذفت حركته فكلمة " دمشق " إذا حذفت حركتها النهائية، إنتهت بمقطع مغلق بصامتين وهذا النوع من المقاطع شائع في المستويات اللغوية العربية التي فقدت النهايات الإعرابية .

وتنطق كل المقاطع بنفس درجة الضغط الصوتي عليها. فبناء الكلمة يحدد موضع النبر فيها. ويقع النبر في كل كلمة على مقطع معين، يتحدد ببنيتها. فالكلمات المنتهية بمقطع مغرق في الطول، أو مقطع مغلق بصامتين، يقع النبر على مقطعها الأخير .

ثانياً : بناء الكلمة

تتكون كل لغة من اللغات بعدد محدود من الوحدات الصوتية. وتعبر اللغة بهذا العدد المحدود من الوحدات عن المعاني الكثيرة المتجددة، غير المتناهية، وذلك لان البنية اللغوية لا تتكون من الوحدات الصوتية مفردة بل تتألف اللغة من الوحدات الصوتية مركبة في أنساق، وأبنية مختلفة. فالصوامت (ك + ت + ب) يمكن أن تتخذ عدة ترتيبات. ك ت ب/ ك ب ت/ ب ك ت/ ت ب ك/ ب ت ك. وقد أفادت اللغة العربية من عدد من هذه الترتيبات. والمواد الممكنة من الناحية النظرية كثيرة، منها ما ليس له استخدام في الواقع اللغوي، وأُطلق عليه مصطلح " الْمُهْمَل " أما المواد اللغوية الموجودة فعلا فكانت عند الخليل ابن أحمد (القرن الثاني الهجري) هي الْمُسْتَعْمَل. وليست هناك كلمة من هذه الصوامت دون إضافات، فالفعل كَتب يتكون من الكاف والفتحة، والتاء والفتحة، والباء والفتحة، وهكذا . . .

ومجال البحث في الصرف، أو بناء الكلمة هو دراسة الوسائل التي تتخذها كل

لغة من اللغات لتكوين الكلمات من الوحدات الصوتية المتاحة في تلك اللغة، ويدخل في هذا بالضرورة دراسة الأبنية، والسوابق، واللواحق، وغير ذلك من الموضوعات التي توضح البنية التي تتكون بها أبنية الكلمات في تلك اللغة .

ثالثاً : بناء الجملة :

الفرق بين بناء الكلمة، وبناء الجملة؛ ان بناء الكلمة يعني بوسائل تكوين الكلمات من الوسائل الصرفية المختلفة، وبناء الجملة يدرس كيفية تكوين الجمل من الكلمات المختلفة. ولقد اتجه اللغويون منذ سنة ١٩٥٧م بصورة متزايدة إلى بحث بناء الجملة، فقد كانت موضوعات الأصوات، وبناء الكلمات قد نالت نصيباً أكبر من الإهتمام على مدى مائة عام. ولُوحظت الثغرات في دراسة بناء الجملة، فإنصرف لغويون كثيرون إلى بناء الجملة. وارتبط هذا الإهتمام بظهور علم " السيبيرناطيقا " والنزوح نحو الإفادة من الأجهزة الإلكترونية في البحث اللغوي لتحقيق مزيد من الدقة، والموضوعية، وهنا ظهر النحو التحويلي، والفكرة الأساسية في النحو التحويلي؛ أن الوصف الدقيق للغة من اللغات إنما يعني تحديد الإمكانيات التعبيرية الكامنة في هذه اللغة، والتي ينتقى منها، ويتوسل بها، مستخدماً اللغة إيجاباً وسلباً. فوصف الاستخدام اللغوي عند فرد بعينه ليس تحديداً لطاقات اللغة، بل وصف للقدرة اللغوية لهذا الفرد. ومن هنا تتجاوز فكرة النمو التوليدي مجرد الوصف إلى محاولة تحديد " مجموعة الإمكانيات التعبيرية " في اللغة قيد الدراسة. وهذه الإمكانيات كامنة عند مستخدم اللغة، حتى أنه يستطيع بالمخزون لديه منها أن يفهم جملا وتعبيرات لم يسبق له أن سمعها أو قرأها .

رابعاً : الدلالة :

ولا تقوم البنية اللغوية، على مجرد تتابع الأصوات، المكونة للأبنية الصرفية، المتتابعة، حاملة المعنى المراد وبذلك يمكن للغة بمكوناتها الصرفية التي تتخذ في الجملة نسقاً محدداً، بل، لابد من ان تكون هذه الرموز، من الرموز الصوتية، وأن تؤدي وظيفتها،

وسيلة للتعامل في البيئة اللغوية. وتُعد قضية الدلالة من أقدم قضايا الفكر في حضارات مختلفة، وهذا أيضاً ما ولَّد الحاجة إلى المعاجم التي تبحث في الدلالة اللفظية.

ونرجع أهم ظواهر التطور الدلالى إلى ثلاثة أنواع :

(أحدهما) تطور يلحق القواعد المتصلة بوظائف الكلمات، وتركيب الجمل، وتكوين العبارة: وما إلى ذلك كقواعد الإشتقاق، والصرف "المورفولوجيا"، "التنظيم" و"الستتكس". وذلك كما حدث في اللغات النامية، المتشعبة من اللغة العربية، إذ تجردت من علامات الإعراب، وتغيرت فيها قواعد الإشتقاق.

(وثانيهما) تطور يلحق الأساليب، كما حدث في لغات المحادثة العامية، المتشعبة عن العربية، إذ إختلفت أساليبها إختلافاً كبيراً عن الأساليب العربية الأولى، وكما حدث للغة الكتابة في عصرنا الحاضر، إذ تميزت أساليبها عن أساليب الكتابة القديمة، تحت تأثير الترجمة، والإحتكاك بالآداب الأجنبية، ورقي التفكير، وزيادة الحاجة إلى الدقة في التفكير، والتعبير عن حقائق العلوم، والفلسفة، والإجتماع..

(وثالثهما) تطور يلحق معنى الكلمة نفسه، كأن يُخَصص معناها العام، فلا تُطلق إلا على بعض ما كانت تطلق عليه من قبل، أو يُعمم مدلولها الخاص، فتُطلق على معنى يشمل معناها الأصلي، ومعاني أخرى تشترك معه في بعض الصفات،أو تخرج عن معانيها القديمة، فتُطلق على معنى آخر، تربطه به علاقة ما، وتُصبح حقيقة فيْ هذا المعنى الجديد بعد ان كانت مجازاً فيه، أو تُستعمل في معنى غريب كل الغرابة عن مهناها الاول.

وللتطور الدلالي خواص كثيرة من أهمها؛ أنه يسير ببطئ، وتدرج، فتغير مدلول الكلمة لا يتم بشكل فُجائي سريع، بل يستغرق وقتاً طويلاً. وأنه يحدث من تلقاء نفسه بطريق آلي، لا دخل فيه للإرادة الإنسانية، وأنه جبري الظواهر، لأنه يخضع في سيره لقوانين صارمة، لا يد لأحد على وقفها، أو تعويقها، أو تغيير ما تؤدي إليه، كما أن هذا

التغير الدلالي مرتبط بالزمان، والمكان في معظم أحواله وأنه إدا حدث في بيئة ما، ظهر أثره عند جميع الأفراد الذين تشملهم هذه البيئة.

كما يحدث كذلك تطور في معاني الكلمات ذاتها، فمدلولها يتغير تبعاً للحالات التي يكثر فيها إستخدامها، ومبلغ وضوح الكلمة في الذهن، فكلما كان مدلول الكلمة واضحاً في الأذهان، قُل تعرضه للتغير، كما أن ثبات أصوات الكلمة يُساعد على ثبات معناها، وتغيرها يذلل أحياناً السبيل إلى تغيرها، كما قد تذلل قواعد اللغة نفسها السبيل إلى تغير مدلول الكلمة، وتساعد على توجيهه وجهة خاصة. كما يحدث كذلك تغير في معاني المفردات، حين إنتقالها من السلف إلى الخلف، أو من إنتقالها من لغة إلى أخرى، أو أن التغير قد طرأ على الشيء نفسه الذي تدل عليه هذه الكلمة، فتغير طبيعة الشيء، أو عناصره، أو وظائفه، أو الشئون الإجتماعية المتصلة به، تؤدي بالضرورة إلى تغير على المفردة التي تُعبر عن هذا الشيء.

الفصل الثالث

علم اللغة التطبيقى والتحليل التقابلى (*)

إن المبادئ النفسية لاكتساب اللغة الثانية تُشكل الأسس لبناء فهم شامل لاكتساب النظام اللغوى، ولا يمكن دراسة النظم اللغوية بشكل فعال، ومفيد دون معرفة وفهم علاقة اللغة بالكائن . فأشكال اللغة - الأصوات، ونظم الصوت، والتراكيب النحوية، والكلمات، وخصائص الخطاب - تُستعمل كلها لتحقيق وظائف محددة، ومقصودة فى الاتصال ... إن تعلم النظام اللغوى ذاته يكون هو الأوضح فى اكتساب اللغة الثانية .

علم اللغة التطبيقى :

لقد اعتبر علم اللغة التطبيقى فرعاً من علم اللغة لعدة عقود، وفسرت على أنها تطبيقات ومبادئ، أو نظريات اللغويات فى الأمور العملية . ويُعتبر تدريس اللغة الثانية، وتدريس القراءة، والتعبير، وآداب اللغة فى اللغة الأم مجالات نموذجية للتطبيق العملى لتلك المبادئ، والنظريات .

وتمتد تطبيقات النظريات اللغوية إلى أكثر المشاكل التدريسية، إلى الحد الذى يصعب معه التفريق بين اللغويات التطبيقية، وبين اللغويات النظرية . ويوجد فى

(*) مستخلص من الفصل الثامن من كتاب ؛ هـ . دوجلاس براون، مبادئ تعلم وتعليم اللغة، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

دراسات علم الصوتيات، ودراسات اللغة الأولى، وعلم النفس اللغوى، واكتساب اللغة الثانية، الكثير مما هو نظرى، والكثير مما يؤدى إلى تعريف أكثر شمولاً للغة . وقد يقول البعض : إن استنباط تفسيرات شكلية واضحة للنظم اللغوية، تُعتبر أموراً نظرية بحتة، ولكن علم الدلالة، وتفاعل المتحدث والسامع، وأنظمة الاتصال اللغوى تُعتبر كذلك أموراً مهمة فى دراسة طبيعة النظام اللغوى .

المنظور التاريخى :

بينما لم يعترف كل من اللغويات التطبيقية، أو علم النفس التطبيقى، أو علم الاجتماع التطبيقى بشكل واضح على أنها علوم منفصلة عن مقابلاتها النظرية، إلا أن تطبيقاتها النظرية شكلت حجر الزاوية فى تقدم تدريس اللغة الأجنبية، وتُوضح النظرية التاريخية على تاريخ العلم علاقات هامة بين النماذج النظرية، وبين الطرق، وأساليب تدريس اللغة .

فعندما كانت اللغويات البنيوية، وعلم النفس السلوكى، تمثلان النماذج النظرية للبحث والتطبيق فى منتصف هذا القرن، تأثر مدرسو اللغة بقوة تلك النظريات واستطاعوا ممارسة تطبيقات مباشرة لهذه النظريات فى قاعة لتدريس اللغة . ولقد زاد من شيوع تطبيق هذه النظريات، شيوع النظرية النفسية التى تدعى أن اللغة – مثلها مثل أى ناحية من نواحى السلوك البشرى – أمر يمكن تجزئته إلى أجزاء، يتدرب على ممارستها المتعلم مراراً، وتكرراً حتى يتقنها فى نهاية الأمر .

وقد تمتعت تلك التطبيقات المباشرة خلال الخمسينات، والستينات بسمعة حسنة، حيث توفر تكامل بين النظرية والتطبيق . وجلب وصول اللغويات التوليدية معه نموذجاً جديداً فى النظر إلى اللغة وفى الوقت نفسه، صَرَفَ علم النفس الإدراكى " المعرفى " دارسى السلوك الإنسانى بعيداً عن برامج التحكم الشرطى الميكانيكى . وبشر النحو التوليدى فى بداية الأمر، بأنه سيكون تطبيقاً، وذا صلة، وقيمة لقاعة الدرس، كما كان النحو البنيوى . وتوقع المدرسون الكثير عن قيمة النحو التقليدى،

وتلقوا بشوق، أملين من نظرياته أن تُوفر الحل والسبيل لنجاح تدريس اللغة .

الحقيقة النفسية :

مع أن النحو التحويلي لم يوفر ما كان يتوقعه ممارسى تدريس اللغة من صلة بالتدريس، إلا أن هناك آراء نظرية فى اللغويات التوليدية، إقتربت من الحقيقة النفسية . فالحقيقة النفسية ؛ معيار مهم لمعلمى اللغة . وقد مال النحاة عن بحثهم للكفاية الإيضاحية للنظريات إلى البساطة، ولكن تجاهلوا حقيقة السلوك البشرى فى الوقت نفسه .

فالنظرية اللغوية " الحقيقية نفسياً " تحتوى على قواعد تُمثل تقارب العمليات، أو الفئات المعرفية التى يعمل من خلالها العقل الإنسانى . أي أن التراكيب النحوية ستكون حقيقية نفسياً إذا وُصِفَت أو اتصلت مباشرة بالمعالجة، والتخزين، والتذكر العقلى، فمثلاً نستطيع أن نسأل فى النحو التحويلى، عما إذا كانت جملة المبنى للمجهول، تُعالج وتُخزن فى شكلها المبنى للمعلوم مع إضافة إشارة تفريع المبنى للمجهول . أو عما إذا كان عدد التحويلات المستعملة فى اشتقاق تركيب سطحى معين، يرتبط بمدى صعوبة الجملة مقارنة بغيرها من الجمل الأخرى .

ولقد اقترحت النظرية الدلالية التوليدية الحديثة للغة أساساً معرفياً دلالياً، وهذا بلا شك يمثل درجة أكبر من الواقعية النفسية . ويقع نحو الحالات الإعرابية، ضمن تلك الفئة فى الوصف النحوى .

فمن الناحية الواقعية المعرفية فإنك تتحدث عن الإمكانية + القدرة + المستقبلية + الفاعلية + الحركية + المكان + الزمان . ومن الصعب أن تقول : إن ما فكرت فيه حقاً فى عقلك كان شيئاً يُشبه (ضمير + فعل مساعد + فعل + صفة + مصدر + عبارة جر + حال) أو حتى (جملة إسمية + جملة فعلية) .

أنواع النحو التعليمي والتعلمي :

يمكن إيجاد حل لمعضلة التوفيق بين النظرية والتطبيق باستعمال مفهوم النحو

التحليلى والتعليمى . فالنحو التعليمى يمثل وصفاً نحوياً للغة ما، مُصَمَّم خصيصاً كوسيلة لتدريس تلك اللغة . والنحو التحويلى لم يُصَمَّم أبداً ليكون نحواً تعليمياً .

وتُعتبر معظم كتب النحو التى تُستعمل فى تدريس طلاب اللغة الأجنبية كتب نحو تعليمية، أما النحو التحليلى (والذى يسمى أحياناً النحو العلمى) فيحاول إيضاح تركيب اللغة من الناحية الشكلية، والمنطقية دون أية صلة بالتدريس، والتدريج، ومستويات الصعوبة أو سهولة التفسير .

وتوجد أنواع قليلة من النحو التحليلى، التى تصلح للتدريس، والنحو التحويلى – وهو نحو تحليلى – كان ذا قيمة لمدرس اللغة بمضامينه، وليس بتطبيقاته، وكان هدفه شكلياً، ونظرياً وتعرض نماذج اللغة التوليدية الحديثة وجهاً مختلفاً ؛ فالنحو الوظيفى، والنماذج التوليدية الدلالية للغة، والتحليل النصى للغة، كلها تهتم بشكل أكثر دقة باللغة فى سياقاتها الاتصالية، وباستعمالاتها الفعلية فى الفاعل الإنسانى ... وتُعتبر تلك الأنواع من النحو أكثر صلة بتعلم، وتعليم اللغة لأنها أقل تجريداً من أنواع النحو التقليدية السابقة . فالأساليب التحليلية للنصوص، وللوظائف اللغوية يمكن الاستفادة منها بصورة أساسية فى تأليف الكتب الدراسية اللغوية . ولذا يحتمل عودة أهمية أنواع النحو التحليلى، التى كانت سائدة فى منتصف القرن العشرين، وخاصة خلال الجزء الأخير فيه، وذلك على شكل نحو اتصالى .

افتراض التحليل التقابلى :

لا يمثل ارتباط النظرية بالتطبيق أي مشكلة بالنسبة لحركة التحليل التقابلى، والتى كانت واحدة من أشهر النظريات فى اللغويات التطبيقية خلال متصف القرن العشرين، ويقوم افتراض التحليل التقابلى، والمنبثق من النظرية السلوكية، والنظرية البنيوية، على افتراض أن العائق الرئيسى لاكتساب اللغة الثانية، هو تداخل نظام اللغة الأولى، مع نظام اللغة الثانية، أو يَدعى الافتراض بأن التحليل العلمى، البنيوى، للغتين والمعنيتين سيوفر تصنيفاً لغوياً تقابلياً، بينهما يمكّن اللغوى من التنبؤ

بالصعوبات التى سيواجهها المتعلم. وكان المعتقد أن أدوات اللغويات البنيوية، ستمكن اللغوى من وصف اللغتين المعنيتين بدقة، ومقابلة هذين الوصفين مع بعضهما لاستخراج التقابلات الحقيقية، أو الفروق بين هاتين اللغتين .

لقد ساهمت المدرسة السلوكية فى دعم الرأى القائل ؛ بأن السلوك البشرى ما هو إلا مجموعة من الأجزاء الأصغر، ولذلك يمكن وصف تعلم اللغة ؛ على أنه اكتساب هذه الأجزاء، أو الوحدات المنفصلة . وعلاوة على ذلك، أبرزت نظريات التعليم البشرى، العناصر المعوقة للتعلم، مبينة أنه كلما قل التداخل اللغوى المعوق بين اللغتين، قلت الصعوبات التى تواجه المتعلم، حيث سينقل المتعلم، كل المواد التى سبق أن تعلمها، فى اللغة الأولى، إلى اللغة الثانية، وبذلك يستفيد إيجابياً، من خبراته السابقة، فى تعلمه للغة الجديدة، أي اللغة الهدف . والاستنتاج المنطقى من تلك الافتراضات النفسية، واللغوية المختلفة ؛ هو أن تعلم اللغة الثانية يشمل التغلب على الفروق بين النظامين اللغويين . نظام اللغة الأم، ونظام اللغة الهدف .

وقد حظى افتراض التحليل التقابلى ؛ بالقبول بسبب ما نُلاحظه بالسليقة من بعض الأخطاء التى عادة ما نُرّجعها إلى النقل السلبى فى تعلم اللغة الهدف من اللغة الأم . وهذا أمر شائع جداً حيث نستطيع استنتاج خلفية، وهوية المتعلم اللغوية من خلال اللكنة الأجنبية التى نسمعها فى حديثه . ويستطيع متحدث اللغة الإنجليزية كلغة أم، اكتشاف متعلمى اللغة الإنجليزية الذين يأتون من خلفيات لغوية معينة كالألمانية، والفرنسية، والأسبانية، واليابانية من لكناتهم المميزة التى تَعُّود أن يسمعها باستمرار من هؤلاء المتعلمين ... أو يمكن تبيُّن ذلك بسهولة ممن يتعلمون اللغة العربية فى أروقة جامعة الأزهر، فكل ينطقها حسب لكنة لغته الأم ... ولابد أن نتبينها من نقل المفردات، والقواعد النحوية، من اللغة الأم إلى اللغة الهدف .

لقد قيلت بعض الادعاءات القوية عن فاعلية التحليل التقابلى فى أوساط خبراء تدريس اللغة واللغويين . وقال روبرت لادو " Robert Lado " سنة ١٩٥٧م فى

مقدمة كتابه " اللغويات عبر الثقافات " Linguistics Across Cultures ، أحد هـذه الادعاءات حين قال : " إن خطة الكتاب تعتمد على الافتراض بأننا نستطيع أن نتنبأ، ونصف الأنماط التى تُسبب صعوبة فى التعلم، والأنماط التى لا تُسبب صعوبة فى التعلم، عن طريق المقارنة المنظمة بين اللغة، والثقافة المراد تعلمها، وبين اللغة والثقافة الأم للطالب " ... وُيتابع لادو قائلاً : " يكمن مفتاح السهولة أو الصعوبة فى تعلم اللغة الأجنبية فى المقارنة بين اللغة الأم، وبين اللغة الأجنبية ؛ فأجزاء اللغة الأجنبية التى تُشابه أجزاء اللغة الأم للمتعلم، ستكون سهلة على المتعلم، أما الأجزاء التى تختلف عن أجزاء اللغة الأم فستكون صعوبة . وأيده آخرون، وبنفس القوة بقولهم : " إن التغيير الذى يجب أن يحصل فى سلوك متعلم اللغة الأجنبية، يمكن أن يساوى الفروق بين تركيب لغة المتعلم الأم، وثقافته، وتركيب اللغة، والثقافة الهدف .

وقد اعتمد إعداد مواد التدريس، فى اللغات الأجنبية، لعدد من السنين، على هذه الافتراضات الأساسية، عن العلاقات بين نظامين لغويين، عند تعلم أى لغة أجنبية، ومنذ سنة ١٩٧٠م والتحليل اللغوى التقابلى يشمل أربعة إجراءات ؛ الأول فيها الوصف :- إذا أن اللغوى أو مدرسى اللغة يصف اللغتين المعنيتين بوضوح مستعملاً أدوات النحو الشكلى . أما الإجراء الثانى فهو الاختيار ؛ حيث يقوم المدرس، أو اللغوى باختيار أشكال محددة - مواد لغوية، قواعد لغوية، تراكيب لغوية - لمقابلة، وذلك لأنه من المستحيل مقابلة كل الجزئيات من كلتا اللغتين - لغة المتعلم الأم، واللغة التى يريد تعلمها - ومن الممكن أن تكون عملية الاختيار تعكس الافتراضات الواعية، أو غير الواعية للباحث . وهذا بدوره يؤثر على الأشكال المختارة لدراسة التقابل . أما الإجراء الثالث ؛ فهو التقابل للنظام ذاته ؛ حيث يقوم الدارس بمقابلة نظام لغوى مع نظام لغوى آخر، بمعنى أنه يقوم بمقابلة النظام اللغوى المفترض أنه يعرفه، مع النظام اللغوى الذى يود تعلمه، مركزاً على مواصفات العلاقة بين كل نظام لغوى والآخر، وهذا الإجراء يعتمد على صدق المنطلقات التى ينطلق فيها الباحث. أى

الدارس . أما الإجراء الرابع والأخير، فيقدم فيه الباحث أو الدارس تنبؤاً بالأخطاء، أو الصعوبات بناءً على الإجراءات الثلاثة الأولى . ويمكن الحصول على هذا التنبؤ، بتشكيل بناء هرمى للصعوبة باستعمال تطبيقات ذاتية " غير موضوعية " للنظرية اللغوية النفسية .

التدرج الهرمى للصعوبة :

جرت محاولات لتقنين مرحلة التنبؤ فى التحليل التقابلى، وإزالة الذاتية " Subjectivity " التى تُحيط بهذه المرحلة، وكل هذه المحاولات تقترح ما سُمى بالتدرج الهرمى للصعوبة، ويستطيع المدرس، أو اللغوى استعمال هذا التدرج للتنبؤ بالصعوبة النسبية، لأى جانب من جوانب اللغة الثانية . وقسموا هذه الصعوبات إلى درجات هرمية، مختلفة، ممكنة لتحديد الصعوبة، لمقابلة النظم الصوتية Phonological Systems وتعتمد تلك الدرجات على فكرة انتقال تأثير التعلم سواء أكان انتقالاً إيجابياً أو سلبياً أو محايداً ... وتعتمد كذلك على البدائل الإختيارية والإجبارية لفونيمات (صوتيات) Phonemes محددة فى اللغتين موضع التقابل .

وبإجراء تحليل منظم ودقيق لخصائص اللغتين " الأم " والهدف " على مقاس التدرج الهرمى للصعوبة استطاع اللغويون التطبيقيون استنباط قائمة دقيقة للصعوبات الصوتية التى قد يواجهها متعلم اللغة الثانية . واشتملت هذه القائمة على التنبؤ بصعوبة أى جزئية معينة بالنسبة لأى وحدة من الوحدات موضع المقابلة ... وفى تدرج هرمى آخر للتراكيب النحوية للغتين موضع التقابل، واشتمل هذا التدرج الهرمى الخاص بالتراكيب النحوية على ستة عشر مستوى من الصعوبة معتمداً على نفس الفكرة المستخدمة لتصميم المعايير الصوتية بالإضافة إلى بعدي التطابق البنيوى (Structuea Lcorrespondence)، والتطابق الوظيفى الدلالى Functional Semantic Correspondence .

ولكن فى سنة ١٩٦٧م شرح كلفورد براتـور Clifford Prator جوهـر التـدرج الهرمى النحوى فى ست درجات من الصعوبة . وينطبق التـدرج الهرمـى الـذى وضعـه براتور على كل من الخصائص النحوية، والصوتية للغـة . وسـوف نـناقش فـى الجـزء التالى الفئات الست مرتبة تصاعدياً حسب صعوبتها، عند تطبيقها على أي لغتين :

مستوى الصفر لانتقل أثر التعلم : **LEVEL 0 – TRANSFER :**

فى هذا المستوى لا يوجد اختلاف بين اللغتين ؛ الأم، والهدف، ويستطيع المتعلم نقل صوت، أو تركيب، أو كلمة من اللغة الأم إلى اللغة الهدف بشكل إيجابى ... وهذا النوع من النقل سهل، ولذلـك سُـمى بمستوى الصفـر ... وأمثلـة ذلـك توجـد فـى فونيمات معينة، وفى فروعها، كمـا توجـد فـى الـتراكيب مثـل النظـام العـام لـترتيب الكلمات .

المستوى الأول : الائتلاف (المماثلة) **Coalescence**

وفى هذا المستوى تأتلف مادتان فى اللغة الأم، فى مادة واحدة أساسية فى اللغة الهدف، ... ويتطلب هذا الائتلاف أن يتغاضى المتعاملون عن التفريق الذى تعودوا على معرفته طيلة حياتهم كالتفريق فى الجنس " مذكر أو مؤنث " أو إهمال نُطق حرف من الحروف فى اللغة الهدف، وإن كان موجوداً فى اللغة الأم . أو يُهمل المعنى بين كلمتـين مثلاً ؛ بين يدرُس، ويتعلَّم . [Teach / Learn] .

المستوى الثانى : ضعف التفريق :

ويحدث هذا عندما توجد مادة فى اللغة الأم، ولا توجد فى اللغة الهـدف، وفـى هذه الحال يجب على المتعلم تجنبها ... كالأفعال المساعدة، أو أدوات التنكير، أو التفريق فى الملكية ... الخ .

المستوى الثالث : إعادة التفسير :

فى هذا المستوى تُعطى أية مادة فى اللغة الأم شكلاً أو توزيعاً جديداً، كالتوزيع

الجديد للأصوات الأنفية، أو الحلقية، أو المعلولة، أو إعادة تفسير لنظام أدوات التعرف بين اللغة الأم، واللغة الهدف .

المستوى الرابع : الإفراط فى التمييز :

وذلك عندما توجد مادة جديدة تماماً لا تُشبه أى مادة فى اللغة الأم، فلابد من تعلمها ... كتعلم أدوات التعريف، أو الجنس النحوى المرتبط بالأسماء الموجودة فى اللغة الهدف، وغير موجودة فى اللغة الأم .

المستوى الخامس ؛ الانشطار " SPLIT " :

فى هذه الحالة، تُصبح مادة فى اللغة الأم، عبارة عن مادتين، أو أكثر فى اللغة الهدف ... وهذا يتطلب من المتعلم عمل تفريق جديد ... ويعتبر الانشطار ضد الائتلاف ... كتعلم الصيغة الإخبارية، والصيغة الشرطية فى اللغة الهدف .

وهذا المستوى الخامس هو أعلى مستوى من الصعوبة لكثرة ما فيه من تداخل ... وهرم الصعوبة المفترض هذا، يمكن تطبيقه على أى لغتين، ويمكن الحصول على شئ من الموضوعات لمرحلة التنبؤ فى التحليل التقابلى .

وباستخدام هرم الصغوبة هذا، وإجراءات التحليل التقابلى التى وصفها ريتمان يمكن الحصول على تنبؤات حول الصعوبات التى سيواجهها المتعلمون . وكمثال على ذلك، فدعنا ننظر إلى تعلم أحد متحدثى اللغة التركية للأصوات الساكنة (Consonants) فى اللغة الإنجليزية، أو الحروف الحلقية فى اللغة العربية، فمرحلتا الصرف، والاختيار فى عملية التحليل التقابلى لهاتين اللغتين وفرتا قائمة الأصوات المتحركة فى اللغتين الإنجليزية والتركية

وبمقارنة لغة مع لغة أخرى تستطيع البدء فى عملية مقابلة الأنظمة ... ويمكن تطبيق ذلك بسهولة بين اللغتين التركية العربية . وسنرى تطبيق ذلك عند الحديث عن اللغة التركية .

الصيغة المخففة للتحليل التقابلي :

ويرى بعض اللغويين أنه بدلاً من افتراض الصعوبات ودراستها وفق التدرج الهرمى السابق، أنه يمكن ترك الصعوبات إلى ما بعد اللغة، أو بعد مقابلة اللغتين ؛ وهذا فى وجهة نظرهم أنفع . فعندما يتعلم المتعلمون اللغة تظهر الأخطاء، وفى تلك الحالة يستطيع المعلمُ أن يستفيد من معرفته للغة الهدف، أو اللغة الأم لمعرفة مصادر الخطأ . ومن الواضح إمكانية عمل تنبؤات عامة باستخدام الملاحظات، والحدس، والخبرة ؛ ولكن اللغة تتكون من مئات الآلاف من المواد، ومن المستحيل التنبؤ بالصعوبة فيما عدا بعض الفروق الصوتية الشديدة الوضوح بين أى لغتين . فى الواقع إن النجاح البسيط للتحليل التقابلى، لا يوجد إلا فى الجزء الصوتى من اللغة . ويصدر المتعلمون فى المراحل المبكرة لاكتساب اللغة الثانية " الهدف " أصواتاً لغوية أجنبية من خلال أنماط ثابتة إلى حد ما، وذلك بسبب أن النطق مهارة حركية، تعتمد على التنسيق العضلى . وهذا عامل له دوره على التنبؤ ببعض التداخل الصوتى . أما التداخل المعرفى الدلالى والمعجمى فيمكن التنبؤ به بسهولة، وذلك بسبب تعقيد التنسيق المعرفى (التفكير، والمعالجة، والتخزين، والاسترجاع) وكثرة متغيراته . وهى بلا شك أكثر تعقيداً من التنسيق العضلى المستعمل فى النطق ...

ولكن نتيجة دراسات مستفيضة، من اللغويين، على شتى اللغات، اتضح أنه سيصبح من الصعب تعلم الأصوات، وتسلسل الأزمنة، والمعانى، أصعب ما يكون، عندما يتطلب الأمر معرفة الفروق الخفية، بين اللغة الهدف، واللغة الأم، أو معرفة تلك الفروق ضمن اللغة الهدف ذاتها ...

لزيادة الاستفادة يمكن الرجوع إلى :

أ. أهم المصادر، والمراجع التالية :

١. ج. قنديس، اللغة، تعريب د/ عبد الحميد الدواخلى، القاهرة، ١٩٥٠م .

٢. د/ محمد السعيد عبد المؤمن، الأساليب الفارسية المعاصرة، القاهرة، ١٩٧٦م .

٣. د/ لطفى عبد البديع، اللغة الشعر، القاهرة " بدون " .

٤. د/ محمد فهمى حجازى، المدخل إلى علم اللغة، القاهرة " بدون " .

٥. د/ على عبد الواحد وافى، علم اللغة، الطبعة السابعة، القاهرة، ١٩٧٢م .

٦. هـ – دوجلاس براون، مبادئ تعلم وتعليم اللغة، ترجمة : د/ إبراهيم بن حمد القعيد، د/ عيد بن عبد الله الشمرى، الناشر مكتبة التربية العربية لدول الخليج، الرياض ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م .

ب. موضوعات للمناقشة :

- اللغة كائن حى، ينمو ويتطور، كنمو وتطور أى كائن حى ... كيف تُدلل على ذلك مما يحيط بك من كائنات .
- ونحن إذ نبحث عن اللغة فى القصائد لا نبحث عما فيها من لفظ مستعار، أو وجه من وجوه التشبيه، بل همنا الوقوف على الوجود الشعرى الذى يتحقق فى اللغة باعتبارها فكراً للشعر لا يلبث الشاعر معه أن يجد نفسه وقد أحاطت به الكلمات من كل جانب ... ناقش هذه العبارة ... مبيناً أهم أدوار اللغة . وما يمكن أن تقوم به بين المجتمعات البشرية .
- أكتب فيما لا يزيد عن خمس عشرين كلمة تعريفك الخاص لكل من اللغة، والتعلم، والتعليم، واللغة الأم، واللغة الهدف ...
- كيف تفرق بين اللغويات النظرية، والتطبيقية، إذا كان بينهما فرق ؟ ولكل مجال علمى ؛ جانب نظرى، وآخر تطبيقى، فما هى أوجه التفريق بين الجانب النظرى، والتطبيقى فى علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الإنثروبولوجيا أو العلوم

الأخرى ذات الصلة بها ... ؟

- هل سبق أن استعملت، أو صادفت قواعد تبسيط التفاصيل النحوية التى يجب أن يعرفها المتعلم ... ؟
- هل ترى أن هناك فرق بين النحو التطبيقى، والنحو التعليمى ؟ وهل تستطيع أن تُعطى أمثلةً لكل منها ... ؟ أو أن تصنف النحو الذى درسته فيما سبق .
- حاول تقليد لكنات شخص تركى أو إيرانى أو باكستانى يحاول التحدث باللغة العربية، وسجل الفوارق التى تُلاحظها مركزاً على الصفات الصوتية التى ستطبقها فى تقليدك ... أتستطيع تعين التداخل فى تلك الصفات الصوتية ؟ حاول تعيين الصفات الصوتية التى يمكن ملاحظتها من اتصالك بمتعلمى اللغة الثانية، ويمكن إرجاعها إلى التداخل من اللغة الأم ... .
- درست افتراض التحليل التقابلى فهل يمكنك تطبيقها على الأنماط اللغوية، والنفسية، وطرق التدريس ؟
- حاول إجراء تحليل تقابلى على جزء من لغتك الثانية، والجزء الذى يقابله فى اللغة الأم .
- ما هى خطوات التحليل اللغوى، إذا ما أسند إليك تحليل ديوان شعرى تحليلاً لغوياً ..
- التطور الدلالى لأى لغة يتوائم مع متطلبات العصر ... هل يمكنك التحدث عن ذلك فيما لا يزيد عن مائة كلمة فقط .

الباب الثانى

أسرة اللغات الهندو — أوروبية ومكانة الفارسية، والأوردية بينها . .

- الفصل الأول :

  اللغات الهندو — أوروبية ..

- الفصل الثانى :

  اللغة الفارسية وتطورها ..

- الفصل الثالث :

  الخطوط الإيرانية ..

- الفصل الرابع :

  نظرة على الصلات العربية الفارسية قبل الإسلام وبعده ..

الفصل الأول

اللغات الهندية - الأوروبية

إن تصنيف اللغات، واللـهجات، المختلفة إلى أسرات لغوية، وليد القرن التاسع عشر، فلم تكن القرابة، بين اللغات تُدرك على نحو علمي، إلى أن اكتشفت اللغة السنسكريتية؛ لغة الهند القديمة. لقد قُورنت السنسكريتية، باليونانية، واللاتينية، وثبت من هذه المقارنات، وجود قرابة لغوية بين هذه اللغات. والواقع، إن هناك صلة، وثيقة العُرى، بين الأسرة الكبيرة للغات الهندية – الأوربية ذات الجذر الواحد الحتمي. فقد اهتدى العالم (بوب) Bop إلى القرابة التي تربط اللغات الأوربية بعضها البعض، وإلى تلك التي تربطها باللغات الهندية الإيرانية. وتُسمى آثار اللغات الهندية الإيرانية، بالأريائية، تأكيداً للأصل المشترك بينهما. واستدلالهم اللغوي واسع، بعد اكتشافهم عدداً من المفردات الأوربية التي لا تزال موجودة في السنسكريتية، أو الفارسية القديمة.

ومن ذلك كلمة " برادر-الأخ "في الفارسية، و" بهراتري " في السنسكريتية، فإنها تشبه Brather في الإنجليزية، كما أن كلمة " دختر-الإبنة " في الفارسية، و " كاتيا " في السنسكريتية تشبه كلمة Tochter في الألمانية. وهي كذلك في الإنجليزية بدون نطق gh وكذلك " مادر - الام " في الفارسية، " ماتري " في السنسكريتية تُشبه كلمة Mother في الإنجليزية و" پدر-الأب " في الفارسية،

و" بيتري " في السنسكريتية قريبة من كلمة؛ Father في الإنجليزية. والرقم " دو -اثنان" في الفارسية قريب من Two الإنجليزي و Deux الفرنسي. وكذلك العدد " نه- تسعة " قريب من Neuf الفرنسي و Nine الإنجليزي. إلى غير ذلك من المفردات المتشابهة الكثيرة .

ولقد تقدم البحث شيئاً فشيئاً، وقورنت لغات أوربا إلى أن اتضحت معالم أسرة لغوية كبيرة، تضم لغات كثيرة، في الهند، وإيران وأوربا، وقد أطلق الباحثون على هذه الأسرة اسم " أسرة اللغات الهندية – الأوربية Indo-European Languages " باعتبار أنها تمتد من الهند إلى أوربا. ولما كان الباحثون الألمان؛ مُولع كل منهم بكل ما هو جرماني، ومن ثم فهي عندهم أسرة اللغات الهندية الجرمانية Indo-Germanische Sprache باعتبار أنها تبدأ في الهند، وتنتهي عند اللغات الجرمانية.

تضم هذه الأسرة اللغوية عدداً من اللغات القديمة، والوسيطة، والحديثة .

لقد أخذنا بالتسمية الأولى، باعتبار أنها تقوم على أساس جغرافي، واضح، وتشير إلى المنطقة الممتدة من الهند، إلى أوربا. وليس معنى هذا أن أسرة اللغات الهندية – الأوربية؛ تضم كل لغات هذه المنطقة، الكبيرة، في العالم. فهناك لغات كثيرة؛ قديمة، وحديثة، توجد في هذه المنطقة، ولاتنتمى إلى الأسرة الهندية الأوربية؛ فاللغتان العيلامية، والسُومرية ليستا من اللغات الهندية – الأوربية. وكانت العيلامية؛ في غرب ايران، والسومرية في العراق القديم .

أما اللغات الهندية الأوربية المتشعبة عن الأصل القديم الواحد فهي :

تَخاري، تُوتّني، ألماني، نرويجي، إنجليزي، لاتيني، فرنسي، إيطالي أسباني، برتغالي، روماني، يوناني كَلْتي، ايرلندي، بريطاني، ويلزي، هنتي، بالت، وسلاڤي، ليتواني، روسي، بُولندي، بُلغاري، أرمني، ألباني، آرياني، هندي، إيراني .

وترجع اللغات الهندية – الأوربية المختلفة، إلى اصل واحد. وقد اتفق العلماء

على أن هذا الأصل، يرجع إلى سنة ٢٠٠٠ ق.م تقريباً، وظهر في منطقة ما، هي مهد اللغات الهندية الأوربية. وعندما هاجرت الجماعات الهندية البشرية، من هذه المنطقة، في فترات تاريخية، متلاحقة، أخذت اللغات المختلفة تتكون، وتنفصل عن بعضها البعض، وتختلف بالتالي عن اللغة الأصل، أي أن الباحثون يربطون بين الهجرات، وبين نشأة اللغات المختلفة .

اللغات المفردة :

اللغات المفردة أو المستقلة في نطاق الأسرة الهندية – الأوربية هي تلك اللغات التي تكون كل منها فرعاً مستقلاً بذاته، وأقدم هذه اللغات " الحيثية " المكتوبة تارة بالخط المسماري، وتارة بالخط الصُّوري، أو الهيروغليفي .

واللغة اليونانية، والأرمنية تكوِّن كل منها فرعاً مستقلاً داخل المجموعة الهندية الأوربية. وتكاد تكون اللغة الألبانية آخر لغة أوربية انتظم تكوينها إلى الآن، فقد دونت بعض نصوصها في القرن الخامس عشر الميلادي. كتبها البعض بالخط اليوناني، وكتب الآخر بالخط اللاتيني .

الفرع الهندي :

تضم شبه القارة الهندية عدداً من اللغات، والمقصود بالفرع الهندي هنا تلك اللغات التي تدخل في إطار الأسرة الهندية – الأوربية. ويبدأ تاريخ الفرع الهندي حوالي سنة ٢٠٠٠ ق . م فهو بذلك من أقدم الفروع الهنداوروبية. وتعد السنسكريتية أقدم لغة من لغات العالم التي تناولها البحث النحوي. فاللغوي الهندي "بانيني" وضع قواعد السنسكريتية حوالي سنة ٤٠٠ ق.م وما تزال هذه اللغة معروفة، ويؤلف بها حتى اليوم .

ومن أهم لغات الفرع الهندي في العصور الوسطى لغة باللي(Pali) وهى لغة بوذا أو البوذية، وقد دونت بخطوط كثيرة كالخط الكمبودي، والسيامي، والبَرنامي والسنهاليزي كما يكتبها الباحثون الأوربيون بالخط اللاتيني .

وأهم اللغات الهنداوربية المعاصرة في شبه القارة الهندية هـي اللغـة الأوردية، والهندية، والبنغالية، والبنجابية، والمرائية، والراجستائية، والهادية، والأردية هـي عند المسلمين " الأوردو " ويكتبها المسلمون بالخط العربي، ويتيح لها هذا الإفادة من ألفاظ فارسية، وعربية، وتركية كثيرة. فاللغة الأردية إحدى اللغات الإسلامية المهمة .

فالأردية إحُدى لغات المنطقـة الغربيـة في الباكستان، والبنغالية لغـة المنطقـة الشرقية وتمتد عبر حدود الباكستان الشـرقية أو بنغـلادش " بنجلاديـش " إلى داخـل الهند فهناك عدة ملايين من أبناء اللغة البنغالية مـن مواطـني الهنـد، والى جـانب اللغـة الأردية توجد في الباكستان أربع لغات تستوعب مجالات الحيـاة اليوميـة؛ وهـي اللغـات السِندية في إقليـم السـند " كراتشـي " والبنجابيـه في إقليـم البنجـاب " لاهـور " والباشتو في إقليم سَرْحَدْ " پـشاوَر والبلوشية في إقليـم بلوشـتان " كوتـا" واللغتـان السندية والبنجابية من الفرع الهنـدي مـن اللغـات الهندية – الأوربيـة. أمـا اللغتـان البلوشية والباشتو فهما من الفرع الإيرانى للأسرة الهندية الأوربية .

ومن الإيرانية تتشـعب الإيرانيـة القديمـة " الفارسـية القديمـة " الأوسـتائية والإيرانيـة الوسـطى " الـپـهلويـة "، الختنيـة، الصغديـة ،... والفارسـية الحديثـة " اللغة الدَّرية " وهي لغة ما بعد الإسلام، ومن الهنديـة تفرعـت " السنسـكريتية " البنجابية، الكجراتية، المرائية، الهادية، البكالية .

إيران وفارس :

إيران لفظة مشتقة من لفظ "آريان " وهي القبـائل الآريـة، أو الآريائيـة الـتي كانت تعيش قبل الميلاد في المناطق الممتـدة بـين الفـرات مـن نلحيـة المغـرب، إلى نـهر سيحون ونهر السند من نلحية الشرق، ومن بحيرة آرال وبحر قزوين وجبل القوقاز شمالاً، إلى الخليج والمحيط الهندي جنوباً .

أما فارس فهو اسم للإقليم الجنوبي من إيـران، ولمـا كـان قـورش قـد نشـأ في فارس، وجعل منها عاصمـة للدولـة فقـد غلب اسم ذلك الإقليم على البلاد الـتي

سكنها الإيرانيون وعلى اللغة التي يتكلمونها، فقيل بلاد فارس، واللغة الفارسية .

اللغات الهندية الإيرانية :

نشأت اللغات الإيرانية من أصل واحد، ثم بَعُـدَت شِـقَّة الاستقرار بينهما، فأسستا حضارتين، متفاوتتين في المظاهر، والتفكير، والبيئة . ومع تباعد اللغتين الآن، فإن بعض الباحثين يجد أن خمساً وثلاثين في المائة من الكلمات الفارسية — القديمة والحديثة — قريبة من المفردات السنسكريتية في النطق . وإليك نماذج من هذه المفردات مع معانيها العربية :

السنسكريتية؛	الفارسية؛	المعنى العربي؛
أسْوا	آسِب	الحصان
كَبوتا	كبوُتَرْ	الحمامة
جانو	زانو	الركبة
دانتا	دندان	السن
دْورا	دْور	البعيد
كَاهارما	كَرم	الحار-الساخن
شرد	سرد	البارد
آب	آب	الماء
بيتري	بيدر	الاب
ماتري	مادَرَ	الام
نَوا	نُهْ	تسعة
بهْرَاتِري	برادر	الأخ
قَرْتيا	مَرْد	الرجل
نَرمْا	نَرْمْ	ناعم
پـنجا	پـنج	خمسة

الفصل الثانى

اللغة الفارسية وتطورها

يرجع تاريخ اللغة الفارسية إلى سبعة قرون قبل الميلاد، أى يمكن تتبعها في وثائق مكتوبة منذ مدة تقرب من ٢٧٠٠ عاماً، ويمكن تقسيم اللغات " الفارسية " إلى ثلاثة أقسام :

١. اللغات الإيرانية القديمة ؛
٢. اللغات الإيرانية الوسطى ؛
٣. اللغات الإيرانية الحديثة ؛

((١))

الإيرانية القديمة : " پارس باستان " : وتبدأ منذ أن تفرعت اللغات الإيرانية عن المجموعة الآرية. أي منذ بداية الألف الثاني قبل الميلاد تقريباً، وحتى القرنين الرابع والثالث ق.م. وأهم هذه اللغات التي سادت في هذه الفترة؛ اللغة الفارسية القديمة، واللغة الأڤستية، خاصة في عهد الأكمينيين (٥٥٩ – ٣٢٣ ق.م) .

أما الفارسية القديمة : فكانت اللغة الرسمية في عهد الدولة الأكَمينية، وهي التي دون بها الملوك أخبارهم، وحروبهم، وحتى عهد أردشير الثالث (٣٥٩ – ٣٣٨ ق.م) وأن أقدم ما وصل إلينا من آثارها يرجع إلى أيام قورش الأول. وهي ضمن النقوش المطولة، التي تركها ملوك الأكمانيين " الْهَخَامَنْشيين "، مسجلة على الأواني، والأحجار، والصخور في " بيسْتون " بالقرب من كِرمانْشاه.

وتخت جمشيد، ونقش رستم في فارس، وفي ألْوند، والشوش، وآسيا الصغرى، ومصر، وكانت تُكتب بالخط المسماري. وقد أكد المستشرقون الذين تمكنوا من حل رموز الجمل الفارسية القديمة في " بيستون " أن اللغة التي دُونت بها النقوش ليست لغة الأوستا المدوَّن بها كتاب زَرْدُشت، وأعظم هذه النقوش خطراً نقش " دارا " = داريوش حيث يتضمن أربعمائة وعشرين سطراً، ويتكون كل سطر من خمسة وأربعين حرفاً، وكل حرف من ثلاث أو خمس علامات .

وقد سجل " دارا " في تلك النقوش أعماله، كما دوَّن أسماء أعدائه، وأوضح بسطه للأمن، والعدل، وعدد ممالك دولته، وحمده للإله آحُورامَزْدَا، وتجنبه للكذب، والكذابين، ونفوره من الخيانة والخائنين .

لغة الافستا :

وهي اللغة التي كُتِب بها الكتاب الديني، لِزَرادُشْت، نبي الفرس القدماء، وهو الكتاب الذي يُعرف بالأڤستا أو الأپستاق، وتكتب هذه اللغة بخط أ ڤستاني، من اليمين إلى اليسار، ويسمى هذا الخط باسم " دِين دَبيره " ولايمكن تحديد المكان الذي انتشرت فيه تماماً، وإن كان الرأي الأكثر ترجيحاً أنها عرفت حيث ظهر زَرَادُشْت .

وكانت تختص هذه اللغة بكتابات رجال الدين، وبالكتب المقدسة، وقد حوت وحفظت لنا هذه الكتب شيئاً كثيراً من هذه اللغة، وآدابها، من العهد الأكميني. بالرغم من استيلاء الإسكندر المقدوني على إيران، وإحراق مكتبة أصْطُخْر، وتخت جمشيد. ثم كانت السيطرة اليونانية، واللغة اليونانية التي أدت إلى إختفاء، أوتشتت الكتب المقدسة، حتى جاء عهد الساسانيين فعمل " أردشير بابكان " على إحياء كتب الأفستا، فأمر بجمعها، وتأليفها. وهذه هي المجموعة الموجودة الآن بين أيدي الباحثين .

والخط، الذي كُتب به الأفستا – الساسانية – كان مأخوذاً من الخط الپهلوي، وقد أكمل، بحروف صائته، كانت غير معروفة في الپهلوي. وأصبح

— بفضل جماعة من رجال الدين — من أفضل الخطوط الفارسية، ويحتوي على أربعة وأربعين حرفاً، صائتاً وصامتاً .

((٢))

الإيرانية الوسيطة : " پارسي ميانه " :

ومما لاشك فيه أن هاتين اللغتين قد تُركتا للعهود التالية، والدارس للغة الفارسية الوسطى، يجد أن هناك لغتان رئيسيتان، أو على الأصح؛ في رأي الدكتور محمد سعيد عبد المؤمن، هناك خطان رئيسيان هما الخط الپهلوي، الأشكاني، والخط الپهلوي الساساني، فكانت اللغة الپهلوية الأشكانية هي اللغة الرسمية في العصر الأشكاني، الذي أتى في أعقاب الإسكندر الأكبر .

وكلمة " پهلوي " نسبة إلى" برثوه "، وهي القبيلة الكبيرة التي كانت تعيش في الناحية التي تُسمى اليوم بمقاطعة خُراسان. واشتهرت هذه القبيلة بالشجاعة، والبطولة، وخاصة في حروبها مع اليونان، وطردها من إيران (٢٥٠ ق.م) وذلك بعد فتح الإسكندر لإيران بثمانين سنة .

وأسست هذه القبيلة، الدولة الأشكانية، التي انقرضت في سنة ٢٢٤ ق.م، والتي ورثتها الدولة الساسانية، ويمتد تاريخ هذه الدولة من بداية الدولة الأشكانية (٢٥٠ ق.م)إلى انهيار الدولة الساسانية، ودخول الإسلام إلى فارس .

والخط البهلوي؛ يتكون من خمسة وعشرين حرفاً، صائتاً، وصامتاً. وقد اشتق من الخط الآرامي — أحد الخطوط السامية –، ويُكتب من اليمين،إلى الشمال، وقد أُضيف إلى الخط الآرامي، علامات تلائم نطق الحروف، والحركات الفارسية .

ومن خصائص هذا الخط؛ أنهم كتبوا بعض الكلمات السامية، بنصها، وشكلها، ولكن نطقوها بمعانيها في الفارسية. فقد كتبوا مثلاً "عسا" التي تقابل كلمة عشر بالعربية، ولكنها كانت تنطق "ده" بالفارسية. وكذلك كلمة "ملكان ملكا"،

وتنطق " شاهنشاه" وتُسمى تلك الكلمات السامية التي تنطق فارسياً "هزوارش"وكان هذا مما عقد كتابه البهلوية وفهمها.

وتنقسم لغات المرحلة الوسطى إلى مجموعتين:

أ. الجموعة الشرقية:

ومنها " لغة الأشكانيين البهلوية "، التي ظهرت في القرن الثالث ق.م، وبرزت في القرنين الأخيرين، من الفترة المذكورة. ولم يبق من آثار تلك اللغة إلا القليل، النادر، من بعض النقوش، والكتب، والرسائل، ومن الجموعة الشرقية أيضاً " اللغة الصغدية " التي كانت منتشرة في بُخارا، وسمرقند، وصغد. ولقد لقيت هذه اللغة رواجاً حتى حدود الصين، إبان سطوة ملوك صغد، وظلت معروفة في الحضارة الإسلامية، لعدة قرون. وترجع أقدم نصوص وصلت إلى الباحثين بهذه اللغة إلى القرن الرابع الميلادي، حيث وجدت هذه النقوش في منطقة بُخاري، وسمرقند هذه الآثار المتبقية، متعلقة بالأمور الدينية، للبوذائيين، والمانويين، والمسيحين، وقد أُقتبس خط هذه اللغة عن الآرامية، وذلك عندما آراد ماني = (الذي كان نفسه من أبناء إحدى اللهجات عن الآرامية الشرقية) — أن يُقدم للملك نُسخة من تعاليمه مدونة في كتاب، فأفاد من هذه الكتابة، المبسطة في تدوين الفارسية الوسطى. وبهذا دونت الفارسية الوسيطة، لأول مرة بكتابة، محدودة العناصر، سهلة التعليم. ولما كانت دعوة ماني، تُعد تهديداً لرجال الدين الزُرادشت، فقد ظلت كتابته موضع هجوم. وهكذا، اقتصر استخدام الكتابة المانية، على الجماعات المنتسبة إلى تلك الديانة. وبها دونوا البارثية إحدى اللغات الإيرانية الوسيطة.إلى جانب الصغدية موضع البحث، بل ودونوا بها نصوصاً من الفارسية الحديثة، ومن لغات غير إيرانية مثل الأيغورية التركية.

ثم كانت (اللغة الاتكائية = الخَتَنِيَّة) وآثارها المتبقية، ترجع إلى الفترة الممتدة بين القرنين السابع، والعاشر الميلاديين، وبوذائي، فيها قصص، ومتون طبية، وتمتاز بقواعدها المبسطة. وكذلك"اللغة الخوارزمية"، التي ظلت رائجة، حتى القرن الثامن،

وبقيت لنا آثاراً ، من هذه اللغة، مكتوبة بالخط الآرامي، وأخرى، بالخط العربي، وقد ظلت محتفظة بالخصائص اللغوية الإيرانية الوسطى، قروناً طويلة في الحضارة العربية الإسلامية .

ب. المجموعة الغربية :

وهي التي تسمى بالبهلوية الساسانية، وأساسها، اللهجة الأصطخرية، وكانت اللغة الرسمية في بلاط الساسانيين، وسادت في الجنوب الغربي لإيران، وقد أتت لاحقة للبهلوية الأشكانية، ونقلت عنها الكثير، من الكلمات المتعلقة، بالحياة الدينية، والسياسية، والإجتماعية. وكذلك بعض الجمل، وكثير من الأفعال العادية. ولقد دأب ملوك الدولة الساسانية، على تشجيع نقل نصوص الأفستا، إلى اللغة البهلوية الساسانية، ولكن الكتب الدينية، المكتوبة بهذه اللغة لم يقدر لها أن تصل إلينا جميعاً، بعد الإسلام، نظراً لما أمر به الخليفة عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" لدى فتح إيران، بإحراق، وإتلاف الكتب المدونة بهذه اللغة، لأنها مشوبة بالكفر، والإلحاد. ومن العجيب، أن معظم الكتب البهلوية، التي وصلت إلينا، كانت قد دُونت في القرون الأولى، من العصر الإسلامي. فقد كان المؤابنة، ورجال الدين الزرادشتي، يقومون بهذا العمل، للحفاظ على الديانة الزرادشتية، ومقاومة المحاولات التي راجت في العالم الإسلامي، للنيل من هذه الديانة. وأخذت بالإنحدار، والإضمحلال، منذ القرن الرابع الميلادي، وأغلب الآثار المتبقية منه، كتابات بالخط الآرامي .

اسباب زوال اللغة البهلوية :

بقدوم الإسلام إلى إيران، نُسيت هذه اللغة، ولم يعد الشعب الإيراني، تواقاً إلى استخدامها، لميل الشعب، آنداك، إلى العربية، والفارسية الدُّرية، لصعوبة كتابة، ونطق الـپـهلوية. ومن أسباب زوال اللغة الـپـهلوية :

١. أن كان الخط الـپـهلوي صعب ومعقد إلى جانب سهولة العربية، وخطها،

ذلك أنه كان لديهم سبعة خطوط، وحروف أحد هذه الخطوط تبلغ ٣٦٥ حرفاً .

٢. كما كان ميل الناس إلى لغة الحكم، والقصر الحاكم، وضيق مجال الألفاظ، الپهلوية، أمام حاجة العصر الجديد، من العوامل التي تسببت في زوال اللغة الپهلوية .

٣. انتشار اللغة العربية، بواسطة القرآن، والترجمات التي جرت بعد الإسلام بمائة سنة من السريانية، والپهلوية، واليونانية، والهندية بحيث صبت هذه الترجمة في العربية علوم العصر جميعها .

٤. كانت اللغة العربية لغة الأمة الحاكمة، الغالبة، وكل من أراد العمل في سلك الحكومة، أو التقرب من رجالات القصر، كان عليه أن يتعلم العربية، بل يتقنها

٥. اعتبرت اللغة العربية اللغة العلمية، وعلى من أراد العمل في الحقل العلمي، أن يدرس العربية بتعمق، وإمعان، فيهمل بالتالي لغته الأصلية .

٦. تشجيع الأمراء العرب، وبعض الأمراء الفرس، على نشر اللغة العربية، والفارسية الدرية .

٧. العمل الديواني؛ كان بإحدى اللغتين؛ العربية، أو الفارسية الدرية .

٨. أحب الشعراء الفرس، قرض الشعر، بلغة الشعر العربي، فظهر عندهم شعراء تسموا بذوي اللسانين، وظهر شعراء مدحوا الأمراء الفرس بلغة البلاط، وهي " الفارسية الدرية " .

٩. قلة الزرادشتيين، المهتمين بالپهلوية، ورحيل أكثرهم إلى الهند أدى إلى ضياع آخر أمل في استمرار اللغة الپهلوية .

١٠. حملة المغول محت كل أثر غفلت عنه الأسباب السابقة .

ورغم كل هذه الأسباب، التي تضافرت على إفناء اللغة الپهلوية، فإنها بقيت معروفة، حتى القرن الخامس الهجري، والفضل في ذلك للمؤابذة، وبعض

العلماء. من سكان بغداد، الذين كانوا يكتون بها، أو يترجمون منها. فكان الأدباء يترجمون بعض الكتب البهلوية، المكتوبة قبل الإسلام، وبعده،إلى العربية، أو الفارسية، كقصة "وَيْس ورامين" المكتوبة في عهد "شابور الأول" قبل الإسلام. فقد ترجمها الشاعر فخري كَركَاني إلى الفارسية الدرية شعراً، في القرن الخامس الهجري، وكذلك، فإن إبن المقفع سبقه بترجمة.القصص الرمزية المشهورة " كليلة ودمنة " .

وكان لرجال الدين الفرس في بغداد، وفارس، مطلق الحرية، في العمل باللغة البهلوية، وخاصة في عهد المأمون "١٩٨-٢١٨هـ" إذ أن " أنور قرن بَغ فرُّخ زاتان " المؤيذ ألف كتاب "دين كرت" الذي يحتوي على الآداب الدينية الزرادشتية، ويشتمل على تفسير قسم كبير من الأوفستا في عدة مجلدات، ويعتبر عدد المفردات اللغوية التي استخدمت في فترة ما بعد الإسلام أربعة الآف مفردة پهلوية، هي الخزينة، والنبع الذي يستقي الإيرانيون منهما لغتهم اليوم، بالإضافة إلى ماعندهم من مفردات عربية ومفردات تركية، ومغولية عديدة .

أما أهم الكتب المترجمة من البهلوية إلى العربية فهي (بَهْرام جُوبين، كليلة ودمنة، هَزار ويك شب، خداينامه) . . ومن الكتب التي ضاعت أصولها، وبقيت ترجمتها العربية والفارسية (مزدك نامة، شروين وخورين نامة، سندباد نامه) وتوجد مخطوطات أخرى في المكتبات، والمتاحف، يرجع تاريخها إلى القرنين السادس، والسابع الميلادي .

من ذلك يتبين؛ أنه رغم زوال اللغة الپهلوية، وعدم استعمالها، من قبل العامة، ورغم انتشار الدُّرية، والعربية، في بقاع إيران، فإنها بقيت تنازع الموت فترة ما في بعض زوايا العراق، وإيران، يحثها الدين الزرادشتي على البقاء، والذكر .

ولما وصلت جحافل المغول إلى أرض إيران، والعراق لم يستطع الزرادشتيون البقاء مطلقا، فرحلوا إلى الهند، ويزد، وكرمان ومنذ ذلك التاريخ فقدت اللغة البهلوية في إيران آخر سهم لها من التشجيع، وانعدم بذلك البصيص الخافت الذي كان يشع من حين إلى آخر .

وكان يمكن للغة الساسانية، أن تعيش خاصة، وأن مختلف مناطق إيران التي فتحها العرب كانت تسير في إدارتها على نمط النظم المحلية، وكانت الدواوين في العراق، وإيران لا تزال تقوم بأعمالها طبقاً للنظام الساساني، خاصة في المحاسبات وثبت الأراضي، والأعمال الإدارية العادية، وكانت تدون باللغة الپهلوية، وبخط پهلوي. لذلك كان يمكن للغة الفارسية أن تستمر في الحياة كما هي لولا أن اجتهد الحجاج بن يوسف الثقفي حاكم العراق، وخراسان من قبل الدولة الأموية، في تطبيق أوامر الخليفة، بتعريب الدواوين. فقام بهذا العمل "مردانشاه بن زاد انفرخ" فنقل الديوان من الپهلوية إلى العربية. ولقد حاول الإيرانيون أن يرشوا هذا الرجل، بمبلغ خيالي من المال، ليقلع عن عمله، ويدعي عدم القدرة عليه، ولكن الرجل رفض، لخوفه من الحجاج، وطمعه في التقرب إليه. فكان تعريب الدواوين الفارسية حداً فاصلاً بين اللغة الفارسية في أثوابها القديمة، واللغة الفارسية الحديثة أو الإسلامية .

((٣))

اللغة الفارسية بعد الإسلام :

لم يكن الفتح العربي لإيران مسألة عسكرية بحتة، وإنما كان غزواً دينياً، ولغوياً — إن صح التعبير — فقد حمل العرب معهم الدين الإسلامي، وحاولوا جاهدين نشره في بلاد الفرس، وقد نجحوا في ذلك، ونظراً لأن اللغة العربية هي لغة الدين الجديد، فكان على أتباع هذا الدين أن يتعلموها لدراسة دينهم، والتفقه فيه، فلما قامت الدولة الأموية بتعريب الدواوين أقبل الإيرانيون على تعلم اللغة العربية؛ إما ليبلغوا الوظائف الرسمية في الدولة، وإما ليتمكنوا من التعامل مع دواوين الحكومة، وموظفيها. ولكن المتتبع لخط سير الفتح العربي لإيران يدرك أن الفتح اتجه من الغرب، والجنوب الغربي إلى الشرق لذلك كانت المناطق الغربية من العراق، والبلاد الإسلامية أكثر تأثراً باللغة العربية من المناطق الشرقية، والشمالية الشرقية. لذلك يستطيع الدارس

أن يرجح أن اللغة الفارسية قد ظلت متداولة في كثير من المناطق الشرقية، والشمالية الشرقية، ولم تفقد قدرتها باعتبارها لهجة عامية، خاصة في التعامل بين سكان هذه المنطقة بدليل أنها عادت تزحف من جديد تجاه الغرب .

وقد ساعدت الشعوبية على إخراج اللغة الفارسية من عزلتها، وتقويتها، وتوحيد كل لهجاتها حتى صارت لغة للكتابة، حيث كُتبت بها الكتب الدينية، والتاريخية، فكثرت المؤلفات باللغة الفارسية الـبـهلوية في القرن الثاني الهجري، وحيث حاول الشعوبيون من الفرس أن يسجلوا مظاهر الحضارة الفارسية القديمة، وأن يُثبتُوا أن الفرس أعرق حضارة من العرب. غير أن حركة الشعوبية لم تلبث أن ضعفت، وبدأ نفوذ الشعوبيين من الفرس يقل تدريجياً بعد حركة الاتهام بالزندقة التي ظهرت كرد فعل في الدولة العباسية، حيث اتهم كثير من الشعوبيين الفرس بالذندقة، وبأنهم يحاولون إحياء الديانة المجوسية القديمة؛ مما أدى إلى القضاء على عدد كبير منهم، وإتلاف الكثير من الآثار الشعوبية. ولكن بقيت لها آثار لايمكن إنكارها في المناطق البعيدة عن مقر الخلافة الإسلامية، مثل منطقة خراسان، وما حولها من مناطق الشرق والشمال الشرقي رغم أن خراسان كانت من الولايات الإيرانية التي كان يهتم بها الخلفاء المسلمون. فلما تهيأ للإيرانيين أن يستقلوا استقلالاً تاماً عن الخلافة العباسية، نشطت حركة الشعوبية من جديد، واستمرت آثارها حتى ظهرت اللغة الفارسية الإسلامية كلغة رسمية للولايات الإيرانية المستقلة عن الخلافة العباسية .

((٤))

اللغة الفارسية الحديثة :

اللغة الفارسية الحديثة: تُسمى " زبان درى " وهي الصورة المتطورة من اللغات الفارسية القديمة، السابق الإشارة إليها، وتتضمن لهجتين منهما، هما اللهجة البـهلوية، أو لغة الخاصة، واللهجة الدُرية، أو لغة العامة التي كانت منتشرة في فارس

في عهد الدولة الساسانية .

وتمتد رقعة اللغة الفارسية الحديثة (فارس نو) في إيران، وأفغانستان، وبعض من تاجيكستان، وبلاد ما وراء النهر، ويزيد عدد المتكلمين بها على الأربعين مليون نسمة كما أن باكستان، والهند وتركية، والعالم العربي على معرفة تامة بها. وللفارسية الحديثة اسم آخر هو (زبان دري — اللغة الدرية) .

واللغة الفارسية الحديثة؛ هي اللغة التي حلت محل اللغة البلهوية منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، ويرجع تاريخ انتشارها إلى زمن شيوع الخط العربي، في إيران وحلول الألفباء العربية بشكلها الحالى محل الخط البهلوي المعقد، وقد غدت اللغة الفارسية، الدرية (فارس نو) اللهجة الرسمية، والأدبية لجميع السكان، وخاصة الطبقة المثقفة منهم، رغم وجود لهجات عديدة غيرها .

وقد تسمت هذه اللغة بالدرية لأنها كانت لغة البلاط الساساني، ولأن اصطلاح الدرية مأخوذ من كلمة " دَر" أو "دربار" بمعنى بلاط. ولما كان بلاط الساسانيين في المدائن، فإن هذه اللغة كانت سائدة في الجنوب، والجنوب الغربي، وهي على أرجح الأقوال البهلوية الساسانية بلهجاتها العامية في هذه المناطق. ولكن ظهورها بعد الإسلام لم يكن بالشكل التي كانت عليه قبل دلك .

وأصل ظهور هذه اللهجة في شمل شرقي إيران، أي في ناحية خراسان، ولما كانت خراسان أول منطقة إستقلت بعد الإسلام، فإن الشعراء، والأدباء اقتربوا من عاصمة خراسان، ومدحوا، وتزلفوا بلغة البلاط الرسمية، مما ساعد على رواجها في المجال الأدبي ثم ما لبث أن اكتملت، ونضجت في القرن الثالث، ولازالت حتى اليوم هي اللغة الدارجة بين الفرس .

ويُرجح أن تكون اللغة الدرية قد برزت من تفاعل البهلوية الساسانية والأشكانية مع اللهجات المحلية الأخرى، وبالتالى من اللغة العربية بعد الإسلام .

وقد ذكر المؤرخون القدماء سبب تسميتها، ومكان نشوئها؛ فالمقدسي يبين في (أحسن التقاسيم) سبب تسميتها بقوله : لأنها اللسان الذي تُكتب به رسائل السلطان وتُرفع بها إليه القصص – العرائض – واشتقاقها من ال(دَر) وهو الباب بالفارسية .

ولقد كانت اللغة الدرية في بادىء الأمر لغة أهل المداين – عاصمة إيران في ذلك الوقت – وبلخ. كما أن (در) بالبهلوية تعني العاصمة، والبلاط وهذا يدل على أنها بالفعل كانت لغة أهل العاصمة، ورجال الحاشية، وفي ذلك يقول ابن النديم في (الفهرست) نقلاً عن ابن المقفع :

"وقال ابن المقفع : لغات الفارسية، الفهلوية، والدرية، والفارسية، والخوزية، والسريانية فأما الفهلوية فمنسوبة إلى فهلة اسم واحد يقع على خمسة بلدان وهي : أصفهان والري وهمدان وماه نهاوند وآذربايجان. أما الدرية فلغة مدن المدائن وبها يتكلم مَنْ بباب الملك، وهي منسوبة إلى حاضرة الباب، والغالب عليها من لغة اهل خراسان، والمشرق لغة، اهل بلخ" .

وعلى هذا خرجت الفارسية الدرية من تأثر، وتمازج عدد من اللهجات الإيرانية، وتطعمت باللغة العربية، وكُتبت بخطها، وصارت اللغة الأدبية الرائجة، والفصيحة في مجالي؛ الشعر، والنثر، على حد سواء .

الأثر العربي في الفارسية الإسلامية :

ومن أهم المظاهر التي يبدو فيها الأثر العربي؛ واضحاً هو استخدام الفارسية للخط العربي، وذلك لأن الفارسية البهلوية لم يعد خطها صالحاً للكتابة، حيث لم تكن الكتابة البهلوية شائعة بين الفرس أنفسهم، إذ كانت محصورة بين طبقات الكتاب دون غيرهم، مما عقّد الكتابة، وجعل من الصعب تعليم الخط للناس، ولم يكن الإيراني المسلم ليرضى أن يبذل جهداً كبيراً في تعلم اللغة البهلوية، وخطها، وهي المرتبطة في ذهنه بالديانة الزرادشتية، وأمامه الحروف العربية سهلة وميسورة، وهي

التي يُكتب بها لغة الدين، والقرآن، والحديث .

كذلك يبدو الأثر العربي في كثرة الألفاظ العربية، التي دخلت هذه اللغة، فقد دأب الإيرانيون على إستعارة كل ما يحتاجوا إليه من ألفاظ عربية، خاصة ما يتعلق بالدين الإسلامي، كما اقتبس الإيرانيون أيضاً المصطلحات العربية في سائر العلوم والفنون، كما سيأتي بيانه، وبقيت هذه المصطلحات على حالها في كتب الفقه، والتفسير، والتاريخ، والفلسفة، والتصوف، والطب، والحكمة، والهندسة، والنجوم، وغير ذلك من العلوم .

كما يلاحظ الدارس استعانة الفرس ببعض القواعد العربية، واستخدام أوزان الشعر العربي في الشعر الفارسي، بكل بحوره، وقوافيه مما يجعل دارس الفارسية يُراجع علمي العروض، والقافية في اللغة العربية .

ولم يقفوا عند هذا الحد فيما بعد؛ فقد أسرفوا أحياناً في استخدام، واستعمل الكلمات العربية، التي لها مرادفات في الفارسية .

اللهجات الأخرى : وإلى جانب هذه اللغة وُجِدت عدت لغات، ولهجات محلية منتشرة في أرجاء إيران، وقد اصطلح الشعراء القدماء على تسمية باقي اللهجات المتداولة بالبهلوية، والشعر المنظوم بها بـ (الفهلويات)، كما في البيت المنسوب إلى عمر الخيام :

بلبل به زبان بهلوي باكَلِ زرد *** فَرياد هَمى زندكه مَن بايد خورد

وكان أغلب الشعر المنظوم بغير الدرية؛ عبارة عن (دوبيت) و (رباعيات).
ويبلغ عدد هذه اللغات، واللهجات. عدا اللغة الدرية. ثلاثين لغة إيرانية، هي : الإرانية، الخوزية، رام هرمزية، المراغية، الهمدانية، الصغدية، البخارائية، السمرقندية، المروزية، الهراتية، البلخية، الطخارية، النيشابورية، الخوارزمية، السيستانية، الطرسية، النسائية، البستية، المكرية، الديلمية، لغة قومس، وجرجان، الرازية (لغة ري)، القزوينية، البلوجية، البارزية، الجورجانية، لهجات قرى خراسان، الكرمانية، الفهلوية

(لغة التحدث عند المجوس الزردشتيين) .

وعلاوة على هذه اللغات، فإن عندهم أيضاً اللغات الكردية؛ التي تنتمي إلى المجموعة الغربية من الفرع الإيراني، من اللغات الهندية الأوربية، ويتحدث بها الجماعات الكردية في العراق، وتركيا، وإيران. وهي إحدى اللغات الوطنية المعترف بها — اليوم — في العراق. ويقدر عدد المتحدثين بها سبعة ملايين نسمة منتشرين في شمال العراق، وشمال غرب إيران، وشرقي تركيا، ولذا دخلت ألفاظ كثيرة من اللغة التركية، والفارسية، والعربية إلى اللغة الكردية اللرية، الأدرية. إلا أن علماء اللغة والمستشرقين قسموا اللغات، واللهجات الإيرانية بعد الإسلام إلى ثلاث مجموعات :

١. مجموعة الجنوب الغربي : وتشمل لغات القبائل البختيارية، واللرية، وفارس، ولارستان، والفارسية الأدبية. ومن ضمن هذه المجموعة بعض قرى آذربايجان، ومنطقة باكو في القفقاس .

٢. مجموعة الشمال الغربي : وتشمل لغات شاطيء بحر الخزر مثل : الكيليكية، المازندرانية، الزازاوية الكورانية، اللغات المحيطة بتهران، وأصفهان، وهمدان، ويزد وسمنان، الكردية، البلوجية .

٣. المجموعة الشرقية : وليس لها حدود جغرافية، ومن لغاتها : لغة (بشتو) أو الباشتو؛ وهي اللغة الرسمية، الموجودة في أفغانستان منذ سنة ١٩٣٦ م، وهي كذلك لغة إقليم سرحد في دولة الباكستان وعاصمة بشاور وهي لغة أكثر من خمسة عشر مليوناً، وتُكتب لغة الباشتو بالخط العربي إلى الوقت الراهن .

وقد كان لبعض هذه اللهجات قديماً آداب، وآثار، كالطبرية، والمازندرائية، إلا أنها سارت في طريق الزوال والإنضواء تحت لواء اللغة الدرية .

ولا يلاحظ المطالع للنصوص الفارسية؛ أن فروقاً كبيرة قد طرأت على الفارسية الدرية " الفارسية الحديثة " منذ نشأتها. وحتى اليوم، والشاهنامه الفارسية بوضوحها خير دليل على ذلك .

الفصل الثالث

الخطوط الإيرانية قبل الإسلام وبعده

(أ) الخطوط الإيرانية قبل الإسلام:

تعمدنا الفصل بين اللغات الإيرانية، وخطوطها، كي نوضح تنيُّر، وتطور اللغات، كل منها على حدة، وخطوطها على حدة أيضاً. فكما أن هناك لغات إيرانية مرت بأطوار ثلاثة؛ فهناك أيضاً أطوار، ومراحل مرت بها خطوط هذه اللغات. وقصدنا من كل ذلك تبيان كيفية الوصول إلى الخط الإيراني الإسلامي، وانتشاره.

١. الخط المسماري:

كان السومريون يسكنون القسم الجنوبي من العراق قبل الميلاد بثلاثة آلف سنة، وكانوا ذوي حضارة، وخط يكتبونه من اليسار إلى اليمين، ويسمى هذا الخط بـ (خط ميخي = الخط المسماري)، وكان هذا الخط يعتمد على النقش البدائي. وقد أخذت طوائف آشور، وعيلام هذا الخط، واستعملوه . وبلغ الخط المسماري عام ١٧٠٠ق.م مرحلته الثانية، والثالثة من التطور؛ حيث تبنته دولة (ماد) الإيرانية، وأخذه الاشوريون، والبابليون عن السومريين واستخدموه في تدوين لغاتهم الآكادية

وقد كان هذا الخط في أقدم مراحله رسماً معنوياً بحتاً، أي تشير رموزه إلى معاني لا إلى أصوات، فكان يرمز فيه مثلاً بصورة النجم إلى الكلمة الدالة على السماء، أو الكلمة الدالة على الالة. كما كان قديماً يقرأ من أعلى إلى أسفل، ثم من الشمال إلى

اليمين. ومن المعروف أن هذا الخط إرتقى، ونضج، وزيدت بعض حروفه على ايدي (الهخامنشيين) حيث تطور في القرن السادس ق. م من المرحلة الصوتية إلى الالفبائية. ومع أن الآشوريين، والبابليين كانوا من النجاد السامي، الا أنهم لم تكن عندهم الحروف العربية الضخمة.مثل :

(ظ، ض، ع، غ، ش، خ). وكما أن الفرس حسّنوا الخط، فقد إخترعوا بعض الحروف التي إحتاجوا إليها، فقد بلغ عدد الحروف المسمارية الإيرانية إثنين وأبعين حرفاً؛ ست وثلاثون منها مأخوذة من الألفباء الآشورية. ويرجح أن تكون هذه الإصلاحات قد جرت بمساعدة الفينيقيين، أو الآراميين، اليهود المقيمين في ايران، أوالتابعين للدولة، او بمساعدتهم جميعاً .

إلا أن صعوبة كتابة هذا الخط، وإحتياجه إلى مساحة كبيرة للتعبير، كان ذلك سبباً في دخول الخط الآرامي إلى إيران عن طريق الآشوريين، والكِلدانيين أيضاً، الذين وصلهم بدوره عن طريق الكنعانيين. فكان كوسيلة لتبادل الأفكار، وحل مشكلات التجار، وعامة الشعب، وذلك في عهد الهخامنشيين أنفسهم. وقد ظل الخط المسماري رائجاً في زمن الأشكانيين، كما انتشر الخط اليوناني إثر حملة الاسكندر المقدوني، وحكومة ضباطه في إيران .

ولم ينتصف القرن الثاني قبل الميلاد حتى شرع الخط الآرامي بالإنتشار، في حين أن الخط المسماري؛ ظل متعارفاً عليه وخاصة في أمور القانون وعلم النجوم، والأناشيد الدينية، والنقش على الآثار، والأحجار . . .

٢. خط آوستا:

أو خط دين دبيريه، أي الخط الديني. وقد إختُرِع الخط الأوستائي (أو خط الزند) في زمن الساسانيين غالباً، وقد اخترعه موبدان، وفضلاء الدين الزرادشتي، في إيران – ويقال؛ بل زردشت نفسه – لنشر دينهم، ويعتبر من أفضل الخطوط في الدنيا لأنه يحوي أربعة وأربعين حرفاً صوتياً وغير صوتي .

وقد أدى تجويد الزرادشتيين في عباداتهم، وعنايتهم بكتبهم، إلى حفظ هذه اللغة من الفساد، والانحراف، ويُعتبر كتاب (آوستا) أحد مفاخر إيران في عصورها القديمة، وتعادل شهرته الشاهنامة بعد الإسلام .

٣. الخط البهلوي :

لقد اقتبس الخط البهلوي، عن الخط الآرامي، كما اقتبس المسماري عن السومريين، والآشوريين. وعن الآرامي؛ أخذت كذلك الخطوط الهندية الباكتريانية التي كانت مستخدمة في شمال الهند ومن هذه الحروف — عن طريق إيران — اشتقت الحروف المستخدمة جميعها الآن في مختلف لغات الهند، وسيام، وكامبديا وماليزيا .

ويرجح أن يكون الخط الآرامي من اختراع الفينقيين الذين أخذوه عن الخط المصري، أو الخط المسماري، أو السومري، وقد تحول هذا الخط في إيران إلى الخط البهلوي ، ووصلها في زمن الهخامنشيين على يد العبيد، أو التجار، أو المتصلين بإيران منهم، أو أن يكون كل ذلك ساعد على إدخال الآرامية إلى إيران، وعمت البلاد في زمن الأشكانيين، ولم تمض فترة حتى طرأ على هذا الخط تغييرات، فكان من ذلك الخط الأشكاني البهلوي .

وقد كان الإيرانيون في باديء الأمر يكتبون آثارهم بالخط المسماري، ويسجلون اسم صاحب الخط، أو اسم المشتري، بالخط الآرامي .

ويتكون الخط البهلوي بشكل عام من خمسة وعشرين حرفاً صوتياً، وغير صوتي، هي بـ (الخط الفارسي) :

(أ، ب، ك، ج، ذ، هـ و، ز، ي، ك، ل، م، ن، س، ف، پ، ج، ز، ر، ش، ت، ث، خ، د، غ).أما الحروف الموجودة في الآرامية، وغير موجودة في البهلوية، فكانوا ينطقونها بما يلائم مخارج حروفهم، فالهاء كانوا يطقونها كالباء، والطاء كالتاء، والعين كالالف، والواو، والصاد كالجيم، والقاف كالكاف والميم .

ويكتب الخط الـپـهلوي؛ بحروف مفصولة، وقد يكتب بحروف متصلة من اليمين إلى الشمال. ويشير ابن النديم في الفصل الاول من الفهرست إلى ان لدى الايرانيين، سبعة أنواع من الخطوط الـپـهلوية كل خط منها يختص بنوع معين من الكتابات، أهم هذه الخطوط :

١. دين دبيرية : وهو الخط الديني الذي كانوا يكتبون به الأوستا .

٢. ويش دبيرية : ويحتوي على ٣٦٥ حرفاً، كانوا يكتبون به كتب علم الفراسة، والزجر وخرير المياه، وطنين الآذان، وإشارات العيون، والإيماءات. ولم يكن هذا الخط معروفاً في زمن ابن المقفع .

٣. خط كُستَج : ويحتوي على ٢٨ حرفاً، كانوا يكتبون به المواثيق، والعهود وينقشونه في أختام الملوك الفرس، وعلى ألبستهم، وعملتهم .

٤. خط شاه دبيرية : كان ملوك الفرس، يستخدمونه فيما بينهم، وتُمنع طبقات الشعب من تعلمه، ويجب الإشارة إلى أن الخط السرياني، كان رائجاً ومتداولاً لدى أغلب الناس، طيلة حكومة الساسانيين، وحتى بعد الإسلام، وكان الخط السرياني؛ يعتبر في المرحلتين؛ قبل الإسلام وبعده، الخط العلمي.المعترف به في الشرق. وقد كان هذا الخط مبعث الاقتباس للغاتهم، ولغات غيرهم، كما أنهم كانوا يستعملون المفردات السريانية في حديثهم، وخطهم الـپـهلوي .

٥. الهزوارش : ويسميه ابن النديم (زَوارشن) ويعرفه؛ بأنه نوع آخر من الكتابة المفصولة، أو الموصولة. ويقرب عدد الهزوارشات، في الـپـهلوي من الألف كلمة، فقد كانوا يكتبون الكلمة السريانية، أو العبرية، أو العربية، الـپـهلوية، ويلفظونها بمعناها عندهم، بمعنى أن الهزوارشات، كلمات دخيلة على اللغة الـپـهلوية، وقد دخلت على مراحل متفاوتة، إلا أن هذه الألفاظ لم تصل إلى كل اللهجات والارجاء، فلا نجد لها وجوداً في آثار ماني، في منطقة طورفان، وكذلك في الخط الماني .

فمن أراد أن يكتب (كَوشت = لحم) كان يكتب (بسرا = رسيق) ويقـرأ (كَوشت). ويكتبون (لوله = ليلاً) ويقرأونها (شب)، ويكتبـون (مـولا = يـوم) ويقرأونها (روز = يوم). ونجد مثل هذا؛ لدى العبريين، والاشوريين .

(ب)الخط الفارسي بعد الإسلام :

نظراً لصعوبة الخط الـپـهلوي؛ وصعوبة نطقه، وتنوعه، وعدم تمكن مسلمي إيران من حصر آداب، وثقافات العصر، ونظراً لدخول أغلب شعوب إيران في الإسلام، واعتبار الخط العربي خطاً دينياً يجب معرفته لقراءة القرآن، والحديث، فإن غالبية الشعب أهملت الخط الـپـهلوي، مرحبةً بتعلم الخط الجديد، السهل .

ولاشك أن هذا الخط قد ساعد على انتشار الفارسية، وتعميم تعلمها، بعدما كانت وقفاً على طبقة، أو طبقات خاصة، من المجتمع. ولعل أول ما ألف بها هي الكتب والرسائل الدينية، لتعليم أصول الإسلام، وأحكام الشريعة، وتفسير القرآن .

ولم يذكر لنا المؤرخون اسم الذي حول الألفباء وخطها إلى العربيـة، ولم يحفـظ لنا التاريخ أول كتاب ظهر بالخط العربي. وما وصل إلى أيدينا كان حصيلة عامة، وعملاً كاملاً لتحول الخط من الـپـهلوي إلى العربي .

وقد طابق الفرس الأوائل نُطـق حروفـهم بنطـق حـروف الألفبـاء العربيـة، وكتبوا كل حرف من عندهم، بما يطابقه بالحرف العربي، ولكنـهم وجـدوا أربعـة مـن الحروف لم تكن موجودة في العربية، فاستخدموا الحروف القريبة النطق إليها، مضيفـين حركات ونقاطاً على الأصل لتلائم النطق الفارسي. فالحرف (چ) وجـدوه قريبـاً مـن الحـرف (ج) ففرقـوه عـن الثـاني بنقطتـين إضـافيتين، وكذلـك فعلـوا في الحرف (ژ) والحرف (پ) أمـا الحـرف (گ) فـزادوا عليـه خطـاً ليمتـاز عـن الحرف (ك) .

وكان عملهم هذا ينم عن ذكاء وتـلاؤم مـع وضعيـة العصـر الجديـد، الـذي عاصروه آنئذ .

وقد حاول بعض الأدباء المجددين اليوم، كتابة الخط العربي، الفارسي بالحروف اللاتينية، كما فعل الاتراك، متعللين بأن الألفباء الحالية لاتفي بالمطلوب، ثم أنها ليست حروفهم، إلا أن محاولاتهم فشلت من أصلها لأن كبار العلماء حاربوها وقالوا : " لقد أضعنا في زمن الهخامنشيين، عندما غيرنا خطنا، أدبنا القديم، ثم أضعنا أدبنا البهلوي في الحكمة، والرياضيات عندما غيرنا ألفباءنا إلى العربية، ولانريد الآن أن نضيع تاريخ أربعة عشر قرناً تزخر بالآداب والعلوم لنبدأ من جديد " .

ولم ترق هذه اللغة إلى مراتب اللغات الأدبية، في القرن الاول، والثاني لأنها لم تلق إقبالاً من الحكام، والأمراء الذين كانوا من العرب أنفسهم، حتى إذا جاء القرن الثالث، وتصدى للحكم أسر فارسية، كآل ساسان؛ أصبحت الفارسية الحديثة لغة الشعراء، والكتاب، وأنتجت إنتاجاً خصباً في جميع الميادين منها :

الدراسات الدينية، والفقهية، والفلسفية، والحكمية، وخاصة العرفان، والتصوف، وفي الطب، والصيدلة، وفي الرياضيات، والنجوم، والهيئة والطبيعيات .

ويدهش الباحث؛ عند تصفحه مثلاً لكتاب كشف الظنون في أسماء الكتب والفنون، إذ يرى مِنْ أسماء الكتب، والرسائل المؤلفة باللغة الفارسية في مختلف العلوم، ما لاغنى عنه لدارسي الثقافة العربية، والإسلامية . .

الفصل الرابع

نظرة على الصلات العربية الفارسية قبل الإسلام وبعده

أ - الصلات العربية الفارسية قبل الإسلام :

نعلم أن العرب – يوما – وصلوا أقصى الشرق، وأقصى الغرب، أقصى الشرق؛ حتى بلغوا مشارف الصين، وتعدياها، وأقصى الغرب؛ حتى وصلوا أعالي جبال البرانس، وتخطياها. وقد سارت العربية مع الركبان، وتغنى بها الحداة، فسمعها الأغراب عن الأعراب، فهزهم الشوق إلى معرفتها، فأقبلوا عليها حباً بها، يتعلمونها، أو غيرة من شهرتها، وسلاستها فمالوا عليها يريدون أن يعبثوا بها، ولكن :

" كنا طح صخرة يوما ليُوهِنَها *** فلم يضُرها، وأوهَى قرنه الوعل "

ولقد خرجت اللغة العربية، في العصور القديمة من الأرومة السامية تاركة، شقيقاتها : الفينيقية، والآشورية، والعبرية، والكلدانية، والسريانية . . . وغيرها، لتفوقها إتساعاً، وإمكانية عشرات المرات، ولتغزو وحدها لغات فارس، وپاكستان، والهند، وتركية، ثم شمال أفريقيا وقلبها، والأندلس وجنوب إيطاليا. ولقد لمست اللغة العربية كل لغات تلك المناطق، لمسات تتراوح بين التأثير الزهيد أو الذوبان التام .

ولا يعني حديثي هذا أن العربية أثرت ولم تتأثر، لا، فما من لغة في الدنيا لم تُتطعم بغيرها، واللغة التي لا ترفد ولا تُرفد، تُعتبر لغة جافة ضيقة المحيط، والإمكانية، كما لا يضير لغة تأثرها بجاراتها، ولا يحط ذلك من قدرها .

وبما أن حديثنا محاط بإطار تبادل التأثر، والتأثير بين العربية والفارسية، فلأذكر أن للعربية فضلاً على الفارسية، هو فضل إتمام النقص، وسد الحاجة؛ من المفردات التي انتشرت في اللغة الفارسية، مع اقتباس وتشبع بالأدب العربي، وتاريخه، وتاريخ تطوره، وهكذا فقد أثر انتشار الإسلام، والعربية في الشرق المسلم. وقد أخذوا منا كثيراً وأخذنا منهم أكثر، أخذنا منهم في العصر الجاهلي، والأموي، والعباسي، والانحطاط، ولازالت بقاياها في لغتنا الحديثة الفصيحة منها، والعامية، وأخذوا منا. منذ صدر الإسلام، ولازالوا يأخذون حتى اليوم. والعليم العالم عندهم، قديماً وحديثاً، هو الذي يجيد العربية، قدر إجادته للفارسية، ومقياسهم العلمي، والأدبي للمرء يقدر بمدى معرفته العربية وتمكنه منها .

يقول (العوفى) في كتابه " جهار مقاله " في هذا الشأن ما ترجمته : " لا يبلغ كلام الكاتب درجة عالية، مالم يأخذ من كل علم نصيباً، ومن كل أستاذ نكته، وينبغي أن يعتاد قراءة كتاب رب العزة، وأحاديث المصطفى، والنظر في صحف الخلف، مثل ترسل الصاحب، والصابي، وقابوس، وألفاظ الأمامي وقدامة، ومقامات بديع الزمان، ورسائل عبد الحميد، ومن دواوين العرب المتنبي، والأبيوردي، والغزي، ومن شعر العجم الأزرقي والفردوسي .

وسأستعرض استعراضاً موجزاً لأسباب التبادل الثقافي، ودواعيه، ومراحله منذ الجاهلية حتى اليوم. ولن أغفل عن الإشارة إلى اللغة، والأدب، والشعر، والتأليف، والتدوين، والمعتقدات، والأعياد، والأعلام، والحرب، والحكم، والجواري، وغير ذلك مما يعترض سبيل كلامي هذا .

للتبادل الثقافي مرحلتان، مرحلة ما قبل الإسلام، ومرحلة ما بعده، أما المرحلة الأولى، فقد كان العرب على اتصال مع الفرس منذ كورش الذي توفى (٥٠٠ ق.م) إذ دفعوا له الجزية، ثم أعانوا ابنة كبوجيه، والذي سماه العرب قمبيز سنة (٥٢٥ ق.م) على فتح مصر، والسودان. كما يروي أن الفرس كانوا يعظمون البيت الحرام، ويحجون إلى

مكة، ويطوفون بالبيت، ويزمزمون على بئر إسماعيل. ومن جملة الأكاسرة الذين حجـوا إلى مكة " سان بن يابك " مؤسس الدولة الساسانية .

وفي ذلك يقول أحد الشعراء الفرس مفتخراً :

ومازلنا نحج البـيت قدمـا *** ونلقي بالأبـاطـح آمنيـنـا
وساسان بن بابك سار حتى *** أتى البيت العتيق يطوف دينا
فطاف به وزمزم عند بئـر *** لاسماعيل تروي الشـاربينـا

وقد كانت الاتصالات العربية الفارسية قبل الحيرة، غالبـاً عبـارة عـن معـارك، واغارات من قُبيل القبائل، لتستفيد من خيرات فارس، فيقوم جند كسـرى لصـد وقتـل العابثين .

أما من الناحية التجارية، وهو أمر هام كذلك، فقد كانت الجزيرة العربية سـوقاً لبضائع فارسية، وهندية، كما كانت محطات لقوافل فارسـية، كـانت في طريقـها إلى بـلاد الروم، أو بلاد اليمن السعيد وقد كانوا يخشون على قوافلهم التجاريـة مـن هجمـات القبائل، لذا استعانوا بالعرب كثيراً على هذه القوافل، وقـد كـانت مكـة، كمـا نعلـم، سوقاً عالمياً، فيها تجار من شتى الأصقاع، وكما يحدثنا "الواقدي" أنه كـان فيـها ممثلـون تجاريون لفارس، وبيزنطة، كما كانت الدراهم الفارسية من العملات الرائجة آنذاك .

وقد كانت بلدة " جرة " علـى الخليـج العربـي سـوقاً تجاريـة لبضـائع الهنـد وفارس، وقد أسست هذه المدينة في القرن الرابع قبل الميلاد .

وعندما إزدادت اتصالاتهم بالعرب، حرباً، وتجارة، ففكروا بتأسيس دولة المناذرة في العراق، ومهمتها جمع الضرائب وتقديمها للبلاط الأعجمي، وحماية التخوم، كما فعل الروم بتأسيس دولة الغساسنة على تخوم الشام .

ونظراً إلى أهمية الحيرة ومكانتها، ونظراً إلى النهضة الشعرية التي برزت فيها، أجدني مضطراً للوقوف على أبواب الحيرة وقصريْها، لأطرُقها، ولأنتظر جواب مُحَدثنـا عن " الخُورْنَق " و " السدير " .

ويظهر أن كلمة " الحيرة " سريانية، ومعناها المعسكر، وهي في الأصل(حَرْتا). وقد كانت مكونة من قصور محصنة حول ميدان واسع .

وينسب بناء قصري الخورنق، والسدير إلى النعمان الأول الذي حكم بين (٤٠٠-٤١٨ م)، وقد بنى النعمانُ قصر الخورنق قرب الحيرة، بناه المعمار الروسي سِنمار. والخورنق كلمة فارسية أصل لفظها (خور نكه)أو (خورنه) وهو الإيوان لدى ملوك الفرس، وكان يستخدم للإستفادة من أشعة الشمس، وللعبادة، وعربت الكلمة إلى (خورنق). ثم صارت في مصر (الكرنك) .

كما بنى السدير في بادية الشام، وأصل الاسم (سه دير) أي القباب الثلاث. وقد بناها النعمان عندما أرسل " يزد گرد الأول " أكبر أبنائه وهو " بهرام گور " إلى الحيرة لِيُنشأ نشأة فروسية، ويُربى تربية قوية، ويتعلم القنص، وينعم بجودة الهواء. وكم تغنى الشعراء بجمال هذين القصرين، وخاصة عدي، والاعشى .

وتعلم بهرام هناك العربية، ويُحكى أنه قال الشعر العربي، والفارسي. وبعد وفاة أبيه نازعه أخوه على الملك، فاستعان بالعرب ليصل إلى الملك، وكان له ذلك. ولما اعتلى العرش لم ينس ما كان لعرب الحيرة من يد عليه، فقربهم، وأعلى شأنهم .

وقد كان للنعمان كتائب عسكرية أهمها إثنتان، الأولى الشهباء، وهي فارسية، والثانية دوسر (ذات الرأسين) وهي عربية. وقد انتقلت التجارة الفارسية رسمياً إلى عرب الحيرة، فنقلوا بضائعهم، وحملوا قوافلهم .

نستدل من ذلك كله أن التبادل جرى عن طريق التجارة أولاً وعن طريق الجوار سلماً وحرباً ثانياً. هذا الاتصال الوثيق كان يجبر الطرفين أن يستخدموا تراجم يقومون بالاتصال بين القصرين العربي، والفارسي، وتراجم يرافقون أصحاب القوافل التجارية فقد كتب " يقيط بن يعمر الأبادي" لكسرى، وترجم له، وكان " عدي بن زيد " من تراجمة كسرى ابرويز، كما كان أبوه زيد على معرفة بالفارسية. كما كانت مدرسة " جند يشابور " معهداً لدراسة الطب، والفلسفة، والموسيقى؛ فرحل بعض العرب لتعلم

الطب، منهم؛ " الحارث بن كلدة الثقفي " الذي أتقن في ذلك المعهد الطب، والعزف. وذهب كذلك ابنه " النضر " وكلف بالفارسية، وهو الذي كان يحكي أقاصيص رستم واسفنديار في أوائل البعثة في مكة، معادياً في ذلك الدين الإسلامي.

ولقد رحل بعض العرب لقصد التفرج، أوكانوا رسل الملوك، والتجار، فرأت أعينهم معابدهم الكبيرة، ومبانيهم الضخمة، ورأوا كيف يعيشون، ويطعمون، ويشربون، وسمعوا في مجالسهم الحكايات، والأقاصيص، وحياة الملوك فأثر هذا، إلى حد ما، في عقلية العربي، والشاعر منهم خاصة، فذكر ما رأى، واستفاد من عِبَرهم، واقتبس من معتقداتهم.

ومن أهم الشعراء العرب الذين ذهبوا إلى فارس؛ هو العشى، والذي لقب " صناجة العرب " وصناجة كلمة فارسية من (صنج) وهي الآلة النُحاسية. ويكفي أن نورد قطعة من شعر الأعشى لنستدل على كثرة الألفاظ الفارسية المستعملة في الجاهلية. يقول في مجلس أنس يصف الخمرة، وساقيها، والأزهار المحيطة بهم. وسنجد ثماني عشرة لفظة فارسية أغلبها في وصف الأزهار، في سبعة أبيات :

ببابلَ لم تعْصَر فجاءت سلاقة *** تخالط قنديدا ومسكاً مختماً

يطوف بها ساق علينا مشوم *** خفيف ذفيف ما يزال مقدما

بكأس وأبريق كأن شرابه *** إذا صُب في الصحاة خالط بقما

لنا جلسان عندها وبنفسج *** وسيسنبر والمرزجوشُ منمنما

وآس وخيري ومزو وسوسن *** إذا كان هنزمن ورحت مخشبا

ومستق سينين وون ويربط *** يجاوبه صنج إذا ما ترنما

وهناك، كذلك غير الأعشي، علي بن زيد الذي كان عينًا للفرس في بلاط الحيرة، ولن ننس النابغة الذبياني، وصاحبه النعمان أبا قابوس، وما كان له من فضل على إيجاد باب الإعتذار في شعر العرب، واستخدامه للألفاظ الفارسية في الشعر

العربي. ثم هناك قيس بن الحطيم، وطرفه، ومالك بن نويرة، وعمرو بن كلثوم، وحسان .

ومن الحق أن نذكر أن أثر الفرس في العرب في الجاهلية، أكثر من أثر العرب في الفرس. وأن بقيت دلائل على تأثر العرب غير واضحة لفقدان أغلب آثارهم قبل الإسلام .

ب – الصلات العُربية الفارسية بعد الإسلام :

عندما دخل الإسلام العراق، كان يسكنه عرب من ربيعة ومضر، وبعض من الفرس، عدا السكان الأصليين، وكان منهم نصارى، ومنهم مزدكية، ومنهم زرادشتية. وقد تم فتح فارس على مراحل، حتى بلغ السند، وبخارا، وخوارزم، وسمرقند، وكاشغر في زمن الوليد بن عبد الملك .

وكان العراق من أخصب أراضي الجزيرة بنهريها، وبالحضارة المتبقية من حضارات الأمم الأصلية، ومن المناذرة، المتأثرين بحضارة الأكاسرة. وقد أمر عمر بن الخطاب إنشاء مدينتي البصرة، والكوفة حول الحيرة، فتحولت إليهما كنوز المدائن، وحضارة البلاد. وبما أن سكان هاتين المدينتين من العرب ومن الموالي، فقد اضطر هؤلاء الموالي إلى تعلم العربية، فكانوا أول من أتقن العربية، وألف فيها .

ولما استقر الإسلام، والعرب في العراق، وفارس، وخراسان، حصل الاتصال المباشر بين الأمتين. لذا فقد اختلفت عوامل الاتصال، والتبادل الثقافي، بعد الإسلام عنها قبل الإسلام. فلم تعد فردية، كما لم تعد سطحية، أو ضيقة المجال الزمني، وإذا رجحت كفة الفرس في الجاهلية، وإذا كان التأثر من طرف العرب هو الغالب قبل الإسلام فقد اختلف الأمر عنه بعد الإسلام، ورجحت كفة العرب، نظراً إلى أن الاتصال جماعي، وعميق، وطويل الأجل .

ويرجع السبب الأول لهذا الاتصال إلى فتح العرب لأرض فارس وحكمها، ومن نتيجة ذلك انفسح المجال لتيارات وصلت الشعبين ببعضهما حياة وفكراً . وصارت الخيوط التي كانت تصلهما في الجاهلية، طرقاً فسيحة ممهدة، وصارت العلائق الفردية

روابط إجتماعية وثيقة، وأصبحت الصلات الموقوتة؛ عرى دامت قروناً فسيحة. وحسبنا إلى أن نشير إلى أن العرب أسسوا على حدود الفرس عدداً من المدن منها: البصرة، والكوفة، والأنباء، وبغداد. وسرعان ما إمتلئت هذه المدن بالعرب، وسرعان ما وفد إليها الفرس. ثم غدت مراكز للثقافة العربية الإسلامية.

كما إعتنق الفرس الإسلام مختارين، تخلصاً من المظالم التي اصطلوا بنيرانها قبل الإسلام، فتسابقوا إلى تعلم العربية على أنها لغة الدين، والحكم. وقد ازداد الاختلاط في زمن العباسيين، وكما نعلم أن للفرس ضلعاً قوياً في تأسيسها. ولقد زاحم الفرسُ العربَ في الوزارة، والحجابة، وقيادة الجيوش، وجباية الأموال، وولاية الأقاليم، وإدارة الدواوين، ومتابعة الخلفاء، وقرض الشعر.

وكان من نتيجة ذلك أن العرب تأثروا بأساليب الحكم، وبمظاهر الحياة الجديدة، مما اضطر بعض خلفاء بني العباس خاصة، التعرف على تاريخ الفرس، والاطلاع على أخبار ملوكهم، ولازلنا نذكر أن المأمون حكم في بلاد فارس، واستعان بهم على أخيه الأمين في بغداد. ولقد تطورت نظم الحياة الاجتماعية، ومظاهر الحضارة، وشاع الترف، واللهو، والطرب، وتعددت الأزياء، والفرش، والأثاث، والآنية. وكان كثير من ذلك غير معروف للعرب، فسموها بأسمائها الفارسية، أو اليونانية، أو الهندية.

ونحن إذا تصفحنا المعاجم العربية- وليس ذلك بعسير- وجدنا عدداً وافراً من المفردات كتب المؤلف عنها أنها أعجمية، أو معربة أو أن أصلها فارسي. كذلك إذا نظرنا إلى القواميس الفارسية، وجدنا أن أكثر من ثلث ألفاظهم – ولم أغال في ذلك – عربية ومستخدمة في لغتهم إلى اليوم.

ولم يتوان العربي عن أخذ أية مفردة احتاج إليها من جارته، وقد تجرأ على تغيير شكلها بحرية بشكل يلائم نطقها العربي، فأبدل الحرف بحرف يدنو من مخرجه، إن لم يكن هذا الحرف نفسه، لأن نطقه في الفارسية لا يوازن نطقة في العربية، فحور في الشكل، ولاءم في المخرج.

وقد جرى هذا، إما بإبدال حرف مكان آخر، وإما بزيادة حرف أو حرفين، وإما بتغيير البناء كله ليصير من أبنية العرب، ويتمكن من الاشتقاق منه. وقد يُنْقِصُ حرفاً أو يبدل من الحركات، أو يُسكِّن، أو يحرك الساكن. وقد يتركه على حاله دون تغيير إن لم يحتاج الأمر إلى ذلك.

والجدير بالملاحظة أن العربي أخذ أسماءً، ولم يأخذ أفعالاً، أو حروفاً، وحينما إحتاج إلى أفعال اشتق ما حلا له، وما شاء، فمن (لجام) قال ألجمت الفرس، ومن (مهر) : مهر الكتاب، ومن(ديوان) دوَّن الحساب. ويمكن حصر هذه الأسماء فهي إما أسماء نبات، أو حيوان، أو معادن، أو آلات، أو مأكولات، أو مشروبات، أو ملابس، أو عادات مما لم يكن يعهدها العربي من قبل :

فكلمة (طبرزين) التي هي في الفارسية (تبرزين) إسم لسلاح، كان يحمله الفارس الفارسي معه، وقد تكلمت به العرب.

وكانوا يبدلون الحرف (پ) باءً أحياناً، وأحياناً أخرى فاءً، لأن نطقه واقع بين الباء والفاء، والثلاثة من الحروف الشفوية. قالوا لـ (برند) : فيرند وهو السيف، أو جوهرة. وكذلك قالوا لـ (بنكان) فنجان. وكذلك قلبوا الشين سيناً، فقالوا للصحراء دست وفارسيتها (دشت). قال الأعشى :

قد علمت فارس وحمير والـــ　　***　　أعرب بالدست أيكم نزلا

وحولوا كلمتي (بنفشه ولشكر) إلى بنفسج وعسكر. أما حرف الكَاف فقد أكثروا من تبديله وتحويله.. فبعض الكلمات الفارسية قلبت كافها إلى كاف عربية مثل : كَردن للعنق فقالوا لها : كِردان. وقالوا لـ (الكَنج) كنزاً، وهنا حصل إبدالان فالكَاف مكان الكاف، والزاي مكان الجيم. وقد تُبدل الكَاف غيناً كما في غربال التي اصلها (كَربال)، أما تحول الكَاف والكاف إلى جيم وقاف فقد كان كثيراً مثال : لكَام-لجام. كَربه- قربق وبعضهم يعربها كربج وكربق، وهي بمعنى دكان البقال، لأننا سنرى بعد أسطر انهم كانوا يبدلون الهاء جيماً، أو قافاً إذا كانت في آخر الكلمة.

وقد يبدلونها قافاً كما في (باشه) وهو صقر الصيد، قالوا له (باشق). وإذا أتى قبل الهاء حرف الدال؛ فإنهم يبدلونها بالذال فالجيم مثل : ساده ونموده قالوا : ساذج، ونموذج. وبدلوا التاء طاءً، فقالوا لـ (تازه) طازج .

وقد يزيدون على الكلمة حرفاً أو ينقصون حرفاً، فقالوا لـ (كليد) التي هي بمعنى المفتاح (مقليد) أو (إقليد) .

ونُلاحظ أنه لم يجتمع في كلمة عربية الجيم والقاف إلا بحاجز، ولا الصاد والجيم. وليس في أبنية العرب اسم فيه نون بعدها راء مثل : نرجس. ولا زاي بعد دال مثل : اندازه، ثم أبدلوا الزاي سيناً فصارت هندسة.

كما كان يتم التأثر عن طريق الجواري، أو الأميرات الفارسيات اللواتي انتقلن إلى البيت العربي؛ فكان لابدّ لهن من أن تؤثر لغتُهن وعاداتُهن في أزواجهن، وأولادِهن، وكم عشق الشعراء هؤلاء الجواري وكم نظموا فيهن. فلقد أهدى الوليدُ بنُ يزيد ابن ميادةَ الشاعر جارية طبرستانية رائعة الجمال، كان نقصها الوحيدُ في نظره أنها لاتحسن العربية، فقال فيها :

بأهلي ما آلذك عند نفسي	***	لو أنك بالكلام تعربينا !

ويتبدّى هذا التأثير بواسطة الأسر الفارسية التي هاجرت من إيران إلى البلاد العربية، كما حَصلَ لوالدِ المهلب الذي هجر بلادَه، وسافر إلى عُمان، فطلّق ديانته الزردشتية، وأسلم وجعل إسمه أبو صفرة .

وعلى هذا فقد تأثر العرب بالفرس لغوياً كما تأثروا بالأمم المجاورة، على أن تأثرهم بالفرس أكثرُ وأوسع نطاقاً. وقد جرت هذه الألفاظ إلى العربية في أزمان متفاوتة. فلم تزحمهم كثرتها، ولم يعقهم نطقها. ومن الحق أن نقول إن للفارسية فضلَ رأب الحاجة الحضارية، وسدّ النقص اللغوي الذي تطلبهُ العصر الجديد بعد الفتح؛ فدخلت في قرآننا، وشعرنا، ونثرنا، وأمثالنا .

وإذا كنا تأثرنا بهم حكماً، وسياسة، وتابعية، وديناً، ولغة قبل الإسلام، فإننا أثرنا باستقلالهم، وأديانهم، وآدابهم، ولغاتهم بعد الإسلام، ولما ضاع استقلالهم، واندمجوا في دولة الإسلام التي قادها العرب، ولما ضاعت أديانهم، وذابوا في الديانة الإسلامية، انغمسوا في اللغة العربية، وآدابها وعاداتها .

ويُعتبر الأثرُ العربيُّ الأول في الفارسية تغيير الخط البهلوية الصعب بالخط العربي السهل، فنراهم منذ أوائل الإسلام يغيرون الألفباء البهلوية، بألفباء عربية، مضيفين إليها أربعة حروف فقط لم يكن رسمها موجوداً في العربية لعدم وجود نطقها، فرسموها بشكل يناسب الحروف العربية القريبة النطق منها. فكتبوا الـ " پ " باء بثلاث نقاط، والـ " چ " جيماً بثلاث نقاط، وكذا ژ بثلاث نقاط، ووضعوا خطاً آخر فوق الـگـاف للكاف الفارسية .

وقد اقتبسوا الألفاظ الدينية، وتبعتها الألفاظ العلمية، ثم الألفاظ الأدبية .

ورغم أن اللغة العربية هيمَنت على الأرض الفارسية، ورغم أن القرون الثلاثة الأولى كانت العربية لغةَ العلم فيها، فإن العربية لم تستطيع أن تمحو الفارسية تماماً. فقد ظلت متداولة بين الناس على الأقل، وبين الشعراء لحاجتهم إلى القوافي، ولا يمكنهم استخدامُ الألفاظ الفارسية في القافية دائماً لأن ألفاظهم غير كافية لذلك. ويكفي أن ينظر المرء في ديوان فارسي ليجد أنَّ ثمانين بالمئة تقريباً من ألفاظ القوافي عربية .

ولقد بدأ الفرس في مقاومة العربية منذ القرن الرابع، فقد غاظهم أن تكون العربية رائجة كل هذا الرواج في بلادهم، وأن يكون العرب حكاماً لهم، وأول هذه المقاومات كان استقلال الدويلات الفارسية في مناطقها، وتشجيع الشعراء الفرس على نظم القصائد الحماسية والقومية. فقام شعراء ينظمون الشاهنامات، ويتعمدون الإقلال من ذكر الألفاظ العربية. وقام أدباء يحضون على الكتابة الفارسية غير أن هاتين الطبقتين لم تستطيعا الحد من التأثر اللغوي للحاجة الماسة إلى كل ما دخل من ألفاظ، حتى أنهم أنفسهم استخدموا الألفاظ العربية في موضوعاتهم الحماسية والقومية هذه .

ولقد دخلت القرآن الكريم ألفاظ فارسية منها : إبريق. طبق. سراب. سجيل. دين. جيرف. سندس. كافور. خنلق. استبرق. كنز. ومن شاء الإطلاع على الألفاظ الفارسية في القرآن فليرجع إلى الإتقان للسيوطي، أو إلى المعجم الذي كتبه "آرثور جيفزي" في الدخيل من كلمات القرآن حيث فسر فيه الكلمات الفارسية وشرحَها .

كما دخل الحياة العربية كثير من ألفاظ دالة على الزينة والترف، مما لم يكونوا رأوها، كما رأوا من تنظيم الحكومة وتدوين الدواوين ما لم يخطر لهم على بال. فاضطروا أن يقتبسوا من الأمم المفتوحة ألفاظاً يدخلونها في لغتهم، وكانت اللغة الفارسية اقرب نبع يستقون منه مايحتاجون .

- فمن اسماء الازهار الفارسية : النرجس. البنفسج. النسرين.السوسن. الياسمين. الجُلنار. الأرجوان .
- ومن الطيب : المِسك. العنبر. الكافور. الصَندل. القُرنفل .
- ومن الأطعمة : السَميذ. الكَعْك. المكباج. الدجاج. الكمية. الحربز وهو البطيخ. الفستق .
- ومن الحلوى : الفالوذج (وعربت إلى البالوظة). الجوزينج. اللوزنيج. الزرده. الجلاّب .
- ومن التوابل : الفلفل. الزنجبيل. القرفة. الكراوية (وهي الأكلة المعروفة في دمشق الخاصة) .
- ومن المفردات الحضارية : مهندس. روزنامة. نرد. برسيس (برجيس). طربوش. بابوج. كوز. ابريق. طست. خيوان. طبق، كاسه عربت إلى (قصعة). خز. ديباج. سندس. لجام. غربال. كَردان. ساذج. طازج. نموذج. برنامج. سمسار. دهقان. صولجان. فنجان. نيزك. زنديق. بازار .
- ومن مفردات الدواوين : مهر، ديان .

- ومن الأسلحة والحرب : سبهبد وهو كالأمير والقائد عند العرب. درفش (علم). جند. عسكر. لجام. صولجان .
- ومن الحيوانات : شاهين، باشق، جاموس، جوذر (كَاوتو). ذُنب .

ولقد عمد العربي إلى ما خف على اللسان، واستعذبت الأذنُ جرسه، وإن كان عنده اسم لها، فاستعار : مسك. توت. رصاص. ميزاب .

مكان : مشموم. فرصاد. صرفان. ميثعب .

- كما اخذوا بعض التراكيب منها :

جُلاب (ماء الورد). ميزاب (سيل الماء). سرداب (الماء البارد). سراب (رأس الماء). زركشة (التطريز بالذهب) .

- كما استعملنا في عاميتنا عدداً كبيراً من الألفاظ كانت الخلافة العثمانية سبباً هاماً في نقل بعضها، لأن اللغة الرسمية في بلاط إستانبول كانت اللغة الفارسية مثل:

كبة. كفتة. نازيك. سيخ. كباب. كفكير. بشكير. خولية. عرموط. جادة. چاكوچ. بوقالة. تهنا. بقلاوة. أرمغان. بوشت. كشتبان. بابوچ. طربوش .

وساترك الحديث في هذا المجال إلى الدكتور / محمد نور الدين عبد المنعم وبحثه الألفاظ الفارسية في العامية المصرية حيث يقول :

فقد انتقل كثير من المفردات الفارسية إلى لغتنا العامية، ولم يكن ذلك عن طريق الاتصال المباشر بالفرس أنفسهم، بل كان عن طريق الأتراك العثمانيين الذين فتحوا مصر عام ١٥١٧م=٩٢٣هـ وتوطد حكمهم فيها، واختلطوا بأهلها، وانتشرت ألفاظ تركية كثيرة في اللغة العامية المصرية، وحملت هذه الألفاظ ألفاظاً فارسية معها، ذلك لأن اللغة التركية تحتوي على قدر كبير من الألفاظ، والمفردات الفارسية، فانتقلت هذه الألفاظ إلى العامية المصرية عن طريق اللغة التركية .

والواقع أن هذه الألفاظ كثيرة جداً، ومن الصعب حصرهـا، وسنذكر بعض منها في بحثنا هذا على سبيل المثال لا الحصر، وتدخل معظم هـذه الألفـاظ تحت أنـواع الأطعمة، أو الملابس، أو الأدوات التي تستخدم في الأغراض المختلفة. كما أن بعض هذه الكلمات موجود في اللغة العربية الفصحى وموجوده أيضاً في العامية المصرية، وبعضها الآخر موجود في العامية دون الفصحى. وسنذكر الآن تلك الألفـاظ كمـا تستعملها في العامية، ثم نذكر أصلها في الفارسية، ومعناها في الحالتين إذا تبدل المعنى .

فمن الألفاظ الفارسية التي نستعملها في عاميتنـا المصريـة مجموعـة مـن أسمـاء الأطعمة، والمشروبات، وكثير منا يستعملها في حياته اليومية، ولكنه لا يعلم أنها فارسـية الأصل، وأنها أصبحت اليوم جزءاً لا يتجزأ من مفرداتنا، فمن هذه الكلمات مثلاً :

- بألاوة : وهو نوع معروف من الحلوى، ويستعمل في العامية، وأصله في الفارسية " باقْلوا - باقلاوا " **Baklava** .
- بالوظة : أصلها في الفارسية " بالوده " ومعناها المصفى، المنقى، الخالص، ونوع من الحلوى. وقـد عربـت علـى شـكل : فـالوذ أو فـالوذج وأصلـها في البهلويـة **Palutak**. وهذه الكلمة تعني في العامية نوع من الحلـوى، يصنـع مـن النشـا واللبن والسكر .
- بتنجـان : وهـو نـوع مـن الخضـروات، وهـو مـأخوذ عـن اللفـظ الفارسـي " باتنكان " وفي الفصحى يقال له " الباذنجان " وقد حرفت هذه الكلمة ونقلـت إلى الأسـبانية **Brengena** ومنـها إلى الفرنسـية **aubergine** ثـم إلى الإيطالية **peronciano** .
- برشت : مأخوذة من الكلمة الفارسية " بِرِشْته " بمعنى المشوي او المسـخن أو المطبوخ، وهي اسم مفعول من المصدر الفارسي " برشتن " بمعنى المشوي أو المُطْبخ أو التسخين، أو كل طعام يسخن على النار بدون ماء. وتستعمل العاميـة الكلمـة المذكور لوصف البيض قبل نضجه تماماً .

- بُرْغُلْ : مأخوذة من الكلمة الفارسية " بَرْغول "، وهي تُطلق على القمح المقشور، ونستعملها في العامية بهذا المعنى أيضاً .
- بُقْسمات : مأخوذة من الكلمة الفارسية " بَكْسَمات " وهو نوع من الخبز المصنوع بالزيت، ونستعملها في العامية لنوع من الخبز الجاف .
- خُشاف : مأخوذة من الكلمة الفارسية " خوشاب " بمعنى : طازج، ممتلىء بالماء، رطب، واسم نوع من الشراب الحلو، يوضع فيه بعض النقل، والفاكهة الجافة، ونستعملها في العامية بالمعنى الأخير. والكلمة الفارسية مركبة من : " خوش بمعنى حلو، وآب " بمعنى ماء .
- خيار : دخلت العربية الفصحى والعامية بلفظها ومعناها، دلالة على نوع من الخضروات .
- زلابيه : مأخوذة من الكلمة الفارسية " زَلوبْيا " وهي نوع من الحلوى صفراء اللون. تصنع من النشا والسكر والزيت، وقد سميت بهذا الاسم في الفارسية لأنها تشبه الدودة عندما تصب من القمح، ويقال لها أيضاً في الفارسية زلبيا وزليبيا وزلابي، وقد عربت ودخلت في العامية بمعنى الحلوى التي تصنعها من الدقيق والزيت والسكر .
- سبانخ: وهو نوع من الخضروات يطلق عليه في الفارسية " إسبناخ "، ويقال له أيضاً اسبناخ وسباناخ، وقد عربت هذه الكلمة فاصبحت إسفناخ أو أسباناخ .
- سميط : مأخوذة من الكلمة الفارسية " سَمِد " التي عربت بمعنى الدقيق الأبيض أو الخبز الأبيض، ومعربها " سميذ "، وقد دخلت العامية باللفظ المذكور، وتطلق على نوع من الكعك الأبيض .
- سيرج : مأخوذة من الكلمة الفارسية " شيرك " وتستعمل بمعنى عصارة وزيت أي شيء في اللغتين الفارسية والعربية، وتطلق في العربية على نوع معين من الزيت يقال له " الزيت السيرج " .

- شوربه : مأخوذة من الكلمة الفارسية " شوربا " أو " شوروا " ويقول صاحب برهان قاطع أن " شورباج " معرب شوربه الفارسية. وهي بمعنى الحساء في اللغتين
- طرشي : مأخوذة من الكلمة الفارسية " ترشي " بمعنى الحموضة، أو الأطعمة التي فيها حموضة. وهي تستعمل في العامية بنفس المعنى .
- فزدق : مأخوذة من الكلمة الفارسية " بسته " التي عربت على شكل فستق ودخلت العامية باللفظ المذكور مع قلب القاف إلى ألف. ويقال أن الكلمة الفارسية انتقلت إلى اللغة اليونانية فصارت pistakion، وإلى اللاتينية فصارت pzittacium كما دخلت الفرنسية على شكل pistache، والإنجليزية على شكل pistacia أو pistáchio .
- فلفل : مأخوذة من الكلمة الفارسية " بلبل " وقد دخلت العربية واشتقوا منها فعلاً وصفه، فقالوا : " طعام مفلفل " أي مضاف إليه الفلفل، أو " شعر مفلفل " أي مجعد .
- كباب : مأخوذة من الكلمة الفارسية " كباب " وقد استخدمت في العربية بنفس معناها في الفارسية أي : اللحم المشوي، وهي في العامية بنفس المعنى أيضاً .
- كحك : مأخوذة من الكلمة الفارسية " كاك " بمعنى الرجل، إنسان العين، وبمعنى الخبز اليابس أو السمني، وقد عربت فأصبحت " كعك " ويقول البعض لفظ " كاك" انتقل من الفارسية إلى العربية وصار " كعك " ثم انتقل عن طريق الأندلس إلى أوربا فصار " كيك " ثم عاد إلى إيران باللفظ الأخير. وقد دخلت في عاميتنا المصرية باللفظ المذكور دلالة على نوع من الحلوى التي تصنع في عيد الفطر، ومفردها " كحكه " .
- كِشك : في الفارسية بهذا الشكل أيضاً، وبمعنى طعام يصنع من الدقيق واللبن، وقد دخلت العامية بلفظها الفارسي ومعناها .

- كفته : مأخوذة من الكلمة الفارسية " كفته " أو " كوفته " اسم مفعول من المصدر الفارسي " كوفتن " بمعنى : الدق أو الهرس أو السحق، وتطلق في العامية على نوع من الطعام يصنع من اللحم المدقوق، ثم يشوى .
- لارنج : مأخوذة من الكلمة الفارسية " نارنكك "، وقد عُربت إلى " نارنج "، وتُستعمل هذه الكلمة في العامية لنوع من الموالح .
- نشأ : مأخوذة من الكلمة الفارسية " تشاسته" وهي مادة بيضاء مفركة تستخرج من نقيع الأرز والقمح والشعير والبطاطة، وقد دخلت العامية المصرية بمعناها هذا
- نؤل : مأخوذة من الكلمة الفارسية " نقل "، ومعناها في اللغتين الفاكهة الجافة
- يخني : تستعمل في الفارسية بهذا الشكل أيضاً، وتعني المطبخ أو مرق اللحم. ونحن نستخدمها في العامية المصرية لنوع من الطعام أيضاً .

***

وننتقل بعد ذلك إلى ذكر أمثلة للألفاظ الفارسية التي تستخدم في العامية المصرية للدلالة على أنواع من الملابس، أو المفروشات، أو الحلي، ومنها :

- بفته : مأخوذة من الكلمة الفارسية "بافته" وهي اسم مفعول من المصدر الفارسي " بافتن " بمعنى : النسيج، وقد دخلت العامية للدلالة على نوع معين من القماش .
- بؤجه : مأخوذة من الكلمة الفارسية " بغجه " ومعناها في الفارسية منديل كبير، توضع فيه الملابس أو الأشياء الأخرى كالأقمشة وغيرها، وقد دخلت العامية بمعنى صرة الملابس أيضاً .
- بيجامه : مأخوذة من الكلمة الفارسية " باجامه " أو " بيجامه "، وهي في الفارسية بمعنى السروال، ودخلت العامية بمعنى ملابس النوم، وقد أخذت منها أيضاً الكلمة الإنجليزية pjamas أوpajamas والفرنسية pyjamaوكلمة

" بيجامه" الفارسية مركبة من : با بمعنى قدم، وجامه بمعنى ملابس، أي الملابس التي تغطي القدم .

- جُوخ : مأخوذة من الكلمة الفارسية " جوخا" أو "جوخه " وتعني في الفارسية القماش الصوفي الخشن الذي يلبسه الرعاة أو الزراع، وتستعمل في العامية دلالة على نوع من الأقمشة الصوفية أيضاً .
- دكة : مأخوذة من الكلمة الفارسية " تكة " بمعنى حزام السروال، وقد اشتق العرب من هذه الكلمة –بعد تعريبها- فعلا، فقالوا : " استكك التكة" أي أدخل التكة في السروال. وقد انتقلت إلى العامية بمعناها هذا. والتكة في اللغة الفارسية أصلاً معناها : اللقمة، والقطعة من أي شيء .
- بيشه : مأخوذة من الكلمة الفارسية "بيچه" بمعنى نقاب، وحجاب، ودخلت العامية بنفس هذا المعنى .
- دوباره : مأخوذة من الكلمة الفارسية " دوباره" بمعنى : مضاعف، مكرر، وقد دخلت العامية، وأطلقت على نوع من الحبال المجدولة. والكلمة الفارسية مركبة من : دو (اثنان) وباره (مرة) .
- سيروال : مأخوذة من الكلمة الفارسية " شلوار " وقد عربت هذه الكلمة إلى " سروال " وهي مركبة أصلاً من " شل " بمعنى فخذ، و" وار " وهي لاحقة تفيد النسبة، ومعربها أيضاً " سربال " كما جاء في حواشي " برهان قاطع " وقد دخلت العامية المصرية بنفس المعنى الفارسي .
- شادِرْ : مأخوذة من الكلمة الفارسية " چادُرْ " أو" شودُ "، وهي في الفارسية بمعنى غطاء أو حجاب النساء، وهو عبارة عن عباءة بدون أكمام تلف المرأة بها كل جسمها من رأسها إلى قدميها، وبمعنى الخيمة أيضاً. وقد دخلت العامية بمعنى الخيمة أو السرادق .

- شَلْ : وهي مأخوذة من الكلمة الفارسية " شال " بنفس اللفظ، وهي كلمة معربة بمعنى قماشة صوفية أو حزام صوفي، وقد دخلت العامية بلفظها ومعناها .
- شراب – شراب : مأخوذة من الكلمة الفارسية " جوارب " أو " كوارب "، وقد دخلت العامية دلالة على ما يلبس في القدم تحت الحذاء .
- شوال : مأخوذة من الكلمة الفارسية " جوال " أو " كَوال "، ويقال لها في اللغة الفارسية أيضاً " جوبال "، وهو كيس من الخيش، ويجمع في الفصحى على " جوالق " ويستعمل في العامية بنفس المعنى السابق .
- طَربوش : مأخوذة من الكلمة الفارسية " سربوش " بمعنى غطاء الرأس، وقناع النساء، وغطاء الأواني. وهي مركبة من كلمة " سر " بمعنى رأس، وكلمة " بوش " بمعنى لباس أو غطاء. وقد دخلت العامية بمعنى غطاء الرأس للرجال .
- فوطه : مأخوذة من الكلمة الفارسية " فوته " التي عربت إلى " فوطه "، وهي أصلاً بمعنى : المنديل، المطرز، المنشفة. وتستعمل بين العامة بمعنى المنشفة أيضاً .
- قفطان (أقطان) : مأخوذة من الكلمة الفارسية " خفتان " بمعنى الثوب الذي يلبس تحت الدرع في الحرب، وقد استعملت في العامية للدلالة على نوع من الملابس. والكلمة بالقاف أصلاً ولكنها تقلب همزة في العامية .
- كردال : مأخوذة من الكلمة الفارسية " كيردان " بمعنى المحيط بالشيء. وقد دخلت العامية للدلالة على نوع من الحلي تطوق به أعناق النساء .
- كمر : مأخوذة من الكلمة " كمر " بمعنى : حزام، نطاق، وسط، خصر واستعملت في العامية بلفظها ومعناها .
- كليم : مأخوذة من الكلمة الفارسية " كليم " وهو نوع من الفراش الصوفي، وهذه الكلمة تستعمل في الفارسية، والعربية بنفس المعنى .
- كنار : مأخوذة من الكلمة الفارسية " كنار " بمعنى : خاصرة، جانب، طرف الشيء، حافة، حاشية. وتستعمل في العامية بلفظها وبمعنى حاشية الشيء وحافته .

- ياقة : مأخوذة من الكلمة الفارسية " يخه " أو " يقه " بمعنى : قبة القميص، وتستعمل في العامية بنفس المعنى، وتُقلب القاف فيها إلى همزة .

وهناك مجموعة أخرى من الألفاظ الفارسية عبارة عن أسماء لبعض الأدوات التي تستعمل في شتى الأغراض، ومثل ذلك :

- ابريق (ابريء) : مأخوذة من الكلمة الفارسية" آبريز " وقد عربت هذه الكلمة قديماً إلى " إبريق ". ونحن نستعملها في العامية لنوع من الأواني الفخارية، ونبدل القاف إلى همزة والكلمة الفارسية مركبة من " آب " بمعنى الماء، والمادة الأصلية من المصدر الفارسي " رختن " بمعنى : أن يصب أو إبريق .
- أبزيم : تستعمل في الفارسيَة أيضاً " آبزيم " وهي بمعنى الجزء المرتفع من السرج، أو الحلقة من الحديد التي يحكمون بها الهودج أو السرج على ظهر الدابة. وتستعمل في العربية الفصحى كقولهم : " آبزيمة الدرع ". وقد دخلت العامية بمعنى الحلقة المعدنية التي يثبت فيها حزام بعض أنواع الأحذية .
- أسطوانة : مأخوذة من الكلمة الفارسية " استوانه "، وتطلق في الفارسية على ما يشبه العمود، وقد عربت إلى اسطوانة، وهي تستعمل في العامية بنفس المعنى، ونقول " اسطوانة موسيقى " و " شركة إسطوانات " .
- برجل : مأخوذة من الكلمة الفارسية " بركار "، ويقال لها أيضاً في الفارسية بركر، وبركاره، وبركاه، وبِردال، وبردال، وقد عُرِّبت في الفصحى فسارت " فرجار ". وانتقلت إلى العامية بمعناها دلالة على الألة الهندسية المعروفة .
- بُرْمة : مأخوذة من الكلمة الفارسية " برما " بمعنى الآلة التي يستعملها التجار في ثقب الخشب، ويقال لها أيضاً في الفارسية : برماه وبرمه، وقد دخلت العامية بنفس المعنى، وتُطلق أيضاً على أنواع من المسامير، فنقول : مسمار برمة .
- برْواز : مأخوذة من الكلمة الفارسية " بروز " ومعناها : السجاف، أو الحاشية، ويقال لها في الفارسية أيضاً " فراويز ". وتستخدم في العامية بمعنى إطار الصورة .

- سنجة : مأخوذة من الكلمة الفارسية"سنجه " بمعنى : الثقل الذي يوضع في الميزان للوزن، ويقال لها في الفصحى " صنجة الميزان " وهي في العامية بنفس المعنى .
- شَمعدان : مأخوذة من الكلمة الفارسية " شَمعدان " أي مكان الشمعة، وهي مركبة من كلمة " شمع " العربية، و " دان " بمعنى إناء أو وعاء، وهي في العامية بلفظها ومعناها .
- شَنْطَه : مأخوذة من الكلمة الفارسية " جنته "، وهي تعني في الفارسية كيس الدراويش، أو جعبة الصياد. وقد دخلت العامية بمعنى الحقيبة .
- شنكل : مأخوذة من الكلمة الفارسية " جنكَل " أو " جنكَال " بمعنى قبضة اليد، مخلب، وبمعنى شوكة أيضاً. وقد دخلت العامية الجديدة المعقوفة .
- طاسه : مأخوذة من الكلمة الفارسية " تاس " أو " طاس " بمعنى الكأس النحاسي. وقد دخلت العامية بمعنى إناء تُقلى فيه بعض الأطعمة .
- طِشت : مأخوذة من الكلمة الفارسية " تشت " بمعنى وعاء معدني كبير للغسيل، وقد عربت إلى " طشت "، وتستعمل في العامية بنفس المعنى .
- طَنبور : مأخوذة من الكلمة الفارسية " دَنبَره " وقد عربت إلى " طنبور " وقد دخلت العربية بمعنى نوع من الآلات الموسيقية .
- غُربال : مأخوذة من الكلمة الفارسية " كَربال " وقد عربت إلى " غربال " ووردت في الفصحى أيضاً على شكل " كربال " واشتق منها فعل، فقالوا مثلاً : كربلت الحنطة أي غربلتها، وقد دخلت العامية .
- فنجان — فِنجان : مأخوذة من الكلمة الفارسية " بنكان " بمعنى فنجان أو كأس، وقد عربت إلى " فنجان " وهي تستعمل في العامية للدلالة على الكأس الصغير الذي يشرب فيه الشاي أو القهوة .

- كاسَه : مأخوذة من الكلمة الفارسية " كاسه " بمعنى الجفنة، أو القدح، أو السطل، وقد عربت إلى " قصعة "، ودخلت العامية للدلالة على نوع من الأواني .
- كُبابه : مأخوذة من الكلمة الفارسية " كب " أو " كبّ " بمعنى الفم أو خارج الفم أو داخله، وبمعنى إناء زجاجي كبير ذو عنق ضيق للخل أو للشراب (انظر فرهنك عميد). وهي في العامية بمعنى الكوب الزجاجي يستعمل في الشرب .
- كَبشَه : مأخوذة من الكلمة الفارسية " كفچه "، ويقال لها أيضاً : كبجه أو كبجه، ومعناها المغرفة. وقد عربت إلى " كبشه " وهي في البهلوية (Kapçak) (انظر حواشي برهان قاطع) .

وتصادفنا أيضاً بعض الألفاظ التي مازالت تستعمل في الجيش والإدارة مثل :

- بيادَة : مأخوذة من الكلمة الفارسية " بياده " بمعنى الراجل، أو المشاة في الجيش. وهي في العامية بهذا المعنى أيضاً .
- سَواري : مأخوذة من الكلمة الفارسية " سَوار " بمعنى الراكب، أو الفارس وهي تستعمل في العامية بمعناها هذا، فنقول " حرس السواري " .
- مِيزْ : مأخوذة من الكلمة الفارسية " ميز " بمعنى المائدة، وتستعمل في العامية في اصطلاح الجيش بمعنى مطعم الضباط .
- عسكر- عسكري : مأخوذة من الكلمة الفارسية " لشكر "، وقد عربت هذه الكلمة فصارت " عسكر "، ودخلت العامية أيضاً بمعنى الجندي، وإشتق منها لفظ " معسكر " أي محل إقامة العسكر أو الجند .
- أدَبخانَه : مأخوذة من الكلمة الفارسية " أدب خانه " وهي مركبة من جزأين : أدب (وهي كلمة عربية)، وخانه (بمعنى منزل أو محل وهي فارسية) وتطلق في الفارسية على المدرسة. وقد استعملت في العامية في اصطلاح الجيش بمعنى المستراح، أو المرحاض ..

- بَنْدَر : مأخوذة من الفارسية بشكلها وبمعنى الميناء أو المدينة الساحلية وقد دخلت العامية عندنا بتوسع .

ومازالت تتردد بيننا بعض الألفاظ الفارسية المركبة التي تركها الاتراك العثمانيون في لغتنا، ومنها مثلاً كلمة :

- خازندار : مأخوذة من الكلمة الفارسية " خازنه دار " أي صاحب الخزانة، وما زال هذا الاسم يطلق على أحد ميادين القاهرة حتى يومنا هذا .
- سِلاحدار : مأخوذة من الكلمة الفارسية " سلاح دار " ونصفها الأول عربي والثاني فارسي (وهو دار المادة من المصدر الفارسي داشتن بمعنى يملك). ومعناها المسلح أو الجندي .
- مِهمندار : مأخوذة من الكلمة الفارسية " مهما ندار "، والجزء الأول منها " مهمان " بمعنى الضيف، ومعناها القائم بشئون الضيافة .

ونستعمل أيضاً في عاميتنا بعض الألفاظ الفارسية المركبة والمنتهية بلفظ " خانه " الفارسي مثل :

- كتبخانة- كتابخانة : وهي كلمة فارسية مركبة من : كتب أو كتاب + خانة، بمعنى محل أو مكان. وهي تعني المكتبة في اللغتين الفارسية والعامية المصرية .
- أجزاخانة : وهي مركبة من كلمة أجزا أو أجزاء بمعنى المادة الكيماوية + خانة الكلمة الفارسية، وهي بمعنى الصيدلية .
- شَفَلْخَانَة : وهي تعني في الفارسية المستشفى، وتستعمل في العامية المصرية بمعنى المستشفى المخصص لعلاج الحيوانات. وهي مركبة من الكلمة العربية " شفا أو شفاء " بالإضافة إلى الكلمة الفارسية " خانة " .

كما نستعمل في عاميتنا المصرية أيضاً بعض الصفات الفارسية، نذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

- بَس : وقد دخلت العامية بنفس شكلها في الفارسية، وهي تعني أصلاً : كافـةً، فقط، كثير. ونحن نستعملها في العامية بمعنى كاف، أيضاً .
- بُشت : مأخوذة من الكلمة الفارسية " بشت " بمعنى : ظهر الإنسان، أو الجـزء الخارجي من كل شيء، أو تخنث. وقد دخلت العامية بالمعنى الأخير .
- بَليد : مأخوذة من الكلمة الفارسية " بليد " بمعنى : الشيء، النجس، الملـوث، الشرير، الفاسد. وقد استخدمت في العامية كصفة للشخص الكسول الذي لا يجد ولا يسعى .
- طَازَه : مأخوذة من الكلمة الفارسية " تـازه " بمعنـى الحديـث أو الجديـد، وقـد دخلت العامية بهذا المعنى. وعربت في الفصحى على شكل " طازج " .
- تَنْبل : كلمة فارسية معربة، ويقولون في العربية طنبل الرجل طنبله بمعنى تحامق بعد تعاقل. وتستعمل أيضاً في التركية العامية. (انظر حواشي برهان قاطع). وقد دخلت العامية بمعنى كسول ومهمل .
- خَام : في الفارسية بمعنى نـي أو فـج. وقـد دخلـت العاميـة بلفظـها الفارسـي، ومعناها، بمعنى عديم التجربة أيضاً .
- خرِدة : مأخوذة من الكلمة الفارسية " خردِة " بكسـر الـدال. بمعنـى التافـه أو الحقير أو التافه. وهي في العامية بهذا المعنى أيضاً .

ومن المصطلحات المهنية التي دخلت عاميتنا من اللغة الفارسية، ما يلي :

- أوسطى : مأخوذة من الكلمة " أستاذ " بمعنى المعلم. وقد عربت على شكل " أستاذ "، ويقولون في الفارسية : أستاو أو ستاد أيضاً. وقـد دخلـت العاميـة بمعنـى معلم الحرفة، أو الماهر فيها .
- بريد : وهي كلمة فارسية استعملت في العربية الفصحى، وهي تعني الفرس أو الدابة التي تُستخدم في نقل البريد، وكلمة " بريد " مركبـة مـن (بريـده دم) أي مقطوع الذيل، لأنهم كانوا يقطعون ذيل الدابة التي تحمل الـبريد حتـى لا يعوقـها

عن الجري السريع. وقد اشتق العرب من كلمة بريد فعلاً، فقالوا : (أبرد البريد) وكلمة بريد تعني الفاصلة بين محطتين للبريد، وهي عادة تساوي أربعة فراسخ وتستعمل هذه الكلمة في العامية بلفظها الفارسي ومعناها .

- شبَندر : وهي مأخوذة من الكلمة الفارسية " شَهبندَر " ومعناها رئيس التجار وقد دخلت العامية بهذا المعنى أيضاً .
- هَندزَة- هندسة : وهي مأخوذة من الكلمة الفارسية " أندازة " بمعنى المقدار أو المقياس. وقد دخلت العامية دلالة على علم الهندسة، وأيضاً بلفظ : "هندازَه"، دلالة على نوع من المقياس طوله ٧٥ سنتيمتراً .
- يَاور : معناها في الفارسية المساعد، أو الصديق، وقد دخلت العامية بلفظها ومعناها الفارسي .

وبعد أن ذكرنا هذه الأمثلة على الألفاظ الفارسية التي دخلت العامية المصرية لابد لنا أن نبين الآن أن بعض هذه الكلمات من الكلمات المصرية أصلاً وقد استعملت في العامية أيضاً، مثل : أبريق – سروال – شوربا. كما أن بعضها الآخر اختلف معناه عن المعنى الذي يستخدم فيه من الفارسية .

ونجد أيضاً أن بعض هذه الألفاظ تتساوى في الشكل، والمعنى الفارسي عند استعمالها في العامية، مثل : سيخ – شال – ماشة – شوربا .

غير أننا نجد أن ألفاظ أخرى يتغيير شكلها في الكتابة عندما تستعمل في العامية. زنجير تصبح جنزير، سربوش تصبح طربوش وهكذا .

وإذا دققنا النظر في تغير الحروف عند انتقال هذه الألفاظ الفارسية إلى العامية المصرية، وجدنا ما يلي .

ب أو پ تبدل إلى ف في بعض الكلمات مثل : خوشاپ ـــ خوشاف

پلپل ـــ فلفل

چ تبدل إلى ش في بعض الكلمات مثل : چادر ـــ شادر چاكوچ ـــ شاكوش

ش تبدل إلى س في بعض الكلمات مثل : شيرپـ سيرج

گ تبدل إلى ج في بعض الكلمات مثل : لـگـام ـــ لجام

گ تبدل إلى ش في بعض الكلمات مثل : گـوال ـــ شـوال

س تبدل إلى ط في بعض الكلمات مثل : سربوش ـــ طربوش

س تبدل إلى ز في بعض الكلمات مثل : سنبـه ـــ زنبـه

ت تبدل إلى ط في بعض الكلمات مثل : استوانة ـــ اسطوانة

چـنتـه ـــ شنطـه

د تبدل إلى ت في بعض الكلمات مثل : سبـد ـــ سبـت

خ تبدل إلى غ في بعض الكلمات مثل : دخـش ـــ دغشـه

ولا ننسى أن نقول أن بعض الأسماء التي يسمي بها المصريون أبناءهم وبناتهم ترجع إلى أصول فارسية، فنحن نسمي أبناءنا مثلا :

خورشيد (الشمس)، شاهين (الصقر)، شاهبور (ابن الملك أو الأمير) ونسمي بناتنا مثلا بالأسماء التالية :

دولت (السعادة، الثروة)، نازك (الطرية، اللطيفة)، جهان (الدنيا)، شيرين (الحلوة)، نرجس (زهرة النرجس) .

كما تستخدم الأعداد الفارسية فيما نسميه بلعبة الطاولة، مع تحريف لبعض الأعداد الفارسية فنقول : يك، دو، سه، جهار، وينج، شيش (شش) .

ونقول هب يك (دو يك)، دوباره، دوسه، دورجي (دوجهار)، د بش (دوبنج)، دش (دوشش)، شيش بيش (شن وبنج)، وهكذا .

أما المفردات العربية التي استخلمها الفرس في لغتهم، فقد كانت في كل باب. إذ أنهم أخذوا :

مفردات دينية :

زكاة . حج . مسلم . مؤمن . كافر . منافق . فاسق . حنث . خبيث . قرآن . اقامة . تيمم . متعة . طلاق . زواج . قبلة . محراب .منارة . ابليس . زقوم . سلسبيل . حلال . حرام . بركة .

- ومفردات في الإدارة والسياسة :

خليفة ، ملك ، وزير ، حاجب ، قاض ، غلط ، خطأ ، عارية ، نصح ، فصيح ، جلاد ، سياف ، مستخدم .

- ومفردات الدواوين :

كتاب ، حبر ، قلم ، مداد ، خط ، درس ، فصل ، باب ، الأعداد .

- ومفردات الالبسة :

جبة ، إزار ، لحاف ، مخدة ، طراز ، رداء .

- ومن أسماء الأطيار :

فاختة.قمري.بلبل.لقلق.غراب .

- ومن أسماء أدوات الزينة :

حناء.عالية.بخور .

- ومن أسماء البلاد والأفلاك :

بلد.صحراء.صبيعة.بركة.حور.سهيل.فلك.مشرق.مغرب.شمال.جنوب.طالع.صبا.دبور .

- ومن أسماء أصحاب المهن :

خياط.قصاب.بيطار.بقال.صراف.دلال .

- وأسماء خاصة بالأطعمة واللهو :

- قمار.سفرة.قنينة.شراب.خمرة.غذاء.حلواء.هريسة.قطائف.قلية.نقل .

- وأسماء في الحرب :

حرب.جهاد.علم.طبل.عِرادة.منجنيق.ركاب.لواء.نصل. دبوس.حربه.حلقة.قفل .

- وأوصافاً : نبيل.لطيف.ظريف.عاشق.شاعر.كاتب.وفاء.أحمق.جاهل .

سرحدات : رأس الحدود . فهميدم : فهمت (من الفهم) .

مرد لا أبالي : رجل مهم . زمين لايزرع : أرض لايمكن زرعها، بالاضافة إلى عشرات المفردات التاريخية . وعشرات المفردات الجغرافية، وكذلك : الطبية، والفلكية، والفنية، والأدبية، وأسماء دروس النحو، والعروض، والنقد، والبلاغة. وإذا طالعنا نثراً أو شعراً فارسياً، وجدنا أن النسبة المئوية للمفردات العربية تبلغ أحياناً ٤٥ أو ٥٠ ٪ ، وإذا سعى الأديب أن يقل من الألفاظ العربية، فإنه لايمكنه أن يستغني عن ٢٠٪ من المفردات العربية .

والجدير بالملاحظة أن أغلبَ الألفاظ العربية التي دخلت الفارسية بقيت محفوظة على شكلها الذي أخذوه لعدم وجود الاشتقاق عندهم، أما اللفظة الفارسية التي دخلت العربية فإنها صهرت بالعربية، واشتقوا منها حتى ضاع أصلها على المطالع. وربما قيض الله يوماً لأئمة اللغة من الأمتين تجمعهم حمية العلم، وفريضة الأدب، ليتحلقوا حول الدواوين، والمعجمات سنوات ليصفوا ما لنا وما علينا، وما أحسب أن الأمر يسير، لما حدث من تلاحم، واندماج، بل لما هنالك من تشابهات، وصدف. وهل أخذت اللفظة من العربية أم من العبرية أم من السريانية. ومن ناحية ثانية هل أخذت عن البهلوية أم السنسكريتية أم الفارسية الدرية ؟ .

ملاحظة أخرى جديرة بالانتباه تدل على مدى التبادل اللغوى بين الأمتين. ذلك أن العرب استخدموا أسماء فارسية لمسميات، في حين أن الفرس استخدموا أسماءها العربية. وقد حصل هذا في العصر الحديث وخاصة :

فنحن نقول روزنامه ومعناها (كتاب اليوم) ، والفرس يستخدمون تقويم

فنحن نقول كهرباء ومعناها (جاذب القش) ، والفرس يستخدمون برب.

فنحن نقول دستور ومعناها (قانون) ، والفرس يستخدمون قانون

فنحن نقول أركَيلة– ناركَيلة ومعناها (جوز الهند) ، والفرس يستخدمون غليان

فنحن نقول كنار ومعناها (طرف) ، والفرس يستخدمون حاشية

فنحن نقول كاسة ومعناها (زبدية) ، والفرس يستخدمون باطية

فنحن نقول شرشف ومعناها (غطاء الليل) ، والفرس يستخدمون ملاءت أي ملحفة .

فنحن نقول دستور ومعناها (القانون الأساسي) ، والفرس يستخدمون مشروطة

فنحن نقول خرضة ومعناها (القراضة والأشياء الدقيقة) ، والفرس يستخدمون خَرزة .

فنحن نقول بخشيش ومعناها (الإنعام) ، والفرس يستخدمون إنعام

وقد أخذ العرب أسماء فارسية وتسموا بها مثل : قابوس وهو معرب عن كاووس. وقد لقب به النعمان بن المنذر. ومن النساء دختنوس، وهو اسم بنت لقيط بن زرارة وهو معرب عن دخت نوش .

كما أننا نلاحظ وجود مدن عربية أسماؤها فارسية مثل : بغداد ومعناها أعطى الصنم أو الله المعطي، البصرة ومعناها بعد الطريق وكانت (بس راه)، الأنباء ومعناها الحزن ثم صورت إلى عنبر. القيروان ومعناها القافلة. ونجد عدداً من القرى، والنواحي حول دمشق أسماؤها فارسية مثل : مزة، كيوان، برامكة، بلودان، زبداني، جرجاتية. وقد تكون هذه التسميات أطلقها النازحون من بلاد فارس إلى بلاد الشام .

وقد استعملنا أعلاماً فارسية حديثة مثل :

شيرين. مهتاب. شهرزاد. سُهنار. سوزان. كَيتي. مهيار. فرعود. جهان. فرزان. وقد تكون هذه الأسماء أسماء غلمان وجواري، وقد نكون استخدمناها تحبباً برقتها .

وإذا دخلت الأعلام الفارسية، فإن أغلب أسماء الفرس كانت عربية أو مركبة مع العربية. فقد تأثرت الأعلام الفارسية بالإسلام فاستقوا من الدين الإسلامي، ومن المذهب الجعفري خاصة هذه الأعلام. فمنها : خير الله. شكر الله. وقد تكون هذه الأعلام غير مستعملة عند العرب مثل : ذبيح الله، قدرة الله، يد الله، وقد يركب العلم من كلمة

فارسية وكلمة عربية مثل : خدا مراد. خدا رحم. خدا كرم. وقد يستخدمون أسماء الأنبياء وأسماء آل البيت مثل : عبد محمد. عبد الرسول. عبد النبي. وقد يتغير اسم محمد إلى ممد، واسم محمد على إلى ممد لى. ويسمعون كلثوم فيقولون له كرسوم .

ثم هناك : علي. حسن. حسين. باقر. صادق. كاظم. رضا. نقي. وقد يركبونها أو يدخلون عليها لفظة (عبد) : عبد الحسين، على أصغر. عبد الرضا. غلامحسين. غلامعلى. كما ادخلوا عليها أسماء الأشهر الهجرية فقالوا : صفر على. رجب على. رمضان حسين .

وقد تأثرنا بأعيادهم التقليدية القديمة، وأهمها النوروز، والمهرجان. وبالرغم من أن الأمويين لم يتعمدوا التأثر بالأعياد الفارسية، فإنها أخذت تتسرب إلى العرب بدون استئذان، حتى إذا كان العصر العباسي نقلوا إلينا الكثير من عاداتهم، والتي كان لها النفع الكبير لمحبي اللهو والطرب، والأثر في الأدب العربي .

مصادر ومراجع الباب الثانى :

١. د. محمد التونجى ، المجموعة الفارسية ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر سنة ١٩٦٦م .
٢. د. نور الدين آل على ، دروس اللغة والأدب الفارسى ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٨م .
٣. د. محمد نور الدين عبد المنعم ، اللغة الفارسية ، سلسلة كتابك رقم ٤٢ .
٤. ابن النديم ، الفهرست ...
٥. – كاتب چلبى – كشف الظنون فى أسماء الكتب والفنون ، سنة ١٩٤١م .
٦. صونيا الفيس – كتاب تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية ، القاهرة سنة ١٩٦٤م .
٧. فُرهنگ وآثارها فى فارس درزبان عربى ،
٨. د. محمد نور الدين عبد المنعم ، الألفاظ الفارسية فى العامية العربية ، بحث منشور ضمن " جوانب من الصلات الثقافية بين مصر ، وإيران دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٥م "

(رتبت المصادر حسب ورودها ضمن فصول هذا الباب)

موضوعات للمناقشة :

- شهدت اللغة الفارسية أطواراً تاريخية ؛ كان لكل دور سماته الخاصة ... هل يمكنك أن تحدد السمات المميزة لكل مرحلة ؟
- هناك فرق واضح بين اللغة والخط ، وقد استخدمت اللغة الفارسية عبر التاريخ مجموعة من الخطوط ... ناقش هذه القضية فى ضوء ما درسته على ألا يتجاوز هذا مائتين كلمة .
- تُمثل المفردات العربية نسبة كبيرة فى معجم الفارسى ؛ فما هى العوامل التى أدت إلى ذلك ... ؟
- هل قرأت كتاباً مترجماً عن اللغة الفارسية ، هل يمكنك أ، تذكره ، وأن تستخلص منه بعض الصلات الحضارية بين الأمتين ... ؟
- شارك كل من الفرس ، والترك ، وسكان شبه القارة الهندية فى تشييد البناء الحضارى الإسلامى ... أكتب مقالاً مختصراً مستعرضاً أهم السمات التى تُميز الدور الفارسي فى بناء الحضارة الإسلامية .
- بيجامة ... طربوش ... بقلاوى ... كلمات يُقال أنها فارسية، ودخلت إلى اللغة العربية ... هل يمكنك ذكر عشرين كلمة ينطبق عليها هذا القول ... .
- عدد عشرة كتب تُرجمت من اللغة العربية إلى الفارسية ... ومثلها من الفارسية إلى اللغة العربية ... معلقاً على الدور الذى يمكن أن تلعبه الترجمة فى التعريف بكلتا الثقافتين... ... .
- صغ من عندياتك بعض الموضوعات التى تصلح للمناقشة فى نفس هذا الصدد ... .
- استخدم المنهج التقابلى بين العربية والفارسية فى الأجزاء اللغوية التالية :

أ. النظام الصوتى ... ب . أدوات الجمع ... جـ التركيب الإضافى
د. التركيب الوصفى ... هـ الفعل الماضى فى تلك اللغتين ... .

الباب الثالث

اللغة الأوردية وصلاتها بالعربية

- الفصل الأول :

  النشأة التاريخية

- الفصل الثانى :

  النظام الصرفى فى اللغة الأوردية

- الفصل الثالث :

  الصلات الحضارية بين اللغتين

الفصل الأول

اللغة الأوردية وصلاتها بالعربية

الأردية كلمة تركية تعني الجيش، وأطلقت على معسكر الجيش الـ" لشكر گاه " كما أطلقت على المنطقة التى يتعامل فيها الجند " أوردو بازار " أى " سوق الجيش " . ولما كان هؤلاء الجنود يعملون لدى السلطان فقد أطلق على اللغة الرائجة بينهم " أوردو معلى " أى الأردية الفصيحة الراقية، ثم أطلق عليها " لشكرى بولى " أى لغة الجيش . كما سميت أيضاً " اردوئى شاهجان " أو اردوئى، معلى كما أُطلق على شاهجان اسم دلّى، أى دهلى، وسميت اللغة " لغة دهليّ " ودهلى مدينة قديمة كانت عاصمة لإمارات جميع راجات، ومهرجات أي أمراء، وملوك الهند، إلا أن كلاً منهم كان يتكلم لغة خاصة به، لا تختلط بلغة أخرى .

ولقد دخل الإسلام شبه القارة الهندية، واختلط المسلمون القادمون من مناطق مختلفة فى العالم الإسلامى، بأهالى البلاد الأصليين، فبدأت لهجات جديدة فى الظهور، أدت فى النهاية إلى تشكيل لغات استخدمها أهل الهند كُل فى منطقته .

وقد دخلت ألفاظ اللغة العربية، واللغة التركية، والفارسية وتراكيبها فى استخدامات أهل الهند، وغطت مساحات شاسعة .

النشأة التاريخية :

أما بالنسبة للمنشأ الأساسي فهناك عدة آراء مطروحة من قبل العلماء، فأكثرهم يقولون أنها لغة ما بين نهري غنغا وجمنا . وكانت هذه اللغة، تسمى آنذاك " كهرى بولي " وكانت لغة تلك المناطق فى القرن الحادى عشر الميلادى – الخامس الهجرى – وقد ترعرعت هذه اللغة نتيجة اختلاط الجيش الإسلامى بالسكان المحليين، والقادمين إليها من خارج حدود القارة الهندية . وزاد هذا الاختلاط بعد انتصار القائد سبكتكين فى مدينة لاهور على القائد الهندوسى راجه جيبال، الذى كان يحكم هذه المنطقة . وما أن مر قرنين من الزمان حتى تحولت الإدارة من الغزنويين إلى الغوريين، وانتقلت العاصمة إلى دلهى . واجتذبت المدينة الجديدة الكثيرين من البنجاب وغيرهم ... وما أن حل عهد ولي دكنى (١٦٦٥ – ١٧٤١م) فى دلهى وضواحيها حتى رسخت أقدام الأردية، وأصبح لها شأن آخر بعد الامتزاج الذى حدث بين العديد من العناصر البشرية، والثقافية، واللغوية .

مما لا شك فيه أن التاريخ السياسى للقارة الهندية قد لعب دوراً مهماً، وكبيراً فى نشر الأردية عبر القارة الهندية، وقد ظهرت حضارة جديدة ؛ حضارة مشتركة نتيجة اختلاط العرب، والترك، والأردين . والمغول، والمنغول مع الشعب الهندى القديم ... وجاءت الأردية نتيجة هذا الاختلاط العرقى، وتلبية للمتطلبات السياسية، والحضارية، والدينية، والثقافية . ويتجاوز عدد الناطقين بهذه اللغة الآن النصف مليار نسمة. بل يصل هذا الرقم إلى ٨٥٠ مليوناً حسب بعض المصادر الأمريكية .

وهكذا ولدت اللغة الأردية فى ظل الإسلام الذى دخل البلاد من الشمل والشرق فى أواخر القرن العاشر الميلادى، وأصبحت لغة التفاهم والتخاطب، ولغة البلاط الحاكم، ووسيلة الدعاة والمبلغين لدين الله، إذ أصبحت حلقة الوصل بين مختلف طبقات الشعب، يتفاهمون بها فى حياتهم اليومية، وعن طريقها يتم الدرس والتدريس، وبها ينشد الشعراء أشعارهم، ويكتب الأدباء خواطرهم، ومقالاتهم حتى ارتقت،

وتطورت ووصلت إلى مستوى اللغة الأردية

إن العامل الدينى كان أساساً فى تطوير اللغة، والرقى بها، فالدعـاة المسـلمون لعبوا الدور الأهم فى ظهورها منـذ عـهد السـلطان المغـولى أكـبر . وخضعـت اللغـة الهندوستانية - أى الأردية، والتى شملت كلاً من الأردية والهندية لشبه القارة الهندية، كما تركت التغيرات الاجتماعية والسياسية لشبه القارة أثرها العميق على الأردية، وأصبح لها أهمية كبيرة .

واجه المسلمون فى البداية صعوبة فى التعامل مع أهل البلاد، إلا أن الاختلاط الذى حدث بينهم فى ظل الدولة المغولية، وخاصة حين اعتلى شاهجان العرش، وأعـاد تأسيس دهلى من جديد، وأنشأ قلعة معلىّ أو القلعة الحمراء، وأطلق على المدينة اسم شاهجان آباد، هذا الاختلاط السكانى أوجد بدوره اختلاطاً لغوياً، كان له أثره فى اللغة الجديدة التى تشكلت من الألفاظ الأرديـة، والهنديـة، والفارسـية، والعربيـة، والتركيـة، واستخدمت سوق المعاملات، والتجارة هذه اللغة .

وأصبحت اللغة الأردية هى اللغة التـى يتحـدث بـها سـكان القـارة الهنديـة الباكستانية ... فجميع سكان هذه المنطقة يفهمونها، ويتحدثون بـها فـى بـلاد النيبـال، وبنغلاديش، وأفغانسـتان، وبـهوتان وبورمـا وسـريلانكا إلى جـوار الهنـد وباكسـتان . وأصواتها سنسكريتية وفارسية، وهى إحدى اللغـات الهنـدو أوروبيـة، وحتـى الألفـاظ العربية التى دخلتها تنطق باللكنة الفارسية .

التداخل اللغوى :

يواجه المتعلم لأي لغة أجنبية مشاكل متنوعة منـها التداخـل اللغـوى . أو مـا يُسمى بـ " تدخل اللغة الأم " فى اللغة الهـدف، لمـدة طويلـة، وللتغلـب علـى هـذه المشكلة لابد من الوقوف على النظام الصوتى، والصرفى، وغير ذلك من علـوم اللغـة فى كلتا اللغتين، وخير معين فى ذلك هو المنهج التقابلى، والحرص على تطبيقه فى كل حى دراسة اللغة الأوردية، ومقارنة ذلك بما يقابلـه فـى اللغـة العربيـة، أو العكـس،

بمعنى تحديد الهدف المراد تعلمه فى اللغة الأم أولاً، ثم تطبيق ذلك على اللغة الأردية .

إن هذا التداخل عملة ذات وجهين، فكما أن يصعُب عملية التعلم، إلا أنه يمكن أن يكون عاملاً مساعداً فى تسهيل عملية التعليم ... ومما ساعد على عملية التداخل بين العربية والأردية ؛ مشاركة اللغة الأردية فى الرموز الكتابية العربية، بالإضافة إلى تعديلاُت بسيطة للتعبير عن أصوات أعجمية غريبة عن اللغة الأردية . كما أن وحدة الدين أدت إلى تسهيل إضافة مفردات لغوية، ومصطلحات دينية إلى المعجم اللغوى الأردى .

إن الشعب المستخدم للغة الأردية يستخدم فى ثناياها ما لا يقل عن ٤٠ ٪ من الألفاظ العربية، ترتفع هذه النسبة إلى ٨٠٪ بين المثقفين، وأدى هذا التداخل إلى استخدام عدد كبير من المفردات العربية كما هى، وأدى إلى تغيير مدلول بعض الكلمات الأخرى وإذا لم يتضح هذا التغيير فى ذهن المتلقى، فإنه يُعد من عناصر تعقيد تعلم اللغة الهدف . ويمكنك تطبيق المنهج التقابلى، فى ذلك لكى تتضح هذه الصورة .

لقد كانت اللهجة " برج بهاشا " من شكل الألفاظ العربية التى استقتها لكى تتناسب مع اللغة الوليدة . وكانت الألفاظ العربية تلج إلى الأردية منذ مراحل ظهورها الأولى فى الدكن أو فى شمال الهند ... وكانت اللغة الأردية الدكنية تُغير من شكل الكلمة ونطقها ... ومرجع ذلك – مما لا شك فيه – إلى أن بعض الحروف العربية لا وجود لأصواتها فى المقابل الأردى ... فمثلاً : " س وش تنطقها بصوت حد (س) و (ط – ت) متشابهان فى (ت) و (ذ – ز – ض – ظ) ليس بينها روق واضحة فى اللغة الأردية " .

وعند تطبيق المنهج التقابلى نجد أن ؛ إذا كانت اللغة العربية تعتمد على مادة اللفظ، وهى المفتاح الأساسى لكل معنى ... فإننا لا نجد أى قيمة للمادة أى الجذر فى اللغة الأردية، بل تعتمد على وحدة اللفظ ومن هنا فإن الحركات التى تسهل النطق، وتُثْبت فى العربية فإنها تُثْبت مرة، وتحذف أخرى على اللفظ الواحد ... وسيتضح

ذلك عند دراسة اللغة الأردية .

إذا كان بعض الحروف العربية قد اختفت فى الأردية فى مراحلها الأولى، وحل محلها حروف من اللغة الآرية القديمة مثل " ز " التى حل محلها " ج " والـ " ف " التى حل محلها " بهـ " النطق والـ " خ " التى حل محلها " كهـ " والـ " ق " التى حل محلها " ك " إلا أن فى مرحلة التطور عادت هذه الحروف إلى الظهور فى اللغة الأردية نظراً لعلاقتها بالعربية .

كما أن قضية " الإبدال " التى وضعت لها قواعد، وقوانين فى الأردية أدت إلى زيادة هذا التداخل بين اللغتين ... وأصبح فى الأردية ألفاظاً " دخيلة " و " مورَّد " و " مولَّد " فالدخيل يشمل الألفاظ التى دخلت بشكلها الأصلى، ولا تزال تُستخدم بهذا الشكل، ولم يتغير معناه، مثل كتاب، وقلم، وحوض، وصحن وهذا دخيل تام، أما " عورت " = إمرأة، و"غريب " = فقير فهذا غير تام . أما المورّد فيشمل الألفاظ التى دخلت الأردية، وفقدت شكلها الأصلى، بسبب خضوعها لقاعدة ما من قواعد الصرف، وتغير المعنى مثل : بنبا فأصلها منبع بمعنى ماسورة كبيرة، وراس أصلها رأس، وذرا أصلها ذرّة وهذا يطلق عليه مورد تام ... وهناك مورد غير تام، فيطلق على اللفظ الذى تغير شكله ولم يتغير معناه مثل : أدَلَه = عضلة، مينار = مينارة .

الفصل الثانى

النظام الصرفى فى اللغة الأردية (*)

حروف اللغة الأردية :

تصل حروف الهجاء فى الأردية إلى واحد وخمسين حرفاً ؛ منها حروف مفردة، وأخرى مركبة . فالحروف المفردة هى :

ا – ب – ب – ت – ٹ – ث – ج – چ – ح – خ – د – ڈ – ذ – ر – ڑ – ز – ژ – س – ش – ص – ض – ط – ظ – ع – غ – ف – ق – ك – گ – ل – م – ن – و – ھ – ء – ی – ے .

وأما الحروف المركبة فهى :

بھ – پھ – تھ – ٹھ – جھ – چھ – دھ – ڈھ – ر ھ – ڑھ – کھ – گھ – مھ – نھ .

وكما سبقت الإشارة، فإن حروف ث . س . ص تتشابه نطقاً، وتنطق كنطق حرف السين فى العربية، بينما ينطق حرف ح مثل الهاء، ويتشابه حرف ذ – ز – ض – ظ إلى حد ما، حيث تنطق جميعاً كنطق حرف ز أو ظ، وينطق حرف ط مثل ت وحرف ق

(*) فرهنگ آصفية، صـ ١٤ المقدمة، نقلاً عن مقدمة معجم الألفاظ العربية فى اللغة الأردية، إعداد د/ سمير عبد الحميد إبراهيم، جامعة الإمام محمد بن سعود سنة ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م صـ ١٧ .

مثل ك والعين كالهمزة، ويقترب نطق حرف الواو من حرف V فى اللغة الإنجليزية فى بعض المواضع ... والحروف المركبة تُعد حرفاً واحداً .

كما أن الحركات القصيرة فى الأردية هى نفسها الحركات المستخدمة فى العربية ؛ الفتحة، والكسرة، والضمة، والحركات الطويلة هى ؛ الألف، والألف المدودة، والياء، والواو .

واستعارت الأردية التشديد، والجزم، والتنوين، ويستخدم التنوين فقط فى الكلمات العربية المستخدمة فى الأزدية ... كما أن معظم الكلمات العربية التى تنتهى بتاء مربوطة تكتب التاء فى آخرها مبسوطة . أخوّت ... نبوؤت - مروّت ... ومثلها فى ذلك مثل ما حدث فى التركية كما سنرى .

الفعل بين اللغتين :

استعار علماء اللغة الأردية الذين كتبوا قواعدها ونحوها، مصطلحات النحو العربية فيما يتعلق بالأزمنة المختلفة وحتى الجملة قسموها على الطريقة العربية أي إلى فعل، وفاعل، ومفعول، ومتعلقات مستخدمين المصطلحات العربية ذاتها، وقسموا الفعل من ناحية الزمان بنفس الطريقة : ماضى، حال، مستقبل .... .

الاسم بين اللغتين :

توجه اللغة الأردية إهتماماً كبيراً للعلاقة بين الأسماء، والأفعال فى الجملة، وكلمة اسم مستخدمة فى قواعد اللغة الأردية اصطلاحاً، فيقال : اسم مذكر، اسم مؤنث ... وسيتم دراسة هذا فى القسم التقابلى التطبيقى .... .

المفرد والجمع بين اللغتين :

الاسم من حيث العدد مفرد، وجمع، فالمفرد ما دل على واحد مثل كرسى، وكتاب ... والجمع ما زاد على واحد ... ولا تثنية فى اللغة الأردية مثل التركية، إلا فى الكلمات التى دخلتهما من العربية ... والأردية مثل العربية تعرف اسم الجمع مثل

أمت، وفوج، وهناك ألفاظ عربية طبقت عليها قواعد الجمع الهندية مثل أولاد جمع ولـد، تجار جمع تاجر، إلا أنها فى الأردية، والتركية تستخدم مفردة .

الصفة والموصوف بين العربية والأردية :

الصفـة فـى الأرديـة لهـا طابعـها الخـاص إلا أن علمـاء اللغـة اسـتخدموا المصطلحات العربية فى بيانها ؛ فقالوا : " صفت ذاتى "، و" صفت مقـدارى "، مثـل قليل من الماء . و" صفت إشارة " مثـل ذلـك الكلـب ... وللصفـة ثـلاث درجـات ؛ تفضيل نفسى، وتفضيل بعضى، وتفضيل كلى .

والصفة فى الأردية، والتركية تسـبق الموصـوف علـى عكـس اللغـة العربيـة، وتطابق الموصوف من حيث الجنس والعدد ... وسيتضح ذلك من الدراسة التقابلية .

الحروف أي المبهمات فى اللغتين :

الحروف هى تلك الكلمات التى تقوم بربط الفعل بالاسم، أو الإسم بالإسم . ولا تكون أسم لشيء، وليس لها زمن ... وقد استعارت الأردية حروف عربية كثيرة نذكر منها على سبيل المثال : لهذا (علة)، و(عطف) قطعى (تأكيد)، ليكن (لكـن)، إلا استدراك)، صرف، محض، ... .

كما استعارت الأردية حرف النفـى " لا " و " مـا " الموصوليـة، و " مـن " التبعيضية "، وذو بمعنى صاحب ... وذلك لاسـتحداث معـانٍ جديـدة ؛ لا أمُتـى (أى خارج على إجماع الأمة) . لا ثانى (فريد)، لا عـلاج (أى مـرض مزمـن) ... وهـذا بدوره ما أدى إلى إثراء المعجم اللغوى فى اللغة الأردية .

وعند تطبيق المنهج التقابلى ؛ يتضح أن هناك فرق بين تراكيب الجمل العربيـة والأردية، وذلك لكون اللغة الأردية تعتمد على اللغة الأسمية بدلاً من الجمـل الفعليـة مثل العربية . وسيتضح ذلك عن دراسة قواعد اللغة الأرديـة كلغـة هـدف، ومقارنتـها بقواعد اللغة العربية كلغة أم .

الفصل الثالث

الصلات الحضارية بين اللغتين العربية والأردية

من الثابت أن اللغة العربية ظلت فترة زمنية طويلة تمثل لغة الثقافة، والدين في شبه القارة، وظلت منبع ألفاظ الحضارة بمفهومها الواسع ... ومع انحصار الفارسية وانتشار الأردية احتلت العربية مكانة مهمة كمصدر إثراء، وإنماء للأردية - كما هو الحال في الفارسية، والتركية، والعبرية - حتى أن ألفاظ اللغة العربية تغلغلت في جميع مجالات الحياة، وفروع العلم المختلفة . وقد أدى ذلك فيما بعد إلى ظهور معاجم متخصصة لاقت ترحيباً كبيراً من العلماء في كلتا اللغتين .

ومن الجدير بالذكر أن عملية وضع المصطلحات في اللغة الأردية كانت قد بدأت في دار الترجمة بحيدر آباد (الهند) وبعدها بدأت لجنة تطوير اللغة الأردية في الهند بوضع معاجم متنوعة للمصطلحات في مجالات العلوم المختلفة ... وقد أقرت هذه اللجنة أن اللغة الأردية تحمل بداخلها صلاحيات كامنة في ميدان العلوم، والتكنولوجيا، بالإضافة إلى ميدان الأدب، والثقافة ... وقد تولى هذا العلم في باكستان هيئات متخصصة داخل الجامعات كما هو الحال في جامعة البنجاب، وجامعة كراتشي .

دور الأردية في النقل عن العربية :

إن اللغة الأردية نشأت في البيئة التي تُعتبر من أقدم الحضارات، وفي أرض اشتهرت باستقبالها لأقوام، وملل مختلفة وأرض كانت دائماً محلاً للتبادل الحضاري ...

واستقبلت العديد من حضارات الشعوب الأخرى ... وقد استعانت هذه اللغة – كما سبقت الإشارة – بالكثير من التراكيب، والمفردات، والفنون من اللغة العربية ... ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تعداها إلى الترجمة عن العربية ؛ حيث تُرجمت أمهات الكتب فى شتى علوم الدين، واللغة، وفنون الأدب . ولا غرو إذا ما قلنا أن اللغة العربية تشكل المنبع الرئيسى لهذه اللغة . فقد تم ترجمة كتاب " القانون فى الطب " للمفكر العظيم ابن سينا، وفى الرياضيات تُرجمت كتب أبى ريحان البيرونى، وكتب الخبراء المسلمين مثل ابن الهيثم، والرازى، وجابر بن حيان، والأصمعى، وعلى بن الطبرى، وابن النفيس، والكندى، والخوارزمى، والزهراوى، ونصير الدين الطوسى .

كما ساهمت اللغة الأردية فى مواضيع الثقافة العامة والموضوعات التاريخية، فنجد مثلاً أنه تم ترجمة كتاب " تاريخ الإسلام " لخضرى بك، " تاريخ العرب قبل الإسلام " لعلى جواد، وترجمت أناشيد محمود درويش، وكتب توفيق الحكيم، وروايات نجيب محفوظ؛ وخاصة أولاد حارتنا ... .

وفى ميدان الأدب التراثى تم ترجمة كتاب " العمدة فى الشعر " لابن رشيق القيروانى، و" الشعر والشعراء " لابن قتيبة، و" الشعر الجاهلى " لطه حسين، والمقالات التى كتبها العقاد عن المتنبى، و" يتيمة الدهر " لأبى منصور الثعالبى، والأغانى لأبى فرج الأصفهانى

ومما لا شك فيه أن الموضوعات الدينية تأتى على رأس الموضوعات التى تم ترجمتها من العربية إلى الأردية كالتفاسير، وكتب، الحديث، والفقه، وترجمة معانى القرآن ... وكثير من ترجمات هذه المعانى متداولة اليوم فى كل ربوع العالم المتحدث بالأردية .

ويمكن ذكر بعض الأمثلة على ذلك، وليس من قبيل الحصر :

- ترجمة القرآن، لمولانا أشرف على نهانوى .
- ترجمة القرآن، لمولانا عبد الماجد دريا بادى .
- ترجمة القرآن، لمولانا أبى الأعلى المودودى .

ومن تراجم الحديث النبوى الشريف :

- ترجمة صحيح البخارى، وصحيح مسلم، وغيرها من الصحاح الستة، ورياض الصالحين، وتجريد صحيح البخارى، وغيرها من كتب الحديث .

ومن كتب الفقه :

- ترجمة كُتاب الفقه على المذاهب الأربعة، هداية، وتاريخ الفقه الإسلامى للشيخ محمد خضرى بك وغيرها من كتب الفقه .

ومن كتب التفسير :

- ترجمة تفسير الطبرى، وتفسير ابن كثير، وتفسير (فى ظلال القرآن) للشهيد السيد قطب، وغير ذلك من كتب التفاسير .

ومن كتب السيرة والتاريخ :

- ترجمة سيرة ابن هشام، والرحيق المختوم، وتاريخ الطبرى، وتاريخ ابن كثير، وغيرها من كتب التاريخ الإسلامى .

ومن الكتب المعاصرة :

- تُرجمت تصانيف مصنفى الإخوان المسلمين كالشيخ الشهيد حسن البنا والشهيد عبد القادر عودة والسيد/حسن الهضيبى والشهيد سيد قطب – كما ذكر – وتُرجمت كل كتب الدكتور يوسف القرضاوى وكتاب " تاريخ الأدب العربى " للسيد أحمد حسن الزيات، وكتاب " التفسير والمفسرون " للشيخ محمد الذهبى، والعقيدة الطحاوية، وتحفة الواعظين للعلامة ابن القيم الجوزى، والطب النبوى .

ولم تقف العربية مكتوفة الأيدى بل تُرجم إلى العربية بعض من أمهات الكتب الأردية، كنموذج حي للتبادل الثقافى، والمزج الحضارى . وهاهى بعض الأمثلة :

- سيرة النبى عليه الصلاة والسلام للشبلى النعمانى، والسيد سليمان الندوى .

- العلاقات بين الهند والعرب لسيد سليمان الندوى .
- بحارة العرب (ملاحة العرب)، لسيد سليان الندوى .
- المعروف والمنكر، لجلال الدين أنصر عمرى .
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبى الحسن على الندوى .
- نقوش أقبال، لأبى الحسن على الندوى وكذا كتابه قافلة المدينة .
- النزاع الواقع بين التدين والتغريب، لأبى الحسن على الندوى .
- المصلح المفترى عليه (محمد بن عبد الوهاب) لمسعود عالم المندوى .
- وللسيد أبى الأعلى المودودى تُرجمت : النظام السياسى الإسلامى، والحجاب، والربا، والجهاد فى الإسلام .
- الدين وتحديات العصر، لوحيد الدين خان، وله أيضاً تُرجم النظام الماركسى المرفوض من التاريخ .
- الخلفية التاريخية للإلحاد محمد تقى أمينى .
- ميادين القتال فى العهد النبوى، للدكتور / محمد حميد الله .

وهذه كلها ليست سوى نماذج للتبادل الثقافى فى ميدان الترجمة المتبادلة بين اللغتين العربية والأوردية .

وعدا المفردات، والتراكيب، ومسميات القواعد، وبحور العروض العربى، فإن اللغة الأردية قد ساهمت فى نشر الثقافة العربية فى أنحاء شاسعة من العالم حيث يتم التحدث باللغة الأردية، كما أن هناك فى العصر الحديث تعامل ثقافى، وتجارى، وعلمى، بل والعسكرى بين الدول المتحدثة باللغة الأردية، والبلدان المتحدثة باللغة العربية . وما هذه إلا إشارات عابرة، أو إطلالة سريعة على اللغة الأردية ومساهماتها فى بناء الحضارة الإسلامية حديثاً ... والأمل معقود على زيادة التعاون والتبادل التجارى والحضارى والعلمى، ففى ذلك رقى، وتطور، وتقدم للحضارة الإسلامية، والإنسانية فى المفهوم العام .

ولمزيد من الفائدة يمكنك :

أ. الرجوع إلى المصادر والمراجع التالية :

١. أحمد، أشفاق أحمد وآخرون،

هفنت زبانی لغت، ط لاهور ١٩٧٤م .

٢. إدارة تأليف وترجمة – بنجاب يونيورسی،

اصطلاحات اطلاقى نفسيات، ط أولى المكتبة العلمية، لاهور ١٩٧٢م .

اصطلاحات نفسيات، ط أولى، مطبع عالية، لاهور ١٩٧١م .

٣. خان، إنشاء الله،

دريائى لطافت " أردو ترجمة " ط، أنجمن ترقى أردو، ١٩٣٥م .

٤. داؤوی خليل الرحمن – مرتب .

قواعد زبان أردو مشهور به رسالت كل كرست، ط أولى، مجلس ترقى أدب لاهور ١٩٦٢م .

٥. دلوی، د/ عبد الستار دلوی .

أردو مين لسانياتى تحقيق، ط أولى، بمبادى ١٩٧١م .

٦. دهلوی، مولوی سيد أحمد دهلوی .

مرهنگ آصفيه جلد١ – ٤ (طبع أولى ١٩٠٨ لاهور) طبع جهارم مع تصحيحات، باكستان لاهور .

٧. د/ سمير عبد الحميد إبراهيم،

القواعد الأساسية للدراسة الأردية، ط ٢، ملك بك دبو، لاهور ١٩٩١م .

اللغة العربية وقضية التنمية اللغوية فى باكستان ط دار المعارف مصر ١٩٨٢م .

الألفاظ العربية فى اللغة الأردية، دراسة دلالية معجمية،ط المكتبة العلمية، لاهور١٩٩١م

الأدب الأردى الإسلامى، ط الفرازدق، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٩٩٢م .

معجم الألفاظ العربية فى اللغة الأردية، ط الإدارة العامة للثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٩٩٦م .

٨. كتاب " الرياض " رقم ٣

اللغة مفتاح الحضارة، مؤسسة اليمامة الصحفية، ١٩٩٤م .

٩. نصير الدين هاشمى :

دكن مين أردو بيورو، نتى دهلى

ب. قضايا للمناقشة :

- درست المجموعات أو الأسرات اللغوية، هل يمكنك كتابة مقال مختصر عن اللغة الأردية فى ضوء ما درست . . . .
- مما لا شك فيه أن النظام الصوتى يمثل ركيزة مهمة من ركائز دراسة اللغة ... فهل يمكنك عمل مقارنة بين النظام الصوتى فى اللغة العربية واللغة الأردية .
- تعرفت فى دراستك للباب الأول على مجموعة من المناهج التى تهتم بدراسة اللغة، فهل يمكنك تطبيقها على اللغة الأردية .
- إذا أردت أن تستخدم المنهج المقارن فى مقال يُبين ثقافتك فى اللغتين العربية والأردية فماذا أنت قائل .. " فى حدود ١٨٠ كلمة " .
- عند دراستك لأى لغة جديدة لكى تكون هى اللغة الهدف، فما هو المنهج الذى تفضله لتسهيل مهمتك .
- بعد أن تعلمت اللغة الأردية، فهل يمكنك استخدام المنهج التقابلى فى دراسة :
- الخط المستخدم، حروف الجر، الصفة، الأعداد فى هذه اللغة على أن تقابل ذلك بلغتك الأم .
- يمثل الزمن عنصراً مهماً فى بناء الفعل فى الجملة سواء فى اللغة الأم، أو اللغة

المكتسبة " الهدف " فهل يمكنك استنتاج ذلك من نص قمت بدراسته وترجمته إلى اللغة العربية .

- اللغة هى وعاء الحضارة، مفتاح الثقافة ... فهل يمكنك تطبيق ذلك على اللغة الأردية
- تلعب اللغةُ دوراً أساسياً فى التفاعل بين الشعوب ... دلل على ذلك بما درسته حول اللغة الأردية ... .
- طلبك المركز الثقافى فى الحى الذى تسكنه لكى تُعَرِّف مجموعة من طلبة الثانوية العامة باللغة الأردية، فما كان منك إلا أن أعددت النقاط الأساسية التى ستتحدث فيها قبل توجهك للمركز الثقافى، فماذا كتبت ... " حديثك لن يتجاوز نصف ساعة " .

الباب الرابع
اللغات الأورالية الألطائية

- الفصل الأول :

اللغات الأورالية الألطائية

- الفصل الثانى :

اللغة التركية ولهجاتها

- الفصل الثالث :

الأبجديات التى استخدمتها اللغة التركية

- الفصل الرابع :

الصلات الحضارية بين العرب والترك

الفصل الأول

اللغات الأورالية الآلتائية

لقد نجح العالم الفنلدى في وضع حد للخلافات التى كانت تنشب حول الأصل الذى تنحدر منه اللغة التركية، بالرحلات العلمية التى قام بها فيما بين سنة ١٨٣٨ - ١٨٤٩م وامتدت فى منطقة جبل اورال آلتاى، وخلص من هذه الرحلات بنتائج علمية باهرة خلاصتها أن أسرة اللغات الآورالية الآلتائية تشمل خمسة فروع رئيسية هى :

١. الفرع الأيغورى — Fin – Uğur
٢. الفرع الفنلندى – الأيغورى — Türk – Tatar
٣. الفرع المغولى — Moğol
٤. صامويد — Samoyed
٥. الفرع التونغوزى — Tunguz

وإن كان قد جاء بعده " سكوت " Schott وقسم هذه الأسرة إلى فرعين رئيسيين هما :

أ. مجموعة لغات الفرع الأورالى ...

ب. **مجموعة لغات الفرع الآلتائى ...**

وينتسب كلا الفرعين إلى سلاسل جبل الأورال التى تفصل أوربا عن آسيا وجبل الألتاى فى وسط آسيا . وأهم اللغات التى تدخل فى هذه الأسرة؛ اللغات المجرية،

والفنلندية، والتركية، والمغولية . وتعد هذه اللغات فى رأى كثير من الباحثين أسرة لغوية واحدة . وتقوم وحدة هذه الأسرة على أساس اشتراك لغاتها فى عدد من الخصائص البنيوية .

وأهم هذه الخصائص المشتركة فى هذه اللغات من الناحية الصوتية وجود التوافق الصوتى Vocalic Harmony، ومعناه أن الحركة الأساسية فى الكلمة تتحكم فى باقى حركات اللواحق، فتجعلها متوافقة معها، ويظهر التوافق الحركى فى كل اللغات الأورالية الآلتائية بدرجات متفاوتة وأقلها فى اللغة الفنلندية، وأوضحها فى اللغة التركية .

وتتفق اللغات الأورالية الآلتائية فى نظام البنية اللغوية، فكل هذه لغات لاصقة، أو إلتصاقية، فهناك كلمات أساسية، ولواحق كثيرة تؤدى عدداً كبيراً من الوظائف النحوية، فإذا كانت اللغات الهندية – الأوربية واللغات السامية تعرف حروف الجر فإن اللغات الأورالية الآلتائية تعبر عن ذلك باللواحق ؛ فإذا أردنا أن نقول ما معناه " فى المنزل " قلنا بـ المجرية " Haz ba " وبالتركية " Ev de " وفى المجرية كلمة " Haz " وفى التركية كلمة " ev " تعنيان المنزل، أما تلك اللاحقة " Ba " فى المجرية " De " فى التركية فقد عبرتا عما نُعبر عنه فى العربية واللغات السامية الأخرى بحرف الجر . وهكذا فإن اللواحق تعبر فى اللغات عن معنى الوجود، ومعنى العدم، ومعنى الجمع، وغير ذلك . وهذا الشبه البنيوى بين هذه اللغات جعل بعض الباحثين يجعلونها أسرة لغوية واحدة .

أولاً : اللغات الأورالية :

تشكل اللغات الأورالية الجناح الأوربى، من اللغات الأورالية الآلتائية، وتضم اللغات الأورالية ؛ فرعين : هما الفرع الفنلندى – المجرى من جانب، والفرع الصمويدى، من الجانب الآخر .

وأهم لغات هذه المجموعة هى : اللغات الفنلندية المجرية ؛ فهى الأكثر انتشاراً،

والأرقى حضارياً، والأكثر أهمية، فى التاريخ، والحياة المعاصرة . أما اللغات الصمويدية فتتحدث بها جماعات تعيش فى الاتحاد السوفيتى السابق فى المنطقة الساحلية للبحر المتجمد الشمالى، ويزيد عدد أبنائها عن خمسة وعشرين ألفاً فقط، وقد ثبت ببحث هذه اللغات أنها تمت بصلة القرابة إلى اللغات الفنلندية المجرية .

الفرع الفنلندى :

يضم الفرع الفنلندى ؛ من اللغات الفنلندية المجرية عدة لغات، منها اللغة الفنلندية . ويبلغ عدد أبناء اللغة الفنلندية حوالى أربعة ملايين . وهى أهم اللغات فى جمهورية فنلندا التى تضم أيضاً عدة أقليات لغوية تتحدث السويدية، ولغة اللاب .

ويرجع التاريخ الحضارى للغة الفنلندية إلى منتصف القرن السادس عشر، ففى سنة ١٥٤٨م تمت ترجمة الأناجيل إلى اللغة الفنلندية، وأصبح لدى الفنلنديين كتاب مقدس، مدون بلغتهم . واعتمدت الترجمة على الاستخدام اللغوى فى منطقة توركو، وبذلك ارتبطت اللغة الفنلندية فى تاريخها المبكر بلهجة هذه المنطقة التى نشأت اللغة الفنلندية فى إطارها . وفى القرنين السابع عشر، والثامن عشر كان استخدام اللغة الفنلندية، يكاد يكون مقصوراً على كتب الثقافة الدينية، وكانت تكتب باعتبارها اللغة المحلية التى يفهمها المواطنون . أما باقى المجالات فقد تسودها اللغة السويدية، التى ظلت لغة الثقافة، واللغة الرسمية لعدة قرون . ولم تنته السيادة اللغوية السويدية إلا مع انفصال فنلندا واستقلالها عن السويد سنة ١٨٠٩م . وهنا بدأت اللغة الفنلندية تصبح اللغة الوطنية فى دولة فنلندا، ولذا، أخذ المؤلفون يتركون السويدية ليؤلفوا فى العلم، والثقافة باللغة الفنلندية . وبذلك ازدهرت اللغة الفنلندية فى القرن التاسع عشر، فى إطار الحركة القومية . وكان للعالم اللغوى الفولكلورى Loanrot (١٨٠٢ - ١٨٨٤م) جهد كبير فى جمع الأناشيد الشعبية، وكوّن منها ملحمة الكاليفالا (١٨٣٥م) وكان له أيضاً الفضل فى تأليف أول معجم للغة الفنلندية (١٨٨٠م) . وبذلك أخذت اللغة الفنلندية مكانتها كلغة قومية وكلغة للثقافة، والعلم فى دولة فنلندا .

وهناك لغة وثيقة الصلة باللغة الفنلندية ؛ وهى اللغة الكاريلية . ويتحدث بهذه اللغة حوالى نصف مليون فى الجمهورية الكاريلية المتمتعة بالحكم الذاتى فى الاتحاد السوفيتى السابق، وليس للغة الكاريلية تراث مدون، ولا تستخدم فى مجالات الثقافة، والتعليم .

وتعد اللغةُ الأُستونية ؛ أهم اللغات التى تمت بصلة القرابة اللغوية للغة الفنلندية، ويرجع تدوينها أيضاً إلى القرن السادس عشر الميلادى . واللغة الأستونية هى اللغة الوطنية، فى جمهورية أستونيا، الاشتراكية السوفيتية، ويتحدث بها حوالى مليون مواطن، فى استونيا، ونصف مليون، فى روسيا وسيبريا وليتلاند .

وإلى جانب الفنلندية (والكاريلية)، والأستونية، هناك عدة لغات تنتمى إلى الفرع الفنلندى ؛ وهى لغة اللآب، والموردفينية وغيرهما . ويبلغ عدد المتحدثين بهذه اللغات المختلفة، حوالى المليونين، يشكلون أقليات لغوية، فى الدول الأسكندنافية المختلفة، والاتحاد السوفيتى السابق .

الفرع المجرى :

يضم الفرع المجرى Ugrian ؛ عدة لغات أهمها، وأكثرها انتشاراً، اللغة المجرية " Hungarion " . وتعد اللغة المجرية، أقدم اللغات الفنلندية، المجرية، التى دُوِّنت، فقد تم ذلك فى القرن الثالث عشر الميلادى ؛ فهناك نص مجرى وصل إلينا مدوناً سنة ١٢٢٠م . وقد ظهرت بشائر النهضة اللغوية المجرية فى القرن السادس عشر، عندما أُلفت بها بعض الكتب الدينية، فى إطار حركة الإصلاح الدينى، وكان شأنها، فى هذا الصدد، شأن اللغات الكثيرة التى نازعتها مكانتها فى بلاد المجر . فكان المجريون، فى القرن السابع عشر، يتعاملون باللغة اللاتينية، باعتبارها اللغة الرسمية، ولغة القضاء، ولغة العلم، وكان بعضهم يتوسل فى مجال العلم باللغة الألمانية أيضاً، فى حين كانت اللغة الفرنسية، لغة الأرستقراطية، فى وسط أروبا . ولهذا تأثرت اللغة المجرية، فى مجال العلم والثقافة، باللاتينية، والألمانية، وفى ألفاظ الحياة الراقية، باللغة الفرنسية . وقد زاد

الإهتمام باللغة المجرية فى أواخر القرن الثامن عشر، مع ظهور الحركة القومية المجرية، فاصبح المجريون يؤلفون بها فى مجالات العلم، ويهتمون بها، رمزاً لقوميتهم، ووجودهم.

ثانياً: اللغات الآلتائية:

اللغات الآلتائية؛ هى الجناح الأسيوى، من اللغات الأورالية الآلتائية. وتتكون الأسرة اللغوية الآلتائية؛ من ثلاثة أفرع: الفرع التركى، والفرع المغولى، والفرع التونغوزى، وتُضاف إليها الطبقة الأقدم للغة الكورية.

الخصائص المشتركة بين اللغات الآلتائية:

تشترك اللغات الآلتائية فى الخصائص التالية:

أ. النظام الصوتى:

١) يوجد فى اللغات الآلتائية عدد كبير من الحركات، تصل فى كثير من هذه اللغات إلى سبع حركات وفى التركية إلى إثنتى عشرة حركة.

٢) يسود فى اللغات الآلتائية، نظام التوافق الحركي أي التوافق الصوتى Vocalic Harmony وهو نوع من المماثلة بين الحركات؛ فالحركات التى توجد فى الكلمة الأساسية تتحكم فى حركات اللواحق التى تُلْصَق بهذه الكلمة، فمثلاً تتخذ الوحدة الصَّرْفية الدالة على الملكية، أو التبعية، أو الإضافة الأشكال الآتية (ün , un , in , ın) وتتحدد الصورة الصوتية المستخدمة فى كل حالة على حدة، وفق الحركة الخاصة بالكلمة الأساسية، ويتضح هذا من الأمثلة التالية:

حديقة المنزل	bahçesi	ev - in
سائقُ الأتوبيسِ	Sürücüsü	Otobüs - ün
حارسُ الغابةِ	Bekçisi	Orman - ın
قبطانُ السفينةِ	Kaptanı	Vapur - un

وعلى هذا تحددت حركة اللاحقة وفق حركة الكلمة الأساسية ....

فالحركة الأساسية هى: " Ü , E U , A , " أما

حركة اللاحقة هى: " U , I , Ü , İ " .

وهناك عدة قوانين للتوافق الحركى، فى كل لغة من اللغات الآلتائية، ولكن وجود هذه الظاهرة – بصفة عامة – يُعد من السمات المميزة لهذه اللغات .

٣) لا تظهر بعض الصوامت ؛ فى أول الكلمة، أو يكون وجودها نادراً، ومن هذه الصوامت الراء والزاى، فلا تكاد الكلمات الأصلية، فى اللغة الآلتائية، تبدأ بالراء أو الزاى .

٤) أنواع المقاطع فى اللغات الآلتائية محدودة والمقطع فى هذه اللغات يتكون من (حركة) فقط، أو من (حركة + صامت) أو من (صامت + حركة)، أو من (صامت + صامت) . أو من (صامت + حركة + صامت + صامت) . وعلى هذا فلا يوجد مقطع يبدأ بصامتين أو أكثر .

ب. بناء الكلمة :

١. اللغات الآلتائية ؛ لغات لاصقة، تتكون بنية الكلمات فيها من كلمة أساسية، تُلحق بها لواحق كثيرة .

مثال من اللغة التركية :

الكلمة الأساسية : خاف Kork، تكوِّن بإضافة بعض اللواحق الكلمات الآتية :

خَوِّف	Kork + ut ++ u
جبان	Kork - ak
مُخيف	Kork - unç

وبهذا تتعدد المعانى بتعدد اللواحق .

٢. تؤدى هذه اللواحق، وظائف لغوية مختلفة، للتعبير عن زمن الفعل، وعن النفى، وعن الجمع، وعن المكان، وغير ذلك من المعانى، التى تُؤَدى فى اللغات الأخرى بوسائل لغوية مختلفة . ولا تعرف هذه اللغات حروف جر سابقة على الاسم، بل تُؤدى المعانى عن طريق لواحق تأتى بعد الكلمة، أى أنها ليست Perpositions

بل Postpositons .

ويتضح هذان من الأمثلة التركية التالية :

فى المنزل " Evde " منزل " ev " .

هو (يكون) فى المنزل (ev de dir / Evededir) .

٣. لا تعرف اللغات الآلتائية، تصنيف الصيغ، من ناحية التذكير، والتـأنيث، وينطبق هذا على كل أنواع الكلمات من أسماء، وأفعال، وغير ذلك .

٤. هناك مجموعات من المفردات الأساسـية، المشـتركة، فـى اللغـات الآلتائيـة، ويمكـن إيضاح الفروق بين هذه المفردات وفق قواعد، واضحة، إلى حد كبير .

المعنى	الكلمة فى اللغات المغولية	الكلمات فى اللغات التركية
قوى	Erke	ark
قص	Kirya	Klrk
جيد	aba	av
جفف	kata	Kat
حلب	Seya	Sağ
فهم	Uka	anla

ويلاحظ من الأمثلة السابقة، وكلها من الكلمات الأساسـية، أنـها مـن أصـل اشتقاقى واحد، وأهم الفـروق بـين الصيـغ المغوليـة، والصيـغ التركيـة، يتعلـق بـآخر الكلمات فقد حذفت الحركة الأخيرة فى الصيغ التركية، وهذا الحذف ملاحظ فـى كـل الأمثلة التركية السابقة .

يمكن أيضاً مقابلة المغولية، والتونغوزية، وفق المنـهج، فيتضـح لنـا أن اللغـات التونغوزية، تحذف المقطع الأوسط، أو المقطع الأخير، أو مقطعين إثنين، داخل الكلمـات ذات المقاطع الكثيرة .

المعنى	الكلمة فى المغولية	الكلمة فى اللغة المنشورية
قطيع	adayasun	edun
جمل ذو سنامين	temegen	temen

وهكذا يمكن ملاحظة التغيرات فى صيغ المفردات بين اللغات التركية، والمغولية، والتونغوزية – ومنها اللغة المنشورية – وفق قواعد مطردة .

جـ . المفردات :

١. يضم المعجم المشترك فى اللغات الآلتائية ألفاظاً أساسية فى كل الأفرع التركية، والمغولية، والتوتغوزية . ففى :

اللغات المغولية، واللغات التركية، واللغات التوتغوزية، (منها المنشورية) مثلاً كلمة :

Aga أخ كبير   Aǧe أخ كبير   Age السيد

Borogan مطر   Buran عاصفة جليدية   Buean عاصفة

وعلى الرغم من الإختلاف النسبى فى الدلالة، إلا أن هذا الإختلاف يمكن تفسيره فى إطار التغير الدلالى .

٢. يشمل المعجم المشترك فى اللغات الآلتائية، الألفاظ الخاصة بالموضوعات التالية :

أ. جسم الإنسان، وذلك مثل الألفاظ الدالة على : ركبة، رأس، شعر، فم، أذن، وجه، صدر، قدم .

ب. علاقات القرابة، وذلك مثل الألفاظ الدالة على : أب، أخ كبير، أخت كبيرة، عم، جد، أقارب الأب .

ج. أسماء الحيوانات، وذلك مثل الألفاظ الدالة على : خروف، فأر، جمل، حية، سمك، ثور، حمار، دب .

د. أسماء الظواهر الطبيعية، وذلك مثل الألفاظ الدالة على : يوم، ليل، ضوء، زمن، مطر، جليد .

وهذه المجموعة تعد أمثلة الألفاظ الأساسية المشتركة فى اللغات الآلتائية .

إن هذه الخصائص الصوتية، والصرفية، والمعجمية المشتركة، تؤكد أن اللغات التركية، والمغولية، والتوتغوزية من أصل، واحد مفترض . ويطلق على هذا الأصل المفترض اسم اللغة الآلتائية، وذلك على نحو اللغة الهندية الأوربية الأقدم، واللغات السامية الأقدم . ولم تصل إلينا هذه اللغات الأقدم، ولكن افتراض وجودها، قبل عصور التدوين، أمر ضرورى حتى يمكن تفسير أوجه الشبه، بين اللغات التى اتضح أنها من أصل واحد .

الفصل الثانى

اللغة التركية ولهجاتها

يُطلق مصطلح " اللغة التركية " أو " لغات الترك " على عدد من اللغات التى تنتمى إلى أصل واحد مفترض، وتوجد اللغات التركية، فى منطقة واسعة، تمتد من وسط آسيا، حتى غربها، وشرقى أوربا . وقد انتشرت القبائل التركية، بعد هجرة هذه الجماعات، من موطنها الأقدم، فى وسط آسيا، وعلى حدود الصين، فى اتجاه الغرب، وتكونت من لهجات هذه المجموعات لغات تميزت شيئاً فشيئاً عن بعضها البعض . وأهم هذه المجموعات التركية المهاجرة جماعات الأوغوز، وجماعات القبچاق . تحرك الأوغوز إلى غرب أسيا، بينما هاجر القبچاق، إلى المناطق الشرقية، من أوربا . وهكذا تكونت عدة لغات تركية، فى المنطقة الغربية من أسيا، وأهمها التركمانية، واللغة التركية، وتكونت لغات أخرى فى المنطقة الشرقية من أوربا، وأهمها اللغة التتارية، ولغة القازاق . وقد بقيت جماعات تركية، كثيرة، فى وسط آسيا، وكانت هجرات بعضها ذات مجال محدود . ولذا كانت للغات هذه الجماعات تاريخها الخاص بها . وهكذا تنوعت اللغات التركية، وبدأت كل منها تأريخها المتميز .

وعلى الرغم من هذا التنوع، فإن لغات الترك، متقاربة فى بنيتها النحوية، تقارباً بعيداً ، وتتفق هذه اللغات فى المعجم الأساسى، المشترك، بصورة تسمح فى حالات كثيرة، أن يتفاهم أبناء بعض اللغات، وكأنهم أبناء لهجات مختلفة، للغة واحدة .

ومع هذا كله، فإن من الممكن تصنيف اللغات التركية (على أساس درجة تقارب كل لغة مع الأخرى) - إلى - عدة مستويات لغوية، وأفرع لغوية . ويقوم هذا التصنيف اعتماداً على الخصائص اللغوية، الحديثة، المتاحة، لأكثر اللغات التركية، أما النصوص القديمة التى تمثل مستويات لغوية قديمة، فهى قليلة، لا تقدم للباحث إلا صورة شاحبة عن الحياة اللغوية القديمة .

النقوش التركية القديمة :

١. ترجع أقدم النقوش التى وصلت إلينا، بالتركية، إلى منطقة نهر أورخون، فى بلاد المغول، ولذا تسمى هذه النقوش نسبة إلى المكان باسم " النقوش الأورخونية " . وقد دونت هذه النقوش فى الفترة الممتدة من القرن السادس أو السابع الميلادى على وجه التقريب إلى القرن الحادى عشر الميلادى . وقد دونت هذه النقوش، بخط قديم، يسمى باسم الأبجدية الأورخونية، ويقوم هذا الخط على أساس الأبجدية الصغدية القديمة، التى تقوم بدورها على الأبجدية الآرامية، القديمة . وتضم الأبجدية الأورخونية عدة حروف ذات أصل تركى، وقد أخذوها لترمز بشكلها إلى كلمات بعينها .

٢. تسمى المجموعة الثانية، من النقوش التركية ؛ باسم النقوش الأويغورية - نسبة إلى جماعة الأويغور التركية - وقد دُوِّنت هذه النقوش بخط أبجدى يقوم أيضاً على الخط الصغدى القديم . وقد توازى استخدام الخط الأورخونى مع الخط الأويغورى لأكثر من قرن، وسادت الكتابة بالخط الأويغورى، شيئاً فشيئاً حتى إنتهى استخدام الخط الأورخونى، بصفة نهائية فى القرن الحادى عشر الميلادى . وظل الخط الأويغورى، هو الخط السائد عند القبائل الترك بصفة عامة، ثم تخلت عنه القبائل التركية التى أسلمت فدخلت مجال الحضارة الإسلامية، وكتبت بالخط العربى . وهكذا توازى الخط الأويغورى مع الخط العربى، عدة قرون، وقد كتبت به هذه القبائل التركية، غير المسلمة فى الصين حتى أوائل القرن الثامن عشر الميلادى . وهكذا ظل الخط الأويغورى مرتبطاً فى تاريخ جماعات الترك بالتاريخ القديم لها .

٣. **النقوش البلغارية التركية :** هى المجموعة الثالثة، من النقوش التركية القديمة، وقد دُوِّنت هذه النقوش فى أرض أوربية، على عكس المجموعتين الأورخونية، والأويغورية، فقد دونتا فى وسط آسيا . وقد دُوِّنت النقوش البلغارية التركية فى الفترة الممتدة من القرن الثامن الميلادى إلى القرن الرابع عشر الميلادى، ولذا هناك توازى تاريخى بين النقوش التركية القديمة، فى كل مجموعاتها، واستمر هذا التوازى عدة قرون . ولقد عَرَفَت منطقة بلغاريا من القرن الثامن إلى القرن الرابع عشر للميلاد، ازدواجاً لغوياً، فكان الشعب، يتحدث بلغة سلافية، ولما وقع هؤلاء السلاف تحت حكم الترك الوافدين من آسيا وجنوب روسيا . ظل الازدواج اللغوى فى بلغاريا انعكاساً لتقسيم السكان إلى ترك حاكمين، وسلاف محكومين . وقد وُجِدت عدة لهجات تركية فى بلغاريا، ولكن بادت أكثر هذه اللهجات التركية، بسيادة اللغة البلغارية السلافية .

اللهجات التركية ذات التراث :

اللغة التركية :

اللغة التركية ؛ هى لغة الدولة العثمانية، ولغة الجمهورية التركية . وهى أهم اللغات التركية، فى العصر الحديث، وأهم اللغات التركية، فى التعبير عن الحضارة الإسلامية . ويرجع تاريخ اللغة التركية إلى القرن الخامس عشر الميلادى . فقد ازدهرت اللغة التركية، فى إطار الدولة العثمانية، ولذا تأثرت كثيراً بالعربية، والفارسية، وكانت اللغات العربية، والفارسية، والتركية، تستوعب مجالات التعبير الحضاري، فى الجناح الغربى، والأوسط، من العالم الإسلامى . وتُسمى اللغة التركية فى هذه الفترة باسم التركية العثمانية، وكانت تدون بالخط العربى . وعاشت التركية العثمانية، فى إطار الحضارة الإسلامية، وكانت المُثُل الثقافية، فى إطار الدولة العثمانية، تجعل اللغتين العربية، والفارسية أهم أدوات الثقافة الرفيعة . وأدى هذا الاهتمام بالعربية، والفارسية

إلى دخول عدد كبير من الألفاظ العربية والفارسية إلى التركية، ويتضح هذا التأثير بصفة خاصة فى المجالين الثقافى، والعلمى، وفوق هذا كانت العربية لغة الدين .

وقد دخلت اللغة التركية ؛ فى النصف الثانى، من القرن التاسع عشر، مجالات التعبير عن الحضارة الحديثة، فتأثرت باللغة الإيطالية، وباللغة الفرنسية، فى ألفاظ الحضارة، والمصطلحات العلمية . وبدأ بعض الكتاب، يطرحون قضية التجديد اللغوى، باعتباره الطريق نحو التقدم، والحضارة، ونادى كثيرون بالإقلال من الألفاظ العربية والفارسية الكثيرة التى كان الفصحاء يتبارون فى حشدها، وطالب البعض بمحاولة الاقتراب من لغة الشعب، فى التعبير الأدبى، وظهرت فى أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، محاولات لإصلاح نظام الكتابة، بإضافة علامات تجعل الكتابة التركية، أصدق تعبيراً عن النطق التركى . وعندما ألغيت الخلاف سنة ١٩٢٤م، وأعلنت الجمهورية التركية، دولة عَلْمانية، كانت تركيا أول دولة تنفصل بإرادة حكّامها عن الإطار الإسلامى، الحضارى، وتُولى وجهها شطر الغرب . وفى هذا العام أيضاً، كانت المحاولات الروسية الجنوبية، لفصل الأقاليم الجنوبية، عن الإرتباط الحضارى، عن باقى أنحاء العالم الإسلامى، قد اتخذت شكلاً رسمياً، وذلك بتعديل نظام كتابة اللغات التركية، فى جنوب الاتحاد السوفيتى السابق من الخط العربى، إلى الخط اللاتينى، ثم كان إعلان التحول، عن الخط العربى، إلى الخط اللاتينى فى تدوين اللغة التركية سنة ١٩٢٨م نقطة حاسمة، فى التاريخ اللغوى، والحضارى التركى . فكان إعلاناً بالتحول عن الارتباط بالعربية، والفارسية، ودعوة إلى تغريب اللغة التركية، وقد حاولت الحكومات التركية، بقرارات رسمية التخلص من كلمات عربية، وفارسية كثيرة كانت قد دخلت التركية، وإحلال كلمات تركية بديلة . وعلى الرغم من هذه المحاولات، فقد ظلت نسبة عالية من الألفاظ العربية، والفارسية مستقرة فى اللغة التركية، وما تزال الدولة تسمى نفسها رسمياً باسم Türkiye Gümhuriyeti دون رفض كلمة " الجمهورية " وهى كلمة عربية . ولكن تحول نظام الكتابة من الخط العربى، إلى الخط اللاتينى أوقف دخول

كلمات عربية، جديدة، وفتح الباب لدخول ألفاظ كثيرة، من اللغات الأوربية، إلى اللغة التركية الحديثة والمعاصرة .

اللغة الآذارية : أو اللهجة الآذارية :

اللغة الآذارية هى لغة آذربيجان، وتسمى هذه اللغة باسم " آذرى " وتعد اللغة الآذارية أقرب اللغات من جانبى البنية النحوية، والمعجم الأساسى من اللغة التركية، ومن الممكن أن يتفاهم آذرى بلغته مع تركى أناضولى بلغته فى موضوعات كثيرة دون أن يكون أحدهما قد تعلم الآخر، وكانت اللغتين لهجتان للغة واحدة . واللغة الآذارية هى اللغة السائدة فى جمهورية آذربيجان - وعاصمتها باكو -، وتوجد جماعات آذارية فى إيران . ويقدر عدد أبناء اللغة الآذارية بحوالى ثلاثة ملايين ونصف (١٩٥٩)، ثلاثة أرباعهم فى جمهورية أذربيجان .

كانت اللغة الآذارية فى إطار الحضارة الإسلامية إحدى اللغات التى صنفت بها المؤلفات الأدبية . وهناك تراث أدبى آذارى منذ القرن الثالث عشر الميلادى، وبهذا تكون الآذارية أقدم فى الاستخدام الأدبى من التركية، وكان الأدباء الآذاريون يجيدون العربية والفارسية، ولذا ظهرت ألفاظ عربية وفارسية كثيرة فى أشعارهم، وكتاباتهم . وظهرت محاولات عند بعض الأدباء للاقتراب من لغة الشعب، والإقلال من التفاصح بالعربية والفارسية . وكانت الصحافة الآذارية فى أواخر القرن التاسع عشر عاملاً مساعداً للوعى الوطنى الآذارى فى إطار النهضة الإسلامية . ولكن إعلان جمهورية أذربيجان السوفيتية (١٩١٨م)، ثم تحويل نظام تدوين اللغة الآذارية من الخط العربى إلى الخط اللاتينى (١٩٢٤م) ثم إلى الخط الكيريلى الروسى (١٩٣٩م) حددت الوجهة الحضارية للغة الآذارية إلى داخل الإتحاد السوفيتى، أما فى إيران فتكتب اللغة الآذارية إلى اليوم بالخط العربى، وبذلك بدأت مرحلة جديدة " آذارية جمهورية أذربيجان "، وتكونت مفردات جديدة فى الإطار الحضارى السوفيتى، فإذا كان الترك فى جمهورية تركيا قد أحلوا محل كلمة " انقلاب " كلمة تركية الأصل هى Devrim فإن اللغة

التركية، فــى الاتحـاد السـوفيتى - ومنـها الآذاريـة - تسـتخدم فـى هـذا الصـدد كلمـة Rovolyutsiya عن اللغة الروسية .

اللغة الـجـغتائية : = الـجـغطائية :

اللغة الـجـغتائية إحدى اللغات التركية ذات التاريخ الأدبى، والثقـافى، وقـد دون الأدب الـجـغتائى منذ القرن الثالث عشر الميلادى، بالخط العربى . وكانت اللغة الـجـغتائية فى عهد الإسلام زاخرة بالألفاظ الفارسية، والعربية، وكـان تراثـها محاكـاة للتراث الفارسي، والعربي . وظلت اللغة الـجـغتائية أهم لغات شرقي دولة التتار، إلى أن قام الأوزبك بطرد التتار من وسط آسيا وشـرقى إيـران فـى القـرن السـابع عشـر، فأخذت لهجتهم الأوزبكية فى السيادة . واليوم يتحدث باللغـة الأوزبكيـة حـوالى سـتة ملايين، أكـثرهم فـى جمهوريـة أوزبكسـتان، ومنـهم جماعـات فـى جمـهوريات التـاجيك والقيرغيز والقازاق .

اللغات الوطنية للشعوب التركية التى استقلت عن الاتحاد السوفيتى السابق :

هناك مستويات لغوية كثيرة توسلت بها الجماعات التركيـة فـى جنـوب أوربـا ووسط آسيا، وكان استخدامها مقصوراً على الحية اليومية عند هذه الجماعات . أما فى مجالات الثقافة فقد كـانوا - عنـد الضـرورة - يتعـاملون بغـير لغاتـهم المحليـة . ولكـن السياسة اللغوية للإتحاد السوفيتى جعلت هذه المستويات اللغوية المحلية لغـات وطنيـة، ودُوِّنت هذه اللغات بالخط اللاتيني سنة ١٩٢٨م، وكانت الآذارية قد دُوِّنت سـنة ١٩٢٤م، ثم عدل نظام الكتابة إلى الخط الكيريلى سنة ١٩٣٩م وسنة ١٩٤٠م .

وأهم هذه اللغات الوطنية للشـعوب التركيـة التـى اسـتقلت عـن الاتحـاد السـوفيتى السابق :

١. اللغة الأوزبكية : وهى أهم اللغات التركيـة فـى الاتحـاد السـوفيتى السـابق، ويتحدث بها أكثر من ستة ملايين، أكثرهم فى جمهورية أوزبكستان، وتوجد جماعات

أزبكية فى جمهورية التاجيك، وجمهورية القيرغيز، وجمهورية القازاق . وتعد اللغة الأوزبكية أهم اللغات فى جمهورية أوزبكستان إذ يشكل أبناؤها أكثر من ٦٠٪ مواطنى ههذ الجمهورية

٢. اللغة التتارية : تعد اللغة التركية الثانية بين اللغات التركية، ويتحدث بها حوالى خمسة ملايين، أكثرهم فى جمهوريتى التتار، والبشكير وكلتاهما من الجمهوريات التى استقلت عن الاتحاد الروسى الذى يكون مع جمهوريات أخرى الاتحاد السوفيتى، ولكن التتار يشكلون فى جمهورية التتار حوالى نصف السكان فقط، والباقون من الروس، والشوباش .

٣. اللغة القازاقية : تُعد لغة القازاق اللغة التركية الثالثة بين اللغات التركية يبلغ عدد أبنائها أقل من أربعة ملايين، أكثرهم فى جمهورية كازاخستان أي جمهورية القازاق، وتوجد جماعات قازاقية فى الإتحاد الروسى، وأوزبكستان .

٤. اللغة الآذارية : هى اللغة التركية الرابعة بين اللغات التركية بها حوالى ثلاثة ملايين أكثرهم فى جمهورية أذربيجان، وهناك أقليات آذارية فى جمهوريتى جورجيا وأرمينيا . وذلك بالإضافة إلى وجود الآذارية خارج الاتحاد السوفيتى فى إيران . وقد دُوِّنَت الآذارية منذ القرن الثالث عشر الميلادى بالخط العربى، وتدون إلى اليوم خارج الاتحاد السوفيتى السابق بالخط العربى، ولكنها كانت تدون فى الاتحاد السوفيتى بالخط الكيريلى الروسى .

٥. اللغة الشوباشية : هى اللغة التركية الخامسة بين اللغات التركية فى الاتحاد السوفيتى، يبلغ عدد أبنائها حوالى المليون ونصف، يعيش حوالى نصفهم فى جمهورية الشوباش، أما الباقون فهم فى جمهوريات أخرى داخل الاتحاد الروسى .

٦. اللغة التركمانية : هى اللغة التركية السادسة، ويتحدث بها حوالى مليون فى الإتحاد السوفيتى، أكثرهم فى جمهورية التركمان، وهناك جماعات تركمانية خارج الإتحاد السوفيتى فى شمال العراق وتركيا، وإيران وشمال غرب أفغانستان، والقوقاز .

وكانت تُدوَّن بصورة منتظمة منذ القرن السابع عشر بالخط العربـي، إلى أن عـدَّل الإتحاد السوفيتى نظام التدوين إلى الخط اللاتينى، ثم إلى الخـط الروسـى، وبذلـك دُوِّنت التركمانية داخل الاتحاد السوفيتى بالخط الكيريلى الروسى، وخـارج الاتحـاد السوفيتى بالخط العربى .

٧. اللغة الباشكيرية : هى اللغة التركية السابعة بين اللغات التركية المسـتخدمة فى الإتحاد السوفيتى السابق . يتحـدث بـها حـوالى مليـون، أكـثرهم فـى جمهوريـة الباشكير، وتوجد جماعات قليلة من الباشكير فى جمـهوريات أخرى داخـل الاتحـاد الروسى .

٨. اللغة القرغيزية : هى اللغة التركية الثامنة، يتحدث بها حوالى مليون، أكـثرهم فى جمهورية القرغيز . وقد استقلت عن الاتحاد السوفيتى السابق .

وهناك لغات تركية أخرى، داخل الاتحاد السوفيتى، منها لغة الياقوت (٢٥٠,٠٠٠) ولغـة القاراقلـپـاق (٢٥٠,٠٠٠)، واللغـة الكوميكيـة (١٣٥,٠٠٠) ولغـة الجوجـوز (١٢٥,٠٠٠)، ولغة الأويغور (١٠٠,٠٠٠)، فضلاً عن أقليات لغوية أخرى يقـل عددهـا عن مائة ألف .

وقـد كـان لتعديـل نظـام التدويـن إلى الخـط الروسـى، بالنسـبة للآذاريـة، والتركمانية وتدوين باقى المستويات اللغوية المحلية وإعلانها لغـات وطنيـة، فـى إطـار السياسة اللغوية للإتحاد السوفيتى ملامح لغوية بارزة، وتتضح هذه السياسة اللغوية ممـا يأتى :

١. تكوين أبجديات جديدة، للشعوب التى لم تكن لها لغات وطنية، مكتوبة خاصة بها، ولبعض اللغات المكتوبة الجديدة، التى كانت تتخذ الخط العربى أساسـاً لتدوينـها . وشكلت لهذا بعد ثورة ١٩١٧م، " لجنـة مركزيـة للأبجديـة الجديـدة " . وقـد وضعـت اللجنة فى أواخر العقد الثالث أبجديات جديدة تقوم على الأساس اللاتينى . وبذلك قطعت الصلة مع الخط العربـى، رمـز الحضارة الإسلامية .

٢. أثبت التطبيق أن اتخاذ الحروف اللاتينية عند الجماعات التركية جعل علاقتها مع اللغة الروسية محدودة، ولذا قرر المؤتمر الأول لكل روسيا ١٩٣٢م الموافقة على مشروع تعديل نظام التدوين إلى الخط الروسى . وبذلك أصبحت هذه اللغات التركية تدور فى الإطار الحضارى الروسى . ودخلت اللغة الروسية برامج التعليم باعتبارها اللغة الأجنبية العالمية، فأصبحت هى اللغة الثانية، عند الشعوب التركية، داخل الإتحاد السوفيتى .

٣. أصبحت اللغة الروسية، مصدر الألفاظ الحضارية، والمصطلحات العلمية وقد أوضحت دراسة مفردات الصحف الأوزبكية أنه، فى سنة ١٩٢٣م كان ٢٨٪ من الكلمات من أصل عربى، وفارسى و ٢٪ من أصل أوربى، وفى سنة ١٩٤٠ قلت الألفاظ ذات الأصل العربى، إلى ٢٥٪ وزادت الألفاظ الروسية، والأوروبية إلى ١٥٪ وقد زاد معدل التغير فى كلا الاتجاهين تناقص الألفاظ العربية الفارسية، وزيادة الألفاظ الروسية، والأوربية . أما فى مجالات العلوم الطبيعية، والاجتماعية فإن اللغة الروسية هى المصدر الوحيد، بلا منافس، ويتضح هذا من دراسة المصطلحات الأساسية للكيمياء فى لغة الباشكير، فنجد ١٣٢٠ إصطلاحاً أوربياً، بصيغته الروسية، ونجد ١٤٩ كلمة باشكيرية، وفى مصطلحات علوم الطبيعة نجد ٣٤٤ كلمة باشكيرية، و ١٤٢٠ اصطلاحاً أوربياً بصيغته الروسية . وهكذا تلاحظ أن الاتجاه العام فى تكوين ألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية فى اللغات التركية.داخل الاتحاد السوفيتى يتلخص فى العبارة الآتية : " تؤخذ مفردات الاصطلاحات كاملة تقريباً من اللغة الروسية، بدون تغيير فى الهجاء، ويسفر هذا أيضاً عن تقريب جميع اللغات الوطنية بعضها البعض الآخر، وكذلك مع اللغة الروسية " .

أما بعد أن استقلت هذه الدولة، على أثر تفكك الاتحاد السوفيتى، فإنها مازالت تبحث عن طريق لعودة الوعى الثقافى واللغوى ... هل تعود إلى الخط العربى ... ؟ ... أم تأخذ بالأبجدية التركية المستخدمة فى جمهورية تركيا ... ؟ أم تُحافظ على

الخط الكيرلى المستخدم، والمتحكم منذ سيطرة الروس ؟ هذه كلها قضايا، متروك حسمها لأهل اللغة، مهما تنازعتهم الأهواء ... أو قُدِّمت لهم الإغواءات ... فلا يمكن أن تنفصل قضايا اللغة، عن قضايا التراث وعن قضايا السياسة، والاقتصاد، والاحتياجات الروحية لأهل هذه اللغات . وإن كانت أذربيجان قد حسمت موقفها وأخذت بالأبجدية التركية الحديثة .

الفصل الثالث

الأبجديات التى استخدمتها اللغة التركية

يمكن القول بارتياح؛ أنه لا توجد لغة بين لغات العالم تضارع اللغة التركية فى عدد الأبجديات، أو الخطوط التى غيرتها، أو استخدمتها. فالوثائق العلمية تثبت أن اللغة التركية على مدى ألف وثلاثمائة عام استخدمت إثنتا عشر أبجدية مختلفة هى :

أبجديات : كَوك توركية، صغدية، أيغورية، مانية، براهمية، سريانية، عربية، إغريقية، أرمنية، عبرية، لاتينية، وسلافية.

ولو استبعدنا الأبجديات الثمان التى كانت محدودة الاستخدام كالصغدية، والمانية، والبراهمية، والسريانية، والإغريقية، والأرمنية، والعبرانية، لبقى لدينا خمس أبجديات، أو لنقل خمس خطوط هامة، استخدمها الأتراك على مر التاريخ، وهى الكَوك تورك. والأويغورى، والعربى، واللاتينى، والسلافى. ويمكن إرجاع هذا التغيير المتتالى فى مدة لم تتجاوز ألف وثلاثمائة عام إلى اتساع الرقعة الجغرافية التى انتشرت فيها الأتراك، وتعدد المدنيات التى دخل الترك تحت دائرة نفوذها، أو شاركوا فى بناءها أثناء ترحالهم، وتنقلهم أو خلال فتوحاتهم المتعاقبة، وتدينهم بديانات متعددة.

وسنحاول فى هذه العجالة أن نجول بين تلك الأبجديات لنتعرف عليها فى ضوء ما توفر لدينا من مراجع، ووثائق علمية.

(١) أبجدية كَوك تورك : **Göktürk Alfabesi**

طبقاً لآخر الوثائق التى توفرت لدى الباحثين؛ فإن أول أبجدية استخدمها الأتراك هى ابجدية الـ " كَوك تورك " ويمكن تسميتها أيضاً بـ " كتابات الرونيك التركية القديمة " نظراً لتشابهها مع كتابات، أو خطوط الرونيك الإسكندنافية وقد وجدت نقوش كثيرة، بعد أن إكتشفها العالم اللغوى الدنمركى الشهير ويلهلم طومسون " Vihelm Thomson " فى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٣م . ومع أن النقوش التى اكتشفت بين وادى " طالاش " ببلاد القيرغيز وحوض " نهر ينيسى " الأعلى غنية بحروفها، وأشكالها إلا إنها حديثة العهد، ولا يعرف تاريخ بدايتها بالضبط، ولكن ما عرف فقط هى النقوش التى وجدت فى بلاد المغول بالقرب من نهر اورخون وفى المناطق الشمالية من نفس البلاد، فبعضها يرجع إلى أسرة " كَوك تورك " الثانية (٦٨٢ - ٧٤٥) وبعضها الآخر يعود إلى عهد دولة الأويغور فى بلاد المغول (٧٤٥ - ٨٤٠) ويعتبر نقش كَول تكين " Kül Tigin " هو الوحيد بين هذه النقوش الذى يُعرف تاريخ كتابته بالضبط فقد أقيم فى أغسطس سنة ٧٣٢ طبقاً للكتابات الصينية الموجودة عليه . أما النقوش الأخرى فكل تواريخها تقريبية وأقدمها يرجع إلى ما بين (٦٨٥ - ٦٩٣) ويعود هذا النقش إلى آيلتريش قاغان " مؤسس الأسرة الثانية للكَوك تورك " .

ويُعد " كتاب الفال " الذى وجد فى تركستان الشرقية أقدم نص مكتوب بهذه الأبجدية، وهو مكوُن من حوالى مائة صحيفة، ويرجع إلى القرن التاسع الميلادى .

وأبجدية أورخون تتكون من ثمان وثلاثين حرفاً، وهى تزيد عن الأشكال التى كانت مستخدمة فى العهد السابق عليها مباشرة بمائة وخمسين شكلاً . وكانت الكلمة فى هذه الأبجدية تتكون من مقاطع، أو هجاءات .

وطبقاً لما ذهب إليه طومسون، فإن الإحتمال الأكثر قبوله هو أن هذه الأبجدية قد اشتقت من أصل سامى، كالآرامية مثلاً، وانتقل إلى هذه الديار عن طريق أبجدية فارسية أخرى، وقد استند طومسون فى نظريته تلك على التشابه الكبير بين بعض

حروف هذه الأبجدية وحروف الأبجدية الآرامية كما أن أبجدية الـ " كَوك تورك " القديمة تكتب هى الأخرى من اليمين إلى اليسار، ويعد هذا دليلاً على أنها اشتقت من أصل سامى، وربما يكون أتراك الغرب قد أخذوها عن طريق المسيحين الذين كانوا يعيشون فى المناطق القريبة من الصحارى الواقعة شمال " تيان شان " ويتحدثون الصغدية .

(٢) الأبجدية الصُغدية :

يُعتبر الصغديين من أهم الشعوب الإيرانية التى كان للأتراك بها صلات حضارية بعد الصين . فقد اكتشف الباحثون الكثير من النقوش التركية التى كتبت بالخط الصغدى متناولة العلاقات التركية الصينية والصغدية وكان أقدمها هو النقش الذى أقيم سنة ٥٨١، كما أن هناك نقش أخر يعود إلى بداية القرن التاسع كتب بثلاث لغات هى التركية، والصينية، والصغدية . وجميع الأدلة العلمية تفيد أن الأتراك قد دخلوا لفترات طويلة فى دائرة التأثير الحضارى الصغدى، واللغة الصغدية .

ويمكن الاعتقاد أن الأتراك الأويغور قد استخدموا هذه الأبجدية بعد إنهيار دولتهم فى مغوليستان (٧٤٥ - ٨٤٠) وهجرتهم إلى شرق التركستان . ومع أن النصوص التركية التى كتبت بالصغدية قليلة إلا أنها تعود كلها إلى البوذين الأويغور .

كما سبقت الإشارة فى الباب الثانى؛ فالصغدية مشتقة من أصل سريانى سامى .

(٣) الأبجدية الأويغورية :

يعد الخط الأويغورى، أو الأبجدية الأويغورية من أكثر الأبجديات انتشاراً بين الأتراك، بعد تركهم خط الرونيك الاسكندنافى . وهو مشتق من الخط الصغدى، ولكنه أكثر سهولة، وطواعية فى الكتابة عنه .

وبالرغم من أن هذا الخط لا يغطى احتياجات اللغة التركية، إلا أنه ظل مستعملاً من قبل الأتراك فترة طويلة . فمعظم المخطوطات الأويغورية المتعلقة بالديانات البوذية التى انتشرت بين الأويغور فى تركستان الشرقية، ولمدة أربعمائة سنة

منذ منتصف القرن التاسع، كانت كلها مكتوبة بالخط الأويغورى . كما أن النصوص المانية، والمسيحية، والنستورية التى كتبت بهذا الخط ليست قليلة .

وأقدم المخطوطات الأويغورية، نص متعلق بالديانة المانوية يعود إلى القرن الثامن . كما أن الأدب البوذى الذى كتب بالأويغورية قد وصل إلى نقطة النمو والكمال فى القرنين التاسع والعاشر؛ حيث ترجمت إليه كثير من الأعمال الصينية البوذية .

وقد استخدمت الأبجدية الأويغورية خارج حدود الدولة الأويغورية التى تكونت فى تركستان الشرقية، فكما هو معروف فإن نسخة فينا من كتاب " قوتادغو بيليكْ "، " علم الحقيقة " الذى استنسخ فى هرات سنة ١٤٣٩ مكتوبة بالخط الأويغورى كما أن " اغوز قاغان داستانى "،" ملحمة أغوز قاغان "،" ومعراج نامة " كتاب المعراج، وخاصة النسخ الموجودة فى المكتبة الوطنية بباريس، مكتوبة كذلك بنفس الخط . ويستفاد من الخطاب الذى أرسله السلطان محمد الفاتح إلى أوزون حسن بالأويغورية أنها كانت معروفة لدى كتاب البلاط العثماني .

ولقد انتقلت هذه الأبجدية إلى المغول منذ منتصف القرن الثانى عشر وظلت مستخدمة بينهم حتى القرن العشرين .

(٤) الأبجدية المانية :

كان الخط المانى بين الخطوط التى استخدمتها التركية على مر العصور، فلقد عرفت المانية، أوديـن مانى بين الترك منذ أزمنة مبكرة، فلقد أعلن الحاكم الأويغورى " يوغوقاغان " (٧٥٩ – ٧٨٠) أن المانوية هى الدين الرسمى للبلاد سنة ٧٦٢ . ولقد قام الأويغور المانويين حتى قبل أن يهاجروا إلى تركستان الشرقية بتطويع الخط المانى، وتطويره حتى يتلائم مع التركية .

والخط المانى مشتق من الخط الإسترانجيلو الذى يعد همزة الوصل بين الخط الآرامى والسريانى .

والنصوص التركية المكتوبة بالأبجدية المانية محدودة جداً ، ولا تخرج عن نطاق النصوص الدينية المانوية وقد وجدت فى " طورفان " و" طونج هوانج " وأشهرها مخطوطة بخط يد النبى مانى نفسه، وهى عبارة عن أدعية توبة، واستغفار، ويمكن أن تكون ترجمة عن الصغدية .

(٥) الخط البراهمى :

بعض النصوص التركية قد كتبت بالخط البراهمى الذى يختلف اختلافاً كبيراً عن الخطوط الصغدية، والأيغودية، والمانوية، والخط البراهمى هندى الأصل قد استخدم فى كتابة اللغة السنسكريتية، وقد نقله المبشرون البوذيون بين الأتراك فى أواسط آسيا . كما قد أضافوا إليه بعض الإشارات التى تعبر عن الأصوات الغير موجودة فى اللغة الهندية، ويكتب هذا الخط من الشمال إلى اليمين على العكس تماماً من الخطوط السامية التى تكتب من اليمين إلى اليسار وهو من الخطوط ذات المقاطع المنفردة .

والنصوص التركية التى كتبت بهذا الخط تعتبر فى غاية الأهمية بالنسبة لدراسة تطور اللغة التركية، وإن كان من اللازم ألا يغيب عن الذهن أن هناك فوارق كبيرة بين تركية هذا الخط، وتركية الخطوط الأخرى .

(٦) الخط السريانى :

لقد انتشر الدين المسيحى بين أتراك آسيا الوسطى، والأيغور فى تركستان الشرقية، وخاصة المذهب النستورى، وقد عثر الباحثون فى ضواحى طورفان فى تركستان الشرقية على نصوص مسيحية أويغورية . وفى مكتبة برلين نصوص مسيحية تركية كتبت الخط السريانى، كما وجدت شواهد قبور مسيحية تركية نقشت بالخط السريانى فى داخل مغوليستان وخاصة فى منطقة " يدى صو ". وهذه الشواهد تعود إلى الأتراك

المسيحين النستوريين الذين يعيشون فى أعماق منغوليـا، وتنحصـر أزمنتـها فيمـا بـين القرن الثامن والرابع عشر.

وهذا الخط يكتب من اليمين إلى اليسار كبقية الخطوط السامية. وهو الخط الإسترنجيلو

(٧) الخط العربى:

مما لا شك فيه أن الخط العربى يعد أشهر الخطـوط التـى اسـتخدمها الأتـراك سواء من ناحية الإطار الزمنى، أو المحيط الجغرافى، فمنذ أن بدأ الإسلام فى الانتشار بين الأتراك منذ أواسط القرن التاسع الميلادى، وحتى أواسط القـرن العشـرين، والأتـراك يكتبون لغاتهم، ولهجاتهم بالخط العربى. وكان الخـط العربـى مـازال مستخدماً بـين أتراك تركستان الشرقية، والأيغور فى ولاية " سنج يانج " الصينية حتى عـهد قريـب، ومازال هذا الخط مستخدماً بين التركمان، والأتراك الذين يعيشون فى كركوك بالعراق.

والخط العربى من الخطوط الهجائية السامية، تطور عن أحد الخطوط الآرامية.

وكانت الأبجدية العربية فى صدر الإسلام تكتب بالخطين الكوفى، والنسـخى، واندثـر الخط الكوفى، وترك مجاله لخط النسخ، وعلى هذا فإن الخط العربى السلس المعاصر هو تطور لخط النسخ.

وكان أول من كتب التركية بالخط العربى بلاشك من القراخانيين هـو محمـود الكاشغرى فى معجمه الشهير " ديوان لغات الترك " الـذى كتبـه سـنة ١٠٧٣ بـهدف تعليم التركية لأبناء العربية، وهذا المعجم من التركية إلى العربية، وقـد طـوَّع التركيـة للخط العربى، وحركاته المختلفة، سواء الحركات الطويلة " الألف والواو واليـاء " أو الحركات القصيرة " الفتحة والضمة والكسرة " حتى صارت التركيـة بـالخط العربـى لغة الكتابة السائدة منذ القرن الثانى عشر، والثالث عشر (وكانت تسمى الغزبـة أو التركية الشرقية) وأنضج نموذج لها فى تلك الآونة هو كتاب " بهجت الحقائق، ولقـد نجح كاشغرلى محمود فى المزج بين الخط العربى، والإشارات الفارسـية التـى تُعبـر عـن

الحروف التركية الغير موجودة فى العربية والتى استحدثها الإيرانيـون بعـد اسـتخدام الخط العربى مثل الـ " گـ " والـ " چـ " والـ " ژ " والـ " پ " .

وظلت الأبجدية العربية هى السائدة فـى الإمبراطوريـة العثمانيـة، وكـان لهـا دورها البارز فى تطوير اللغة التركية خلال تلك الفترة حتى أوصلتها إلى المنزلة الثالثـة بين لغات الحضارة الإسلامية وإن كان ما يؤخذ على الخط العربى فى كتابة التركيـة أن الحروف الصوتية العربية لم تكن لتغطى كـل الحـروف الصـادرة فـى اللغـة التركيـة . وخاصة الحروف الصوتية الدالة على الضم ففى حين تعبر عنها التركية بأربعة حروف هم " Ü , U , Ö , O " فإن العربية تعبر عنها بحرف واحد هو " الواو " لأن التركية لا تعرف التشكيل .

(٨) الأبجدية الأرمنية :

بعد أن قضى الأتراك السلاجقة على الدولة الأرمنية فى شرق الأنـاضول فـى أواسط القرن الحادى عشر اضطر الكثيرين من الأرمن إلى الهجرة إلى القرم والاستيطان بها . ثم ذهب البعض منهم فيما بعد إلى أوكرانيا الغربية واستقروا هنالك . وقد عاش هؤلاء الأرمن مئات السنين متعـاونين، ومتحـابين مـع الأتـراك القبـجـاق فـى القـرم وأكرانيا، وكان من نتيجة هذه الحياة المشتركة أن قبل الأرمن دين ولغـة هـؤلاء الأتـراك القبـجـاق، وأصبحوا يستخدمون اللغة القبـجـاقية فى الكتابات الكنائسـية، والرسميـة . ولكنهم كانوا يكتبون تلك الكتابات بالخط الأرمنى .

والخط الأرمنى من أصل آرامى، وأكثر الكتابات التركية بالخط الأرمنـى تعـد وثائق رسمية، وكانت بعض هذه الوثائق التى تعود إلى القرنين السادس عشر والسـابع عشر موجودة فى كييـف إلى سنة ١٩٤٣م ، ولكنها أحرقت أثناء الانسحاب الألمـانى سـنة ١٩٤٤م، ولكن مازال هناك حوالى ثلاثون مخطوطـة تركيـة بـالخط الأرمنـى، موجـودة فـى

مكتبات العواصم العالمية مثل ڤينا، وباريس، وبرسلاف وقراقوف وبين هذه المخطوطات قاموس بالقبچاقية الأرمنية .

(٩) الأبجدية العبرية :

كان " القرائملر " والقرايلر " اليهود الذين ينتمون إلى أصل تركى ويعيشون فى القرم حتى ١٩٤٣م وحالياً فى أوكرانياوليتفانيا يكتبون أعمالهم الدينية التركية بالخط العبرانى . وأقدم التراجم التوراتية تعود إلى القرن السادس عشر والثامن عشر .

والقرائميون يكتبون آدابهم التى تطورت تحت التأثير الغربى منذ القرن التاسع عشر بالخط الروسى، أو اللاتينى .

(١٠) الأبجدية الإغريقية :

كان الأتراك اليونانيون الأرثوذكس، والذين يتسمون بالقرامانيين، ويعيشون فى المدن التركية الكبيرة فى الأناضول؛ كأستانبول وإزمير حتى معاهدة تبادل المواطنين بين الترك واليونان عقدت ١٩٢٤م يكتبون لهجاتهم ومحاوراتهم التركية بالأبجدية الإغريقية .

وأقدم مخطوطة تركية قرامانية كتبت بالخط اليونانى " (الإغريقى) تعود إلى القرن السادس عشر، وهناك مخطوطات أخرى كثيرة تعود إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر . ثم تم طبع عدد لا بئس به من الكتب التركية القرامانية فى القرن الثامن عشر فى المدن الكبرى كاستانبول، وازمير، وبعض عواصم أوروبا، وإن كانت معظمها أعمال دينية .

(١١) الأبجدية اللاتينية :

كان الأتراك الآذاريون هم أول من استخدموا أبجدية تمت إلى الأصل اللاتينى بصلة فقد بدأت الأفكار التى تدعو إلى تغير الخط العربى إلى اللاتينى بين الآذاريين

منذ القرن التاسع عشر . فلقد تقدم المفكر الآذرى ميرزا فتحملى آخوندوف بمشروع يقترح فيه إحلال أبجدية لاتينية سلافية محل الأبجدية العربية، ولكن الوضع السياسى والاجتماعى لم يكن يسمح بتحقيق مشروع كهذا، أو حتى مجرد مناقشته .

ولم يتحقق هذا إلا بعد الثورة الروسية وخاصة سنة ١٩٢٢م حيث تقرر بقانون فُرِضَ فى جمهورية آذربيجان السوفيتية الاشتراكية سنتي ٢٣ / ١٩٢٤ تطبيق الحروف الحديثة فى اللغة التركية الآذارية . ومع هذا لم تُطبق فى التعليم إلا سنة ١٩٢٥م وتعاقب استخدام الخط اللاتينى فى جمهوريات الإتحاد السوفيتي، وكان آخرها سنة ١٩٥٧م ثم أعقبها الأتراك الموجودون فى الصين حيث كان القازاق والأيغور حتى سنة ١٩٧٠م يكتبون اللغة التركية الأيغورية بالحروف العربية، ولكن بعد هذا التاريخ تقرر استخدام أبجدية جديدة مشتقة عن الأصل اللاتينى .

وكان أتراك الأناضول الذين يعيشون فى تركيا الحالية يستخدمون الأبجدية العربية إلى حين صدور قانون الانقلاب اللغوى فى الأول من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٨م تحت رقم ١٣٥٣ منهياً بذلك استخدام الخط العربى، ومقرراً استخدام الأبجدية اللاتينية التى تتكون من تسعة وعشرين حرفاً .

وبهذا، فإن كان الخط اللاتينى قد سهل استخدام اللغة التركية فى القراءة والكتابة وقلل من نسبة الأمية بين الأتراك الذين يزيد سنهم عن ست سنوات فوصلت سنة ١٩٧٠ إلى ٥٤,٦٧ ٪ بينما كانت سنة ١٩٢٧ لا تتجاوز ١٠,٦ ٪ بين الذين يزيد سنهم عن سبع سنين إلا أن هذا الخط قد خلق سداً منيعاً بين الأتراك المحدثين وثقافاتهم، وحضاراتهم السابقة، ولم يعد فى مقدور مثقفيهم، أو شبابهم الإطلاع على ما خلَّفه لهم أجدادهم على مدى ما يزيد عن ألف سنة من تراث فكرى، وعقلى، وأدبى بل فى كل ما يتصل بفروع الحضارة الوارفة .

كذلك لابد من الإشارة إلى أنه فى حين كان الخط العربى يجود بين التراث أو الحضارة التى كانت تنتجها اللغة التركية فى شتى لهجاتها، أو اللغات التركية - كم

يفضل المستشرقون واللغويون والباحثون الغربيون أن يسمونها - فى مختلف بقاعها فإن الخط اللاتينى الذى إستحدثت كل لهجة تركية فيه لنفسها ما يغطى إحتياجاتها الصوتية جعل من العسير على أبناء لهجة ما الإطلاع على ما كتبه أبناء عمومتهم فى لهجة أخرى، بل يكون مدهشاً لغرابته على حد قول الأستاذ الدكتور طلعت تكين أحد المتحمسين للخط اللاتينى.

(١٢) الأبجدية السلافية :

إن اللغة التركية بشتى لهجاتها أو لنقل اللغات التركية بين مختلف الطوائف التركية التى تعيش داخل جمهوريات الإتحاد السوفيتى أصبحت الآن كلها تكتب بالخط السلافى. وبهذا تقطعت وإلى الأبد الصلات الحضارية والثقافية التى كانت تربط الأتراك بماضيهم.

فالخط أو الأبجدية السلافية من أصل يونانى (إغريقى)، قام أحد رجال الكنيسة البيزنطية فى أواخر القرن التاسع الميلادي بتطويعه بما يتلائم مع سلافية الكنيسة القديمة، وظل هذا الخط مستمراً منذ ذلك التاريخ حتى يومنا هذا مع بعض التعديلات الطفيفة التى كانت تطرأ عليه من حين لآخر. ويسمى هذا الخط فى روسيا وبلغاريا بالخط الكريلى نسبة إلى موجده " كريل ".

ولقد تتابع إستخدام الخط السلافى من قبل اللهجات التركية، كان أولها اللهجة الجواشجية المستخدمة بين أتراك بلغاريا فى القرن الثامن عشر الميلادى، على يد المبشرين الروس، ومن غرائب القدر أن تستخدم بقية اللغات، أو اللهجات التركية هذه الأبجدية السلافية أيضاً على أيدى الملحدين الروس بدأ من سنة ١٩٢٤م حتى سنة ١٩٥٧م.

ويجب ألا يُقبَل بسهولة الإدعاء الذى يذهب إلى القول بأن الأبجدية السلافية أكثر سهولة، وطواعية للغات التركية، فلم يكن، ولن يكون كذلك، كما سيتضح فى أبحاثنا القادمة إن شاء الله.

الفصل الرابع

الصلات الحضارية بين العرب والترك

إطلالة على الصلات الحضارية بين العرب والترك :

لقد بدأت الاحتكاكات العسكرية بين العرب والترك، بعد ظهور الإسلام، وفتح المسلمون لإيران وأذربيجان ؛ فبعد معركة نهاوند ٢٢ هـ = ٦٤٢ م بدأ المسلمون زحفهم، وتحققت أول حملة إسلامية على ما وراء النهر فى العهد الأموى على يد عبيد الله بن زياد سنة ٥٤ هـ ٦٧٤ م . وتمكن القائد قُتيبة بن مسلم خلال أعوام (٨٧ - ٩٧ هـ = ٧٠٥ - ٧١٠ م) من فتح بلاد ما وراء النهر بكاملها تقريباً ..

فى العصر العباسى ؛ فقد الصراع بين العرب والترك حدته تماماً، وأدت حملة الصين على بلاد التركستان إلى جمع شمل أمتي العرب والترك؛ إذ ساعد أبو مسلم الترك فى سنة ١٣٤هـ = ٧٥١ م خلال المعركة التى دارت على شواطئ نهر أطلس = طرز، وتمكنوا سوياً من هزيمة الصين .

ومن المعلوم أن الأمويين كانوا دولة عربية غلبت عليها الصبغة العربية، وكانوا يتبعون سياسة عربية، وينظرون إلى غير العرب ممن أطلقوا عليهم الموالى باعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية . ولهذا السبب أطلق المؤرخ الألمانى الشهير " فلهاوزن " على كتابه الذى كتبه حول تاريخ الدولة الأموية اسم " الدولة العربية وسقوطها " وقد ترجم هذا الكتاب إلى التركية والعربية . ولهذا، فإن الثورة العباسية

التى هبت فى وجه الأمويين، كانت فى منطقة خراسان، التى كان يشكل الموالى أغلب سكانها . وكان لأتراك خراسان دور فى هذه الثورة، لا يقل عن دور الإيرانيين . ويتحدث الجاحظ فى كتابه المسمى " مناقب جند الخلافة وفضائل الترك " عن أتراك خراسان فى مناطق متعددة وقد ألقت الدراسات الحديثة بعض الضوء على هذا الموضوع .

وإذا كانت العلاقة العربية التركية فى العصر الأموي، كان يغلب عليها الطابع العسكرى ؛ حيث قام والى العراق عبيد الله ين زياد باستقدام وحلة عسكرية من رماة السهام حين عودته من حملته على بخارى ٥٤ هـ = ٦٧٤م، وأسكنهم البصرة . كما أن الحجاج بن يوسف عندما بنى مدينة واسط لم يسمح لغير عرب سوريا، وأتراك نجارى بالسكن بها ..

فى العصر العباسى، اعتمد هارون الرشيد (١٧٠ هـ = ٧٨٦/ ٧٨٧ م) إلى حد ما على العنصر التركى فى تأمين مدن الثغور، وأسكنهم فى قلاع الحدود . وانخرط عدد من أتراك بلاد فرغانة، وطشقند وبلاد ما وراء النهر فى قوات الحرس، والإدارة، والخاصة بدولة الخلافة العباسية، خلال النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى، ولم يحن القرن التاسع، إلا وكانت الأعداد قد تضاعفت، والنفوذ قد زاد . وحين حلت خلافة المعتصم، كان حرس الخلافة كله تقريباً من الأتراك، بل، وأقام لهم مدينة خاصة بهم على ضفاف نهر الدجلة شمالى العراق، تلك هى مدينة " سامراء " سنة ٢٢٢ هـ = ٨٣٨ م . ومن هذه المدينة بدأت انطلاقة جديدة للعلاقات العربية التركية على الصعيد السياسى، والإدارى . بل وفى كل فروع الحضارة الإسلامية، وفنونها المختلفة . ويقول " ياقوت " إن هؤلاء الجنود الترك الذين قطنوا أحياءً خاصة بهم، وبحسب قبائلهم التى ينحدرون منها، كانوا حوالى سبعين ألف جندى .

وظلت سامراء بعد هذا مركزاً للخلافة العباسية لثلاث وخمسين سنة .

أوائل العلماء الترك الذين ظهروا فى العالم الإسلامى :

يُعد أبو المعتمر سليمان بن طرخان التيمى البصرى أقدم العلماء الترك الذين ظهروا فى العالم الإسلامي، وكان من أوائل علماء الحديث، والمغازى، ومن أكبر علماء البصرة فى زمانه، وتوفى بالبصرة ١٤٣ هـ = ٧٦٠ م وكان إبنه محمد المعتمر من كبار علماء الحديث والمغازى هو الآخر، وهو أحد شيوخ ابن حنبل . وقد عاش بين سنوات ١٠٦ - ١٨٧ هـ = ٧٢٤ - ٨٠٣ م وله كتاب أسماه " كتاب المغازى "

وهناك عبد الله بن مبارك المروزى التركى، وكان مفسراً، ومحدثاً، ومؤرخاً، ونحوياً، وفقيهاً .. وقام بالعديد من الرحلات طلباً للعلم، ولد فى سنة ١١٨ هـ = ٧٣٦ م، وتوفى فى منطقة عواصم، وهو عائد من الجهاد سنة ١٨١هـ = ٨٩٣م، وله كتاب " المسند " وكتاب " الزهد والرقائق " وكتاب " الجهاد "، وله كتابان آخران باسم " تفسير القرآن "، و " كتاب التاريخ " .

وأبو إسحاق إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول تكين، وهو تركى الأصل من سلالة صول، وقد ولد سنة ١٧٦ هـ = ٧٩٢ م فى بغداد وتربى بها، واشتغل فى ديوان الإنشاء على أيام المعتصم، والواثق، والمتوكل، وأصبح وزيراً ورئيساً لهذا الديوان . وكان ناثراً، وشاعراً، وكبيراً . وقد كتب كتباً مهمة فى موضوعات الأدب، والسياسة، والكيمياء ؛ فله ديوناً شعرياً، وكتاب الدولة، وكتاب العطر، وكتاب الطبيخ .

وهناك كذلك، أبو بكر بن يحى الصولى " المتوفى ٢٣٦ هـ = ٩٤٦ م " وألف الكثير من الكتب المهمة فى موضوعات الشطرنج، والأدب، والتاريخ، ويُعتبر واحداً من أكبر أساتذة الأدب الغربى ..

وكان الفتح بن خاقان بن أحمد أوتوق هو ابن خاقان بن أحمد ومن المقربين للخليفة المعتصم، وولى أعمالاً مهمة فى عصر المتوكل بن المعتصم، حيث تولى مسئولية البريد، وأصبح وزيراً لفترة ما، ثم والياً على مصر والشام . وفى شوال ٢٤٧ هـ = ٨٦١ م

قُتِل هو والخليفة فى سامراء . وكان عالماً وأديباً، وخطيباً، وشاعراً .. وله كتب بأسماء ؛ البستان، واختلاف الملوك، والصيد، والجوارح، والروضة، والزهد ..

أما محمد بن موسى الخوارزمي، وكذلك البيرونى (المتوفى ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م) وأبو نصر الفارابي الملقب بالمعلم الثانى، والذى قضى شطراً عظيماً من حياته فى العراق، والشام، ومصر، وعاش فى كنف سيف الدولة فى حلب، وتوفى فى دمشق سنة ٣٣٩ هـ = ٩٥٠ م . وكذلك إسحاق بن إبراهيم الفارابي الذى عاش فى نفس العصر، وقدَّم فى البلدان العربية أبحاثاً تتعلق باللغة العربية، وله كتاب مشهور باسم " ديوان الأدب " . وإسماعيل بن حماد الجوهري " المتوفى ٣٩٣ هـ = ١٠٠٣ م وهو ابن أخت الكاتب السابق، فقد قام هو الآخر بدراسات لغوية فى الشام بين مضر وربيعه، وكتب قاموسه الشهير بـ " صحاح الجوهرى " . فهؤلاء جميعاً من العلماء الأتراك الذين أسهموا فى تطور الحضارة الإسلامية فى عصورها الأولى .

الولاة الترك :

كان للأتراك دورهم فى خلافة المعتصم، وكان لهم دورهم الكبير فى اختيار الواثق الذى تولى العرش فى سامراء، وكذا الخليفة التوكل، والمنتصر، والمستعين، والمعتز، والمهتدى، والمعتمد، حتى أصبحوا يعينون الخليفة الذى أرادوه .

وفى سنة ٢١٩ هـ = ٨٣٤ م عيُّن المعتصم أشناس التركى والياً على أراضى غرب العراق، وحكم أشناس، الشام ومصر بواسطة نوابه، وسُلِّمت الولاية بعد موته سنة ٢٣٠ هـ = ٨٤٥ م إلى ايناق، وتولى اينان ولاية اليمن فى عصر المعتصم، ثم ولى الكوفة، والحجاز فكان يحكمهما وهو فى بغداد، ثم وَلِيَ الفتح ابن خاقان على الشام، ومصر من قِبل المعتصم، وعقب موت الفتح بن خاقان تولى مكانه أخوه خراحم ين خاقان ...

تمكن أحمد بن طولون من إعلان الاستقلال بمصر بعد أن وليها فى ٢٥٤ هـ = أكتوبر سنة ٨٦٨ م . ثم وصل إلى الشام، واستولى عليه وعلى العواصم حتى سنة ٢٨٩

هـ = ٩٠٢ م . وفى هذه الفترة ازدهر العلم، والأدب فى مصر . أنشئ البيمارستان، واهتم الطولونيون ببناء القصور، والحدائق . وما أن تولى أخشيد محمد بن طغج ولاية مصر حتى تحولت إلى الإخشيدين فى مصر . واستمرت دولتهم حتى استولى الفاطميون عليها سنة ٣٥٨ هـ = ٩٦٩ م .

وفى الولايات الشرقية لم يكن الوضع مختلفاً كثيراً عنه فى الولايات العربية، فقد عيَّن المعتصم الأفشين على ولايات أذربيجان، والجبل، وأرمينيا ومنحه التاج، والخلعة، والكثير من الهدايا بسبب قضائه على تمرد بابك . وعيَّن الواثق ايناق على ولاية مناطق السند وخراسان، ودجلة السفلى . وعيَّن فى سنة ٢٣٧ هـ = ٨٥١ م بُغا الكبير على أرمينية . وعيَّن المستعين فى سنة ٢٤٨ هـ = ٨٦٢ م بُغا الصغير والياً على حلوان، وما سبزان، ومهد جانقازاق . وفى سنة ٢٦١ هـ = ٨٧٥ م عيَّن تيكين البخارى والياً على الأهواز . وغيرهم الكثيرين ...

وكان للأتراك دور مشهور فى العراق فى عصر البويهيين، حيث تقلد الكثير منهم منصب أمير الأمراء، وشرطة الضبط والربط، ومنصب الحجابة، والكثير من المناصب العسكرية الأخرى .

إن بلغار الفولجا أسلموا فى حدود سنة ٣٠٠ هـ = ٩١٣ م بينما أسلم القراخانيون فى عصر عبد الكريم صاتوق بغراخان المتوفى ٣٣٤ هـ = ٩٥٥ م فى آسيا الصغرى . وكان أتراك الخزر كلهم قد أسلموا فى سنة ٣٥٨ هـ = ٩٦٩ م، وأسلم الغزنويون فيما قبل ذلك، وانتشر الإسلام بين الأتراك، والغز بعد أن توجه أحمد بن فضلان إلى بلغار الفولجا، وبدأ فى نشر الإسلام بينهم نحو سنة ٣٠٩ هـ = ٩٣١ م . وما أن تولى السلاجقة مقاليد الأمور حتى توجهوا نحو جنوب سيحون، وجيحون وخراسان، وخاضوا حروباً متعددة فى هذه المنطقة . وما أن حلَّت سنة ٤٣١ هـ = ١٠٤٠ م حتى أسسوا دولة السلاجقة وعاصمتها نيسابور . ثم أعلنوا طغرل بك سلطاناً، وأعلنوا الولاية للخليفة العباسى القائم بأمر الله .. واعترف بهم الخليفة .

ومع عدم نسيان السلاجقة للغاتهم، فقد استعملوا العربية، والفارسية فى معاملاتهم الرسمية . واعتنقوا الإسلام وبدأوا يعملون تحت رايته . وليس عصر السلاجقة - كما يدعى البعض - عصر تراجع للعلم، والثقافة فى العالم الإسلامي . فقد استمر ظهور العلماء، والمفكرين الكبار . والسلاجقة هم الذين أحضروا إلى البلاد العربية نظام المدرسة التى هى مؤسسة تعليمية سنية . وفى ظلهم أسست المدارس التى تُلقن المذهبين الشافعي، والحنفى، ثم الحنبلي والمالكى فيما بعد .. وأقيمت المدارس إلى جانب المساجد، والتكايا التى توجد فيها المتصوفة .. وبهذا تحولت المدارس إلى مؤسسات تعليمية ودينية فى نفس الوقت . ولا ينكر دور المدارس النظامية التى أنشئت فى نيسابور، وبغداد، والموصل، وأنشئت على غرارها المدارس الحنفية فى بغداد وفى دمشق، وقام نور الدين محمد بن زنكى (المتوفى ٥٦٩ هـ = ١١٧٤ م) بإنشاء المدارس فى مصر عندما فتحها على يد نائبه هنالك صلاح الدين الأيوبى (المتوفى ٥٨٩ هـ = ١١٩٣ م) وأعقب ذلك دخول نظام هذه المدارس إلى اليمن، والحجاز على يد الأيوبيين . والذين أنشئت فى عصرهم المدارس التى تدرس المذاهب الأربعة .

وعدا المدارس ؛ ففى عصرى صلاح الدين، ونور الدين فقد أنشئت الكروانسريات = الاستراحات، والفنادق، والمستشفيات والقيساريات والحصون والقلاع على طول الطرق، والمدن الكبيرة . وشهدت مصر، والشام نهضة علمية قوية شاملة . واستمرت هذه الحركة طوال عصر الأيوبيين والمماليك، وما المنشآت، والآثار المعمارية الباقية من هذه العصور إلا خير دليل على إزدهارها .

الثقافة العربية وتأثيرها على الأتراك :

لقد عاش العرب والترك متلاحمين منذ ظهور السلاجقة وحتى الفتح العثمانى للبلاد العربية فيما بعد ٩٢٢ - ٩٢٣ هـ = ١٥١٦ - ١٥١٧ م . خلال تلك الفترة تأثر كل من الشعبين بعادات الآخر بدرجة كبيرة . وانتقل الكثير من العادات العربية إلى جانب العلوم الدينية، والعلوم الأخرى إلى الترك، كما انتقل الكثير من العادات التركية

وأساليب الإدارة والحرب والفنون إلى العرب .. إلا أن أهم تأثير أجراه العرب على الترك كان فى مجالي اللغة والدين ؛ فقد قبل الترك مع الدين الإسلامى الذى أتى به العرب إليهم، اللغة العربية التى هى لغة البيروقراطية، والأدب، والعلم فى ذلك الزمان .. فكان على العالم التركى أن يؤلف كتبه أولاً باللغة العربية، وإذا أراد لها الذيوع والانتشار ترجمها إلى اللغة التركية .

وخلال العصر العثمانى برز فى مجالات العلم والأدب، والعلوم الدينية الكثير من الأسماء التى لا يمكن إغفالها فى ميدان العلم، والحضارة، والتفسير وقد تميزت العلاقات العلمية والثقافية بين العرب والترك فى العصر العثمانى بشيء من التأثير المتبادل، والحركة العلمية النشطة المتمثلة فى سفر العلماء، والطلاب الترك إلى القاهرة، إذ كان العثمانيون ينظرون إليها فى أوائل عهد الدولة العثمانية على أنها مركز علمى رائد . كما نظر العلماء والطلاب العرب إلى الأستانة - فيما بعد - نفس النظرة . وخاصة بعد أن ظهرت فيها المدارس العلمية العالية المعروفة بمدارس الصحن الثمان .

ونذكر من العلماء الذين نزحوا من الأناضول إلى مصر من أجل العلم القاضى علاء الدين القونوى الذى أصبح قاضياً للقضاة . فقد قدم إلى مصر ودَرّس بها فى عدة مدارس كبار إلى أن ولي مشيخة الشيوخ فيها ثم توفي فى دمشق عام ٧٣٧ هـ .

كذلك كان هناك العالم داود القيصرى القرمانى الذى رحل إلى مصر وقرأ على علمائها التفسير والحديث والأصول، وبرع فى العلوم العقلية وشرح فصول ابن عربى.

ومن العلماء الترك الأجلاء الذين كان لهم أثر بارز فى الحياة الدينية. والعلمية فى مصر فى العصر المملوكي لفترة طويلة الشيخ أكمل الدين الرومي البابري الحنفي . فقد رحل إلى مصر فى أواخر عهد المماليك، وترجم له أغلب كتاب التراجم، ذكروا علمه وفضله فى كثير من المواضيع .

أما عن تلاميذ أكمل الدين وملازميه فقد كانوا كثرة من العرب والترك وغيرهم من الوافدين من شتى أنحاء العالم الإسلامي، نذكر منهم القاضى صدر الدين

ابن القاضى جمال الدين ابن القاضى علاء الدين التركمانى، الذى كان ممن لازموا الشيخ أكمل الدين ثم تفقه، واشتغل، ومهر فى العلم وناب فى الحكم، ولازم الشيخ إلى أن مات فى ذى القعدة سنة ٧٧٦هـ. ثم نذكر موفق الدين الرومى الذى ولى قضاء غزة، ثم قضاء حلب ثم قضاء العسكر بالقاهرة، ثم قضاء القدس، ثم مات فى القاهرة فى رجب سنة ٨١٠ هـ.

ثم نذكر الفنارى الرومى الذى رحل إلى الديار المصرية عام ٧٧٨ هـ فأخذ عن الشيخ أكمل الدين وغيره، ثم رحل إلى بلاد الروم " تركيا الحالية " فولى قضاء بورصة، ثم تحول إلى قونية فأقام بها، ثم فوض إليه قضاء الدولة العثمانية ثم حج فى عام ٨٢٢ هـ وبعد عودته طلبه " المؤيد شيخ " السلطان المملوكى آنذاك، ودخل القاهرة، واجتمع بفضلائها، وذاكروه، وبحثوه، وشهدوا له بالفضيلة. ثم رجع إلى القدس، فزاره، ثم رجع إلى بلاده فتولى مشيخة الإسلام وأفتى، ويرجح أنه توفى فى بورصة عام ٨٣٤ هـ. وكان عارفاً بالعربية. والقراءات والمعاني، وله تصنيف فى أصول الفقه جمع فيه المنار والبزدى.

ثم نذكر ممن رحلوا إلى مصر وقرأ بها مع الشريف الجرجانى، ذلك هو ابن قاضى سماونه الذى أخذ العلم عن أبيه ؛ وبعض العلماء من بلاده. وبعد أن رحل إلى مصر قرأ على المولى مباركشاه، وقرأ بمكة على الشيخ الزيلعى، ثم قدم إلى القاهرة، وحصَّل جميع العلوم.

ثم نذكر المولى الحاج باشا " خضر بن على بن خطاب " وكان معاصراً للسلطان بايزيد، وقد قدم إلى مصر، وقرأ بها مع ابن قاضى سماونه، ثم اشتغل بالطب، ومهر به، وفوض إليه مارستان مصر، فدبره أحسن تدبير، وصنَّف كتاب الشفاء فى الطب باسم الأمير محمد بن أيدين، ثم صنَّف فيه مختصراً بالتركية سماه التسهيل.

ومن العلماء العرب الذين كان لهم أثر بارز فى إثراء الحياة العلمية والثقافية فى بلاد الترك، وبلاد العجم الشيخ شمس الدين محمد بن الجزَري. الذى التحق

بالسلطان يلديرم بايزيد العثماني، فأكرمه، وعظَّمه، وأخذ أهل البلاد عنه علم القراءات حتى طبقت شهرته الآفاق . وقد لُقِّب بالإمام الأعظم، وله مؤلفات عديدة فى القراءات . وكان ابنه الشيخ أبو الخير قد قدم بلاد الروم فى عهد السلطان محمد الفاتح، وكان عالماً فاضلاً بارعاً فى صنعة الإنشاء، فنصبه السلطان موقعاً بالديوان العالى . وأكرمه غاية الإكرام لوقوفه علىُ فضله، وحسن أخلاقه، وشمائله .

ومن العلماء الأتراك الذين وفدوا إلى مصر ؛ محى الدين أبو عبد الله الرومي الكافيجى . فقد دخلها، وأخذ عنه الفضلاء، والأعيان وولى مشيخة الشيخانية . وكان إماماً كبيراً من المعقولات كلها، وأصول النحو والتصريف، والإعراب، والمعانى، والبيان، والجدل، والمنطق، والفلسفة والهيئة . كما كان له باع فى الفقه والتفسير والنظر فى علوم الحديث .

وتتحدث كتب التراجم عن المولى الكورانى أحد علماء الدولة العثمانية فى عهد السلطان محمد الفاتح . وقد قرأ أولاً فى بلاده . ثم ارتحل إلى القاهرة . وتفقه بها، وقرأ القراءات العشر بطريق الإتقان والإحكام، وقرأ التفسير والحديث وإجازة علماء عصره فى العلوم المذكورة . وقد درس الكورانى فى القاهرة درساً حضره الفحول، وشهدوا له بالفضل التام ... ووصل إلى درجة الوزارة فى عصر الفاتح، ولكنه فضل القضاء على الوزارة . ثم قُلِّد منصب الفتوى . وهو الذى سطر خطابات البشارة بفتح القسطنطينية بالعربية إلى كل من سلطان مصر المملوكى، وأمير مكة آنذاك . وللكورانى مؤلفات كثيرة ؛ أشهرها تفسيره المسمى " غاية الأمانى فى تفسير السبع المثانى " وشرح البخارى المسمى " الكوثر الجارى على رياض البخارى . وقد توفى وهو فى منصب القضاء فى استانبول سنة ٨٩٣ هـ . وكان أول قاض لها بعد فتحها .

ولما تحولت استانبول إلى عاصمة الإسلام الكبرى التى تهفو إليها الأفئدة كان لذلك أثره فى الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، وبالتالى على الحياة الثقافية فى مصر وغيرها من البلدان العربية .

وليس هذا يعنى توقف الحركة العلمية فى مصر ؛ فقد ظل الأزهر الشريف قائماً بالدور الأوفى فى المجال الدينى، والثقافى .. وكان أكبر جامعة إسلامية حتى فى العصر العثمانى، حتى وإن انشأ العثمانيون بعض المدارس فى مصر، عدا المدارس القائمة بها منذ العهد المملوكى مثل المدرسة السنانية، والمدرسة القطبية، والمدرسة الجنبلاطية .

وقد برز فى العصر العثمانى العديد من العلماء، والمفسرين، والفضلاء، وقد ترجمت لهم كتب التراجم، وسوف نكتفى هنا بذكر بعض النماذج فقط . فمثلاً هناك :

ابن كمال باشا الذى دخل القاهرة بصحبة السلطان سليم الأول، وكان قاضياً للعسكر، وأجازه علماء الحديث، وأجتمع بعلماء القاهرة، وشهدوا له بالفضل والإتقان وسائر العلوم . وقد صنَّف الكثير من الكتب بالعربية والفارسية والتركية .

والقاضى سيدى چلبى الذى جاء إلى مصر عام ٩٢٨ هـ ليتولى شئون القضاء . وكان من أعظم قضاة الدولة العثمانية . على علم ووقوف كامل على اللغة العربية وعلومها، وبالتفسير والحديث، والأصول، والفروع، والعلوم العقلية .

والقاضى، الولى حامد أفندى المتوفى عام ٩٨٥ هـ وهو من قونية، تولى القضاء فى دمشق، ومصر ثم استانبول، وبورصة، ثم قضاء عسكر الرميلى، ولما توفى شيخ الإسلام الأشهر أبو السعود أفندى (٨٩٦ - ٩٨٢هـ = ١٤٩١ - ١٥٧٤ م) حلَّ فى الفتوى، وظل قائماً عليها حتى وفاته .

وهناك عبد السلام أفندى الأرزنجانى المتوفى عام ١١٩٢ هـ . وهو من علماء الترك الكبار ؛ فقد كان إماماً فاضلاً، مصنفاً، له معرفة بالأصول . قرأ العلوم فى بلاده، ثم وفد إلى مصر ومكث بها مدة . ولما أنشئت المدرسة المحمودية بالحبانية تولى التدريس بها، وكان يقرأ فيها الدرر لمنلاخسرو، وتفسير البيضاوى، وتقلد التدريس بإعدادية المحمودية عدد كبير من علماء الترك الأفاضل كان آخرهم الشيخ محمد إحسان اليوزغاوى النشأة، الأزهرى التحصيل والمتوفى بالقاهرة (١١٠٩ - ١١٩٦ م) .

ونذكر كذلك الشيخ خالد أفندى ابن يوسف الدياربكرلى، وكان واعظاً اشتغل بالوعظ بمكة المكرمة، ثم جاء إلى مصر، ولازم المشايخ بها، وقام بالوعظ للأتراك بمصر .

ومن العلماء المصريين الذين ذهبوا إلى استانبول، وأقاموا بها ؛ الشريف العباسى عبد الرحيم، وذكره صاحب الشقائق فى الطبقة التاسعة ضمن علماء دولة السلطان سليم الأول . وقد ولد فى مصر، وقرأ على علمائها، وحصَّل العلوم الأدبية، والبلاغية، والحديث والتفسير، ثم توجه إلى استانبول زمن السلطان بايزيد، وله شرح للبخارى قدَّمه للسلطان، فأعطاه جائزة سخية . وهناك أيضاً المولى عرب چلبى المتوفى ٩٥١هـ والشيخ عرب إمام من حلب المتوفى عام ٩٥٦ هـ وهو صاحب "ملتقى الأبحر".

وإذا كان للمماليك الأتراك، والعثمانيين باع طويل فى الفنون، فقد برزوا كذلك فى العمارة، والموسيقى، والخط العربي، والقراءات . ومازالت آثار الترك المعمارية، والموسيقية، واضحة إلى يومنا الحاضر . كما أنهم برزوا فى فن الخزف والسجاد الوبرى (*).

ونخلص إلى أن الحقيقة التى لا مراء فيها ؛ أن للترك دور فى خدمة الإسلام والحضارة الإسلامية، ولم ينحصر هذا الدور فى الميادين السياسية والعسكرية، وحماية الإسلام ضد معظم الحروب الصليبية، والإدارية بل امتد هذا الدور إلى شتى ميادين الحضارة الإسلامية، وكان لهم دورهم فى الترجمة من اليونانية، واللاتينية، والفارسية والرومية إلى اللغة العربية فى مجالات العلم، والفلسفة، والجغرافية البرية والبحرية، ومَنْ منَّا يستطيع أن ينكر دور الفارابى (المتوفى سنة ٩٥٠ م) الملقب بالمعلم الثانى، وكتابه إحصاء العلوم، وعبد الله البارانى (المتوفى ٩٢٩ م) أحد واضعى علم المثلثات، وعبد الحميد بن واسع بن ترك أحد أعمدة علم الرياضيات ومؤلف كتاب " كتاب

(*) للمزيد فى هذا الصدد أنظر ؛ العلاقات العربية التركية من منظور تركى ز جـ ٢ سنة ١٩٩٣ ، والعلاقات العربية التركية من منظور عربى ، جـ ١ سنة ١٩٩١م .

الجبر والمقابلة " وأبى ريحان البيرونى الخوارزمى (المتوفى ١٠٥١ م) ... وسلطان المفسرين أبى السعود أفندى، وابن كثير، والكوثرى ...

ومَنْ منا ينسى، بخارى، وسمرقند، وطشقند، وغزنه، ودلهى، وباقو، وقونية، وبورصة، وأدرنة، واستانبول، ودورها فى خدمة الإسلام .

إن اللغة التركية بشتى فورعها، أو لنقل بشتى لهجاتها، أصبحت تهمنا بعد استقلال العالم التركى عن النفوذ الروسي . فقد لعبت اللغة التركية - وحتى الآن أدواراً مهمة، ويجب أن تلعب أدواراً أكثر أهمية فى العصر الحديث، وعودة الوعى والروح إلى الروابط الثقافية العربية - التركية إلى ما كانت عليه فى الماضى .

إن إتقان اللغة العثمانية ؛ يمكن أن يسهل الوقوف على المصادر الآذرية والجغطائية، والأوزبكية، والتركمانية، والقيرغيزية، إلى جانب المصادر الأرشيفية .

ولقد استخدمت اللغة التركية - كما سبقت الإشارة فى الفصل الثالث - الكثير من الخطوط ولكن الأبجدية التركية الحديثة أصبحت هى محط أنظار معظم الدول التركية، ولهذا فإن معرفة هذا الخط تعنى التفاهم، والتفاعل الثقافى، والاقتصادى، وخلق تيار فكرى مشترك .

لزيادة الاستفادة حاول التفكير فى القضايا التالية :

- تُشكل منطقة أواسط آسيا الساحة الجغرافية التى ظهرت فيها الأجناس التركية ... ومنها انتشرت فى مناطق أخرى من العالم ... هل يمكنك أن تكتب مقالاً مختصراً فى هذا الموضوع ... .
- حاول المستشرقون تمزيق العالم التركى ؛ فادعوا أن ما يسود بينهم لغات تركية تختلف عن بعضها البعض، بينما نحن نرى أنها لغة تركية واحدة، ذات لهجات مختلفة ... هل يمكنك مناقشة هذا الموضوع، ذاكراً الأسانيد التى تُرجح بها أحد الرأيين ...
- أسرة اللغة الإلحاقية - " الإلتصاقية " تنتشر فى ساحة واسعة جغرافياً ... تحدث عن هذه اللغات، وأماكن استخدمها فى الوقت الحاضر ... .
- مع دخول الإسلام إلى مناطق أواسط آسيا، وتخطيه بلاد ما وراء النهر، اندمجت اللغة العربية باللغة المحلية، وصارت بعد فترة زمنية صاحبة المكانة الأولى بين شعوب هذه المنطقة ... هل يمكنك إبراز النتائج التى ترتبت على ذلك ؟
- استخدمت اللهجات التركية ذات التراث، وخاصة اللهجات العثمانية، واللهجات التركية المعاصرة، أي تركية تركيا العديد من الخطوط ؛ عدِّد فى مقال مختصر هذه الخطوط .... .
- تجسدت الصلات الحضارية بين العرب والترك فى العديد من المجالات الحضارية ... ناقش هذه القضية فى بحث علمى مختصر، محدداً مجالات هذه الصلات الحضارية ... .

المصادر، والمراجع والهوامش المتعلقة بالباب الرابع :

1. Prof . Dr . A . Caferoğlu , Türk Dili Tarihi C.I. İst . 1970 , S . 20 .

٢. د محمود فهمى حجازى، المدخل إلى علم اللغة، ص ١٦٢ – ١٨٤ .

3. Prof . Dr . A . Talat Tekin , Tarih boyunca Türkçenin Yazısı , Ulusal Kültür , Ekim 1978 , S . 19 .

4. Ali Kemal Meram Göktürk İmparatarluğu , İst . 1970 . S . 17 .

5. Muharram Ergin , Orhun abideleri , Ist . 1970 .

6. W. Bang ve G.R Rahmeti , Oğuzkağan Destanı , İst . 1936 .

7. Prof . Dr . A . Caferoğlu , Kaşğarlı , Mehmut , Birincı Basılış , İst , 1970 , S . 25 .

8. Frof . Dr El – Safsafy Ahmed , Safsafy Sözlüğü , Birinci Basılış , Kahire , 1976 . Önzlüğü ,

9. Cavit Tarhan Tütengil , " Türk Harflerinin 50 Yılda Bir Durum değerlendirmesi , Ulusal Kültür Ekim , 1978 .

١٠. أ.د/ الصفصافى أحمد المرسى، قواعد اللغتين العثمانية والتركية، القاهرة ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م . " المقدمة " .

١١. أ.د/ الصفصافى أحمد المرسى، استانبول، عبق التاريخ وروعة الحضارة، دار الآفـاق العربية، القاهرة، ١٩٩٩م = ١٤١٩هـ .

١٢. العلاقات العربية التركية، من منظور عربى، الجزء الأول سنة ١٩٩١م .

١٣. العلاقات العربية التركية، من منظور تركى، الجزء الثانى، سنة ١٩٩٣م . " وهمـا من نشريات معـهد البحـوث والدراسـات العربيـة بالقـاهرة، ومركـز الأبحـاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول " .

" تم ترتيب المصادر، والمراجع حسب ورودها فى فصول الباب الرابع "

الباب الخامس
اللغات السامية ، ومكانة العبرية بينها

- الفصل الأول :

  المجموعة السامية ..

- الفصل الثانى :

  اللغة العبرية؛ نشأتها ، وتطورها ..

- الفصل الثالث :

  اللغة الآرامية ، ولهجاتها ..

الفصل الأول

المجموعة السامية (*)

عمد المستشرقون – كما سبقت الإشارة – إلى تقسيم اللغات إلى عدة مجاميع، تحتوى كل منها طائفه من اللغات . تتميز بما فيها من تقارب فى اللفظ، و التركيب، والقواعد، والتفكير . وجعلوا تقسيمهم هذا مرتكزاً على الأجناس البشرية .

وقد ورد في الإصحاح العاشر من سفر التكوين في التوراة، أول تقسيم للأجناس البشرية، إذ أرجعت التوراة النوع الإنساني على تعدد قبائله، وشعوبه وأممه إلى أبناء نوح الثلاثة : وهم سام، وحام، ويافث .

وهناك تقسيمات طبيعية أخرى عمد إليها المستشرقون، والباحثون، وهي ترجع في تكوينها إلى طبيعة الإنسان من حيث الألوان، والملامح الفطرية، والأماكن، والبيئات .

وسواء أكان تقسيم الأجناس البشرية مبنياً على رواية الكتاب المقدس، أم على الإعتبارات الطبيعية، فإن هناك جنساً بشرياً ممتازاً على مبدأ أي تقسيم، متحداً في النشئة، والمكان، واللون . تجمع شعوبه خواص مشتركة، وتقوم بينها روابط طبيعية، وإجتماعية وثيقة، ويعرف هذا الجنس الممتاز بالجنس السامي .

(*) تم إعداد هذا الباب بمساعدة الزميل أ.د/ محمد على حسن الحوارى .الأستاذ بقسم اللغة العبرية . كلية الآداب – جامعة عين شمس .

أما الجنس الحامي فقد استمد أسمه ووحدته، في التقسيمين الديني، والطبيعي مثل الجنس السامي، حتى لقد ذهب بعضهم إلى إعتبار الجنس السامي، والحامي جنساً واحداً يُعرف بالجنس السامي، والحامي، لما هنالك من تقارب بين إسم الجنسين في اللغات وفي تطور الجماعات، وقد ثبت الآن أن معظم الجماعات الحبشية الناطقة بلهجة سامية منحدرة من أصول غير سامية، وأن اللغة السامية قد تسربت إليها مع من نزح إلى بلادها من الساميين. إثر صراع انتصرت فيه هذه اللغة على لغاتها القديمة .

وأما الجنس اليافثي فقد وضع له المنظر الطبيعي إسماً آخر، وهو الجنس الآري أو الهند وجرماني، وأحصوا له أمماً في أسيا، وفي أوربا لم يرد ذكرها في الكتاب المقدس .

ولم يقتصر التقسيم الطبيعي على الأجناس البشرية الثلاثة : السامي والحامي واليافثي أو الآري، بل أضاف إليها أجناس كثيرة أخرى وأضاف إلى مجموعات لغات الاجناس الثلاثة مجموعات تلك الأجناس .

" واللغات السامية " تُطلق على جملة من اللغات التي كانت شائعة منذ أزمان بعيلة في أسيا، وأفريقيا. وتعد اللغات السامية من أقدم اللغات الإنسانية التي وصلت إلينا مدونة، فاللغة الأكادية في أرض النهرين قد دونت منذ ٢٥٠٠ ق.م وهي بهذا من أقدم اللغات المدونة. كما يعرف العالم الحديث عدة لغات سامية حيَّة، أهمها العربية والأمهرية، ومنها العبرية الحديثة، واللهجات الآرامية الحديثة، والمهرية والتجوية والتجوينية وتحمل هذه اللغات كنوزاً غنية من الثقافة والأدب، وإن كان بعضها الآخر عفت آثاره بذهاب الأيام ومرورها .

التسمية :

أول من أطلق على لغات الجنس السامي إسم اللغات السامية هو المستشرق الألماني شلوتزر "Schlozer" في أبحاثه، وتحقيقاته في تاريخ الأمم الغابرة ١٧٨١ م لأن معظم الشعوب، والأمم التي تكلمت، أو تتكلم هذه اللغات من أولاد سام بن نوح.

ويري الباحث الألماني نولدكه "Noeldeke" في كتابه "اللغات السامية" semsprachen أن ترنيب الأمم في سفر التكوين بُنِيَ على إعتبارات ثقافية وجغرافية لا على ظواهر لغوية، أو تاريخية، ويعترض نولدكه على هذه التسمية بجملة إعتراضات منها :

١. أن هناك أقواماً ساميين " على ما ذكرته التوراة " لايتكلمون بلغة سامية كالعيلاميين، والليديين . فهم ساميون بنص التوراة، ولغاتهم ليست من اللغات السامية، لأنه ليس هناك من قرابة بينها وبين اللغات السامية .

٢. أن هناك لغات سامية، والناطقون بها غير ساميين، ولايجمعهم بالأمم السامية أصل قريب مثل الأحباش، فلغتهم سامية، وهم من الجنس الحامي .

وقد حاول علماء اللغات إيجاد تسمية للغات الجنس الحامي تكون نصاً في مسماها فلم يوفقوا إلى ذلك. وظلت تسمية شلوتزر لهذه اللغات حتى الآن. ونرى أنفسنا مضطرين لقبول هذه التسمية : "ساميين" و "لغات سامية" لأن الجميع ارتضاها، وسلم بها .

تحتوي هذه المجموعة على لغات الأمم السامية، وما تفرغ عنها، وعلى بعض لغات أخرى، اتضح أنها تنتمي إلى الأزمنة التي تنتمي إليها هذه اللغات. وتنقسم هذه المجموعة إلى ثلاثة أقسام رئيسية : (الآكادي أو البابلي – الآشوري) والغربي : (الكنعاني – الآرامي والجنوبي : العربي – الحبشي) .

فلغات القسم الشرقي هي الأكادية، أو البابلية، الآشورية في أرض الرافدين قديماً وتبدأ النصوص الآكادية في الألف الثالث ق .م . فهي أقدم ما وصل إلينا من نصوص سامية. واللغة الاكادية إسم جامع أطلقه البابليون (في جنوب أرض الرافدين) على لغتهم البابلية، وعلى لغة إخوتهم الآشوريين في شمال أرض الرافدين) وتُطلق في إصطلاح العلماء المحدثين على مختلف اللهجات البابلية والآشورية .

و"أكد" مدينة قديمة في أرض شنعار، وفي مملكة بابل، جعلها سرجون الأول عاصمة إمبراطوريته حوإلى عام ٢٤٠٠ ق.م . وربما كان موقع هذه المدينة قرب " ابي هبه " على نهر الفرات شمالي بابل. قد إمتد إسم " أكد " من المدينة إلى المقاطعة كلها حيث يسير نهر دجلة والفرات بالقرب من بعضهما في العراق الأوسط. وقد إستعار الأكديون الرموز المسمارية من السوماريين ليتمكنوا من تدوين لغاتهم، وكان هذا الخط المسماري المعروف عند الفرنجة بإسم الرسم دي الزوايا، وعند العبريين بإسم " رسم الأوتاد" .

وتضم الكتابات الآكادية التي تم العثور عليها عقوداً تجارية، وقوانين، وسجلات تاريخية، وأقاصيص دينية .

أما اللغات السامية الغربية فهي نوعان : شمالي ؛ يشمل الشام، وجنوبي يشمل شمال الجزيرة العربية، وجنوبها، والحبشة .

وينقسم الفرع الشمالي من اللغات السامية الغربية إلى شعبتين كبيرتين : الكنعانية والآرامية :

أ. الشعبة الكنعانية : وتشمل مجموعة اللغات التي كان ينطق بها في المنطقة التي تدعوها التوراة باسم " كنعان " وتشمل فلسطين وجزءا من سوريا، وهي :

١. الفينيقية، لغة نقوش المدن الفينيقية القديمة (بين القرنين العاشر والاول قبل الميلاد).

٢. العبرية، لغة العبرين .

٣. المؤابية، لغة المؤابين فى شرق الأردن، ولم يبق من اثارها سوى نقش الملك ميشع الذى يرجع إلى منتصف القرن التاسع ق.م.

٤. الأوغاريثيه، لغة مدينة أوغاريث القديمه شمال اللازقية، فى رأس شمرا. وقد كانت أوغاريث عامرة بالسكان فى القرن التاسع عشر ق.م. ثم بلغت أوج إزدهارها فى القرن الرابع عشر. دمرها فى القرن الثالث عشر " أقوام

البحر" القادمون من جزر بحرايجة.

ب. **الشعبه الآرامية:** وهى قسمان : آرامية غربية، وآرامية شرقية. لقد كان المهد الأصلى للآرامية شبه جزيرة العرب، ثم نزحت إلى الشام وإنقسمت قسمين كبيرين، فذهب قسم إلى الغرب في بلاد الشام. وهنا نشأت الآرامية الغربية، ويتفرع عنها لغة اليهود المتأخرين، و" لهجة تدمرة"، ولغة النبط، ولغة السامريين. ثم ذهب القسم الآخر إلى الشرق في بلاد العراق وهي الآرامية الشرقية. ويتفرع عنها لغة اليهود في بابل، واللغة السريانية .

ومن نصوص الآرامية الغربية : سفر " دانيال " وسفر " عزرا " و"الترجوم" و"التلمود" الاورشليمي، وهو الفلسطيني .

ومن نصوص الآرامية الشرقية : " التلمود البابلي" و"اللهجة المتدعية" لبعض الوثنيين، واللغة السريانية الخاصة بالمسيحيين من يعقوبيين ونسطوريين .

وكانت اللغة الآرامية القديمة منتشرة قبل ميلاد المسيح. وكانت تُعد في ذلك الوقت لغة الثقافة والكتابة حتى بين الأشراف من العرب، فكانت تحل محل اللغة العربية واللغة الإغريقية في كثير من الأقاليم وكثيراً ما نقش البدو من العرب في شبه جزيرة سيناء أسمائهم باللغة الآرامية على الصخور، وأضافوا إليها بعض العبارات والأدعية باللغة الآرامية .

أما الفرع الجنوبي من اللغات السامية الغربية فيشمل :

1. العربية الشمالية، عربية القرآن الكريم، والشعر الجاهلي، وموطنها شمال الجزيرة وتشمل اللخيانية، والثمودية، والصفوية .
2. العربية الجنوبية القديمة في جنوب الجزيرة وتشمل السبئية، والمعينية، والحضرميه وآثارها تتراوح فى القدم بين القرن الثامن ق.م و القرن السادس الميلادى.
3. المهرية، والشحرية، والسوقطرية، هى لهجات تتردد اليوم فى بعض أنحاء جنوب الجزيرة العربية .

٤. اللهجات السامية فى الحبشة: الأثيوبية، والجعزية، التيجرية، والأمهرية .

هذه الأسرة اللغوية هى جزء من مجموعة أوسع من اللغات أصطلح على تسميتها " السامية الحامية ". و اللغات الحامية التى تشترك فى هذه المجموعة الواسعة هى :المصرية (و سليلتها القبطية)، الليبية البربرية فى شمال إفريقية، و الكوشية الصومالية و لغة الجلا وتمتد المنطقة الكوشية شمالاً حتى أرض مصر بين النيل، والبحر الاحمر، و تنتشرقبائل الجلا فى المنطقة الممتدة من وسط كينيا إلى الجزء الأوسط من الهضبة الحبشية .

اللغة السامية الأولى :

كما إختلف المستشرقون في تعيين المهد الأول للأمم السامية، إختلفوا كذلك في تعيين اللغة الأولى التي كان يتكلم بها أبناء سام في موطنهم الأول.

لما تبين المستشرقون تلك الصلة الوثيقة الظاهرة بين جميع اللغات السامية أجمعوا على أنها كلها مشتقة من أرومة واحدة. ثم استنتجوا من بعض الظواهر أن تلك الآرومة، أو تلك اللغة الأصلية، كانت منتشرة في منطقة واسعة الأطراف، ونشأت عنها لهجات مختلفة. ظلت هذه اللهجات قريبة الشبه باللغة الأصلية حتى انتشرت قبائل الأسرة السامية في بقاع شتى وهاجر بعضها من مهدها الأصلي، ثم ظهر تأثير البيئة في ألسنة المهاجرين، وراحت المخالفة تتسع رويدًا رويدًا، حتى غدت تلك اللهجات جلية المخالفة للأصل، كأن كل لهجة منها لغة مستقلة عن غيرها. وليس من السهل أن تعرف اللغة السامية الأولى معرفة حقيقية بل من العبث إطالة البحث في أمر يكتنفه الغموض، نشأوتما في عصور متوغلة القدم .

وقد دل الإستقراء على أن التقارب بين اللغات السامية أوفى، وأظهر من تقارب لهجة لغة من اللغات الآرية مع لهجة أو لهجات من تلك اللغة، مثل اللغة الفرنسية والإيطالية، والأسبانية بالنسبة إلى اللغة اللاتينية، وبالنسبة إلى كل واحدة منهن مع الأخرى. وما من شك في أن جميع اللغات السامية هي لهجات نشأت من لغة

واحدة أولى هي أم هذه اللهجات .

كان أحبار اليهود في العصور القديمة يعتقدون أن اللغة العبرية هي أقدم لغة في العالم. وانتشر هذا الرأي عند كثير من الباحثين حتى أن بعض العرب في القرون الوسطى قد ذهب إليه .

وذهب بعض الباحثين إلى أن الآشورية البابلية هي اللغة السامية الأولى وهذا الرأي قائم على أساس فاسد، إذ لم تصلنا من الآشورية سوى قلة قليلة من الألفاظ يعسر على ضوئها الحكم على مدى أقدمية هذه اللغة. وقد دل البحث العلمي على أن هذه الألفاظ القليلة ليست سامية خالصة بل تختلط بها ألفاظ سومرية إقتبست من لغات سكان بابل الأصليين، بحيث يتعذر تمييز هذه عن تلك .

وقد أجمع العلماء الباحثون على أن أقدم اللغات السامية هي اللغة العربية القديمة، والبابلية، والكنعانية، وليست هناك وثائق تدل على أن واحدة من هذه اللغات الثلاث تضرب في القدم إلى حد لا يعرف له بدء. وعلى ذلك فإن من المحتمل أن تكون الثلاث قد نشأت من أم قديمة مجهولة عفت، ولم يبق لها أثر مستقل تعرف به. وإذا صح أن إحدى هذه اللغات هي الأولى، وأن الإثنتين الآخرين نشأتا منها، فأي هذه اللغات هي الأولى ؟ وإذا كانت اللغة الأولى مجهولة فأي لغة من لغات هذه الأمم السامية أقرب صلة، وأقرب شبهاً باللغة السامية الاصلية ؟ .

يقول المستشرق " اولسهوزن " في مقدمة كتابه عن اللغة العبرية أن اللغة العربية هي أقرب لغات الساميين إلى اللغة السامية القديمة. وأيد " اولسهوزن " رأيه هذا بعدة أدلة ارتاح لها الكثيرون من المستشرقين .

ويرى المستشرق " دي جوج " أن الجو البديع لبلاد العرب الداخلية، والجمال الجسمي للعرب يدلان على حقيقة لانزاع فيها، وهي أن اللغة العربية تقرب كثيراً من اللغة السامية الأولى، وتتصل بها أكثر من اللغات السامية الأخرى وأما المستشرقون الحديثون ؛ فتتلخص آرائهم في أنه من العبث البحث عن اللغة السامية الأصلية، لأنه

إذا كان العلم قد إهتدى إلى أن اللغة السنسكريتية القديمة لا تعد أقرب لهجة قديمة إلى اللغة الآرية الأصلية فكيف يمكن أن يحكم بأن لغة سامية معينة هي أقرب من غيرها إلى السامية الأم، هذا مع العلم بأن تغيرات وتقلبات جمة قد طرأت على اللغات السامية .

ويرى الدكتور " اسرائيل ويلفنسون " في كتابه " تاريخ اللغات السامية " أن اللغة العربية تحتوي على عناصر لغوية قديمة جداً بسبب وجودها في مناطق منعزلة عن العالم، بعيدة عما يتوارد عليه من تقلبات، إلا أن ما احتفظت به العربية من قديم ليس بريئاً من التغيير بل فيه شيء كثير يدل على أنه تقلب في أطوار مختلفة .

وحاول بعض العلماء أن يتخذ من الظواهر المشتركة بين اللغات السامية في الألفاظ، والقواعد صورة اللغة السامية الأولى، وهذا مذهب خاطيء لأن هذه الظواهر ليست أكثر من أوجه شبه بين اللغات السامية في أقدم حالة استطاع الباحثون الوقوف عليها. ويرى معظم المحدثين من المستشرقين أن العربية أغنى اللغات السامية بالأصول السامية القديمة من مفردات وقواعد. وهذه الظاهرة ناجمة عن نشأتها في بقعة منعزلة، فلم تتح لها فرص كثيرة للإحتكاك باللغات الأخرى، والابتعاد عن أصلها .

ويرى الدكتور على العنانى فى مقدمته لكتاب"الأساس فى الأمم السامية ولغاتها" أن بلاد العرب فى وسط الجزيرة العربية وجنوبها هى المهد الأول للأمم السامية، إذ فيها نشأت الجماعة السامية الأولى فى العصور القديمة المظلمة، وعرفت فيها منذ فجر التاريخ.و هو يرى استناداً على ذلك أن السامين جميعاً هم من الأصل العربى وأن لغاتهم ترجع إلى لغة عربية قديمة هى اللغة السامية الأولى، وأن منزلة االلهجات السامية من اللغة العربية هى منزلة الفروع الدانية من الأصل،ولذلك نجد الفروق اللغوية بين اللهجات السامية جميعها ضئيلة.

وهناك ألفاظ مشتركة فى جميع اللغات السامية الأصلية كالضمائر، وأسماء الإشارة، وألفاظ العدد، وأعضاء الجسم، وجملة من الالفاظ مثل : سماء، شمس، أخ، اسم، بيت، ثور، جمل، ليل، ماء، ولد، وعدد لايستهان به من حروف الجر .

وقد دل الإستقراء على أن في مختلف اللغات السامية طائفة كبيرة من الكلمات المتشابهة الأصول في الأسماء، والأفعال، والحروف. والمرجح أن هذه الكلمات كانت جزءً من اللغة السامية الأولى. كما دل البحث من ناحية ثانية، على أن في كل لغة من اللغات السامية طائفة من المفردات لانعثر على مثلها في اللغات السامية الأخرى، وذهب بعضهم إلى تفسير هذه الظاهرة بأنها ناجمة عن هجران هذه المفردات فى سائر اللغات السامية و بقائها مستعملة فى إحدى أخواتها.

وقد يسأل سائل :أي اللغات السامية أكثر شبها باللغة السامية الأولى ؟ زعم بعض المستشرقين فى بادئ الأمر أن العبرية، أو الآرامية هى أكثر شبهاً من غيرها، ثم تخلوا عن هذه النظرية لعدم اعتمادها على قاعدة علمية، و راحوا بعد ذلك يؤيدون الفكرة القائلة بأن العربية أكثر اللغات السامية شبها بالسامية الأم، بحجة احتوائها على اثار قديمة تقرب كل القرب من لغة سام فى الخواص، والألفاظ، والتراكيب .

ومن المحتمل أن اللهجات السامية الأصلية كانت تحتوى فروقاً جوهرية واختلافات أساسية، ولكنها فى باديء الأمر لم تكن ظاهرة للعيان، ثم برزت بروزاً واضحاً بعد انفصال بعض اللهجات عن بعض . فاللغة الواحدة فى المنطقة الواحدة كثيراً ما تظهر بمظاهر مختلفة يتميز كل منها بصبغة خاصة، ووجوه الاختلاف تكون فى بادئ أمرها يسيرة وقليلة ثم تغدو، مع مرور الزمن، شديدة، معقدة ثم تتسع الشقة بينهما، وتنحو كل شعبة منحى خاصاً، حتى تصبح ذات كيان خاص و لون خاص .

وما من شك فى أن اللغة السامية الأصلية كانت قليلة المفردات، الأمر الذى تلمسة الأن فى جميع اللغات البدائية التى تبدو فقيرة الألفاظ، محدودة النطاق . فاللغة السامية الأولى فى مبدأ نشوئها وطور طفولتها، كانت خالية من التفكير الذى يدعو إلى ألفاظ كثيرة للتعبير عن المعانى التى يبتكرها الفكر، ويبتدعها الخيال .

مميزات اللغات السامية :

تتميز اللغات السامية فى بعض أحوالها، عن أنواع اللغات الأخرى، بمميزات وخواص تجعل من كل هذه اللغات كتلة واحدة. وإليك أهم هذه الخواص :

١. ان اللغات السامية تعتمد على الحروف (Consonnes) وحدها، ولا تلتفت إلى الأصوات (Voyelles) بمقدار ما تلتفت إلى الحروف . ولذلك فإننا لا نجد فى حروف هذه اللغات، علامات للأصوات، كما هو مألوف في اللعات الآرية. وبينما نجد أن الشعوب السامية تهمل من شأن الأصوات، نراها قد بالغت في الاهتمام بالحروف فزادت عددها، وأوجدت حروفاً للتفخيم، والترقيق .

٢. إن أغلب الكلمات يرجع في اشتقاقه إلى أصل ذي ثلاث أحرف .

٣. إن لمعظم الكلمات في هذه اللغات مظهراً فعلياً، حتى في الأسماء الجامدة، والألفاظ الأعجمية المعربة. ويرى بعض علماء اللغة أن المصدر الإسمي هو الأصل الذي تشتق منه أصول الكلمات، والصيغ، بيد أن هذا رأي خاطئ لأنه يجعل أصل الاشتقاق مخالفاً عما هو مألوف في سائر اللغات السامية. وقد يكون أولئك العلماء متأثرين بالفرس الذين بحثوا في اللغة العربية بعقليتهم الآرية، فالمصدر الإسمي هو أصل الاشتقاق عند الآريين .

٤. التشابه في تكوين الاسم : من حيث (عدده ونوعه) وفي تكوين الفعل من حيث (زمنه، وتجرده وزيادته، وصحته، وعلته) .

٥. التشابه في الضمائر : وفي طريقة اتصالها بالأسماء، والأفعال، والحروف .

٦. التشابه في المشتقات : كإسمي الفاعل والمفعول، وإسمي الزمان، والمكان، واسم الآلة .

٧. تغير معنى الكلمات بتغير حركاتها .

٨. التشابه في صَوْغ الجمل وتركيبها .

٩. التشابه في احتوائها على الحرفين الحلقيين : "الحـاء" و "العـين"، وعلـى حروف الاطباق وهي : الصاد، والضاد، والطاء، والظاء .

١٠. التشابه الكبير في المفردات الدالة علـى أعضـاء الجسـم، وصلـة القرابـة، والعدد، وأسماء الحيوان، والنبات، ومرافق الحياة الشائعة في الامم السامية .

وقد وجد المستشرقون أن بعض اللهجات الحديثة، كاللغة السريانية الحديثة قـد طرأ عليها تغيير كبير مما أدى إلى اختفاء كثير من هذه المميزات، وأن الآشورية-وهي لغة سامية عريقة في القدم- لا تحتوي على جميع هـذه الخـواص الـتي تختـص بـها اللغـات السامية. ومع ما هنالك من فروق في اللهجات السامية، القديم منـها، والحديـث، فإننـا نستطيع أن نحدد الصلة القائمـة بينـها، ونبـين-علـى وجـه التقريـب- كيفيـة نشـوء اللهجات الحديثة من القديمة، مهما اختفى مظهر اللهجات القديمـة، ومـهما طـرأ مـن تغيير على شكل اللهجات الحديثة .

التشابه بين اللغات السامية وغيرها من اللغات :

تساءل بعض المستشرقين : هل هناك من علاقة بين اللغات السـامية، واللغـات الآرية ؟ وقد ذهبوا مذاهب شتى في الجواب على هذا السؤال. فرجع البعـض أن جميـع اللغات الإنسانية كانت في عصر من العصور لغة واحدة، وذكروا أن الموطن الأول لهذه اللغة الأصلية التي تفرعت عنها تلك اللغات هي أرمينيا .

وحاول الكثير من علماء اللغات، بطـرق شـتى، أن يثبتـوا أن هنـاك صلـة بـين اللغات السامية، واللهجات الهندية الأوربية، وكان من الطبيعي أن يعترض هـؤلاء بـأن الساميين، والهنديين، والأوربيين كانوا جيراناً في قديم الزمان، وأن هناك تشابه في الملامح الجسمية بين هؤلاء، وأولئك، ويصلون من هذا إلى أن اللغات السامية، واللغات الهندية الأوربية قد انحدرت من أصل واحد، ولغة واحدة .

والبعض الآخر-وهم من المحدثين أمثال بروكلمان، ونولدكه- سخروا من هذه النظرية الساذجة وقالوا : أن هناك فروقاً جوهريـة تمـيز اللغـات السـامية عـن اللغـات

الآرية، وتجعل كلاً منها بعيلة عن الأخرى بعداً لا يتصور معه سبق الاشتراك بين هاتين الكتلتين من اللغات في أصل واحد، مدى العصور التاريخية، ويقولون : إذا كان هناك من أصل اشتركتا فيه فلا يكون ذلك إلا قبل التاريخ، وهو لايدخل في نطاق البحث العلمي عند علماء اللغات .

والواقع أن جميع اللغات الانسانية قد اشتقت من أصل واحد، ولغة واحدة، ولكن إختلافاً كبيراً طرأ على اللغات منذ القدم، في العصور التي قبل التاريخ فأزال هذا الاختلاف ما بين اللغات الأولى من صلات .

وما من شك في أن اللغات التي هي من أرومة واحدة يمكن تحليلها تحليلاً لغوياً، علمياً ومعرفة ما بينها من أوجه الشبه، مهما طالت العصور .

ووجود عدد من الكلمات المتشابهة بين بعض اللغات السامية، وبعض اللغات الآرية لايعد دليلاً على وجود صلة أصلية بين اللغتين. ووجود كلمة shesh شيش (للدلالة على العدد ستة) في اللغات السنسكريتية، والفارسية، والعبرية ليس إلا من قبيل المصادفة.

ومن هذه الألفاظ التى قد تضلل الباحث اللغوي : ماء، وفم، وعين، فهى ألفاظ مشتركة بين اللغات السامية، واللغات الاوربية.

كما ان هناك تشابه محدود في القواعد بين هذه اللغات، كالتشابه في صيغ الأفعال، وضمائر التكلم، والخطاب، والغيبة، وفي التأنيث بالتاء . ولكن هذا التشابه لا يقف دليلاً كافياً للقول بأن اللغات السامية، والهندية، والأوربية مشتقة من أرومة واحدة واصل واحد. وقد تستعير بعض الامم من البعض الاخر بعض الكلمات والاصطلاحات. أما اللغات الحامية فلم تبحث حتى الآن بحثاً علمياً وافياً، وليس من الممكن الكتابة في قواعد الموازنة بين اللغات السامية والحامية .

وقد وجد بعض المستشرقين أن هناك ألفاظ حامية كثيرة تشبه ألفاظ عبرية سامية لاسيما الالفاظ السامية المشتقة من أصل ذي حرفين، كما وجدوا تشابهاً في قواعد هذه

اللغات، ووجدوا من ناحية أخرى ؛ أن هناك فروقاً كثيرة بين الكتلة السامية، والكتلة الحامية في المادة اللغوية، والأساليب، وتركيب الجمل، وقواعد اللغة .

ومما أدى إلى اندماج بعض الأمم السامية في الامم الحامية ذلك الاحتكاك القوي الذي لم ينقطع في العصور القديمة بين الامم السامية والحامية. وقد كانت الفتوح الحربية، من أهم عوامل ذلك الاحتكاك بين هاتين الكتلتين، كما حدث في مصر عندما فتح الهكسوس الساميون البلاد المصرية الحامية، فقد آثروا في اللغة المصرية القديمة تأثيراً ملحوظاً، واختلطوا بالمصريين اختلاطاً شديداً، حمل بعض العلماء على أن ينظروا إلى المصريين كشعب من الشعوب السامية، مع أن علم اللغات لم يبد حتى الآن رأياً قاطعاً في علاقة المصريين بالأمم السامية .

وجوه الخلاف بين اللغات السامية :

دل الاستقراء العلمي على أن هنالك كلمات مستعملة في أغلب اللغات السامية للدلالة على أشياء كانت مألوفة بين جميع الشعوب السامية ؛ كأسماء أعضاء الجسم، والضمائر، فهي متقاربة في جميع اللهجات. بيد أن هناك كلمات كانت مستعملة في معظم اللهجات السامية للدلالة على أشياء كانت مألوفة عند الجميع، وتختلف اختلافاً واضحاً في كل لغة من هذه اللغات إذا قورنت بغيرها .

وفي الوقت الذي تقرر فيه أن هناك صلة بين اللغات السامية، تقرر أن لكل لغة سامية مميزات خاصة، تختص بها، وتنفرد بها عن غيرها. فأداة التعريف العبرية هي الهاء في أول الاسم، وتضبط بقواعد خاصة بها، وهي في اللغة العربية"ال" أو"هل" في بعض اللهجات. وكانت في السبئية حرف الاسم أما السريانية فليس فيها أداة تعريف، ولكن لها آثاراً باقية في هذه اللغة. وليس في الآشورية، ولا الحبشية أداة تعريف مطلقاً

ويستعمل للدلالة على الجمع في العبرية حرفاً " يم " للمذكر، وفي الآرامية حرفاً "ين" في حين أنه في العربية يستعمل للدلالة على جمع المذكر السالم الف وتاء في آخر الكلمة، والقاعدة لجمع المؤنث في العبرية هي زيادة واو وتاء .

وقد نجد في بعض اللغات السامية كلمات مستعملة فى بعضها، ومهجورة في بعضها الآخر.

وهناك اختلاف في نطق بعض الحروف : فالتاء في العربية قد تكون شيناً في العبرية، والشين في العبرية قد تكون ثاءً أو سيناً في العربية. والدال في إحدى اللغات السامية قد تكون ذالاً في أخت لها، والصاد قد تكون ضاداً، والعين قد تكون غيناً. وتستعمل العبرية حرفين في موضوع حرف السين، وهما سين وسامخ. ولكن يبدو أن حرف السين كان في الاصل شيناً ثم أبدل سيناً، عند بعض القبائل العبرية. ويحتمل أن حرفي سين وسامخ كانا في الأصل متشابهين، وليس بين نطقيهما سوى فرق يسير، ثم زال هذا الفرق مع مرور الزمن .

وقد دل الاستقراء والمقارنة على أن ما يأتي في العبرية سيناً، يأتي في العربية والحبشية، شيناً والعكس بالعكس .

الفصل الثانى

اللغة العبرية : نشأتها وتطورها

جاء فى الكتب المقدسة ؛ أن إبراهيم العبرى أب لشعبين عظيمين، هما العرب والعبرانيون، ذرية إسماعيل وإسحق، ولدى هاجر وسارة .

وتختلف الآراء فى سبب تسمية إبراهيم بالعبرية . فبعض المستشرقين يرى - اعتماداً على نظرية أحبار اليهود القدماء - أن إبراهيم إنما عرف بالعبرى لأنه عبر النهر . وقد اختلف أولئك الأحبار فى تعيين ذلك النهر، فذهب بعضهم إلى أنه نهر الأردن، وذهب البعض الآخر إلى أنه نهر الفرات . والواقع أن كلمة " نهر " كانت تُطلق فى التوراة على الأنهر الكبيرة، دون أن يضاف إليها ما يميز بعضها عن البعض الآخر .

ويرى بعض العلماء، أن إبراهيم وصف بالعبري، نسبة إلى أحد آبائه الأقدمين عيبر (صـ ١١٣) . وإذا أمعنا النظر فى جدول أبناء عيبر، إلى عهد إبراهيم الخليل وجدنا أن معظم الأمم الإسلامية منسوبة إليه .

ويقول إسرائيل ولفنسون فى كتابه " تاريخ اللغات السامية " أن كلمة " عبر " لا ترجع إلى شخص بعينه، أو إلى حادثة معينة، وإنما ترجع إلى الموطن الأصلى لبنى إسرائيل . وذلك أن بنى إسرائيل كانوا فى الأصل من الأمم البدوية، الصحراوية، التى لا تستقر فى مكان، بل ترحل من بقعة إلى أخرى بإبلها وماشيتها، بحثاً عن الماء، والمرعى . وهو يرى أن كلمة " عبرى " فى الأصل مشتقة من الفعل الثلاثى " عَـبَرَ "، بمعنى

قطع مرحلة من الطريق، أو عبر الوادى، أو النهر من عبر إلى غيره، أو عبر السبيل شقها . وهذه المعانى كلها نجدها فى هذا الفعل، سواء فى العربية أو العبرية . وهى فى مجملها تدل على التحول، والتنقل الذى هو من أخص ما يتصف به سكان الصحـراء، وأهـل البادية . فكلمة عبرى - فى بداية - مثل كلمة بدوى، أي سكان الصحراء، والبادية .

ويرى ولفُنسون أن كلمتى " عبرى " و" عربى " مشتقتان من ثلاث واحـد، هو " عبر " لأن التصرف فى حروف الثلاثي بالتقديم، والتأخير، شائع جداً فى اللغات السامية . فإننا حين نجد كلمة تدل على معنى فى إحدى اللغات، نرى كلمة أخـرى مـن حروف الكلمة الأولى عينها تدل على هذا المعنى نفســه فـى لغـة أخرى، ولكـن مـع التقديم والتأخير، فى أحرف هذه الكلمة مثل : حنش نحش، وسىَ سـوَّى، عـورة عـروة، وفى العربية ذاتها كثير من المترادفات الدالة على معنى واحد، وليس بينها أي اختلاف إلا فى ترتيب الحروف من حيث التقديم، والتأخير مثل : يئس وأيـس، وجـذب وجبـذ، وباء وآب، وغير ذلك من الكلمات التى يعتورها القلب المكانى . ونجـد هـذه الظـاهرة عينها فى العبرية نفسها مثل : سملة وسلمة، وكبسة وكسبة، وآل ولا . ويستنتج ولفنسون من هذا أن تبديل عبر بعرب محتمل . وعلى هذا الأساس يمكننا أن ندرك الصلـة التـى تربط كلمة " عربي " بالعربة التى تعنى بالعبرية الصحراء .

نشأة اللغة العبرية :

دل الإستقراء العلمى على أن اللغـة العبريـة القديمـة، قـد نشـأت فـى أرض كنعان، حتى قبل نزوح الإسرائيليين إليها . وهذه اللغة هى اللغة التى ورد ذكرهـا فـى سفر أشعيا تحت اسم " لغة كنعان "، فإنه لما هاجر العـبريون إلى أرض كنعـان حـوالى القرن الثالث عشر ق.م. كانوا يتكلمون آنئذ لهجـة تقـرب مـن إحـدى لهجـات اللغـة الآرامية القديمة . ومن ثم راحوا يستعملون لغة البلاد التـى هـاجروا إليـها، وأخـذوا ينسون تدريجياً لغتهم المستعملة . و" كنعان " هو ابن حام بن نوح، وتسمى باسمه قسم كبير، ومن لبنان وسورية عصوراً طويلة . وتُطلق لفظة " كنعان " فى الكتاب المقـدس

على البقعة الممتدة من الأردن إلى البحر الأبيض المتوسط . وكان الفينيقيون يسمون بلادهم بلاد كنعان . ويذهب بعض العلماء المحدثين إلى أن كلمة " كنعان " تشتمل الأرض المقدسة، وجزءا كبيراً من لبنان .

واللغة العبرية ليست لغة العبريين جميعاً، بل هى لغة فرع واحد، من فروعهم، وهو فرع إسرائيل . وتُعد العبرية أهم اللهجات الكنعانية، ذلك لأنها أوسع انتشاراً وأكثر إنتاجاً من سائر هذه اللهجات، بل إنها تُعد من أغنى لغات العالم أجمع فى مختلف فنون القول : فى المعتقدات، والآداب، والفلسفة والتاريخ، والعلوم وهلم جرا . ولهذه اللغة أهمية دينية كبيرة فى البلاد المسيحية، ذلك لأن جميع أسفار العهد القديم قد ونت بها .

المهد الأصلى للقبائل العبرية :

نزح بنو إسرائيل من شبه جزيرة سيناء وأغاروا على أرض كنعان، ففتحوا قسماً كبيراً منها، ودانت لسلطانهم، واستقروا فى فلسطين، حوالى القرن الثالث عشر ق.م. وإلى هذا الرأى جنح معظم المستشرقين، القائلين، بأن العهد الأصلي للقبائل العبرية إنما كان فى شبه جزيرة طور سيناء . ويستدلون على رأيهم هذا بأن مميزات الحياة الصحراوية بارزة جداً فى اللغة العبرية، وأن الإسرائيليين توارثوا هذه المميزات حتى استوطنوا فلسطين، وأن الأدب العبرى القديم يتسم بطابع الصحراء .

ويذهب المستشرق مرغليوث : إلى أن الوطن الأصلى للعبريين لم يكن فى شبه جزيرة طور سيناء، وإنما كان فى بلاد اليمن، التى كانت مهداً لشعوب كثيرة منذ أقدم الأزمنة التاريخية . ويستدل مرغليوث على رأيه هذا بوجود ألفاظ كثيرة مشتركة بين اللغتين السبئية، والعبرية، وبأن هناك شبهاً عظيماً ملحوظاً بين بعض العادات الإجتماعية، والتقاليد الدينية عند السبئيين وبنى إسرائيل وذلك فى كتابة (Reletıons between Arabs and İsraelites) . والواقع أن هذين الدليلين، اللذين يعتمد عليهما مرغليوث، لا يطبقان على بنى إسرائيل، والسبئيين وحدهم، بل يشتمل

جميع الأمم الإسلامية، بحيث نستطيع، على أساسهما، عقد مقارنة بين بنى إسرائيل، وعاداتهم، وتقاليدهم، ولغة بابل، وعاداتهم، وتقاليدهم، ثم نستنتج من ذلك أن بنى إسرائيل من أصل بابلى . إذن فترجيح أن العبريين القدامى نزحوا من اليمن، لا يمكن قبوله، لأن القبائل العبرية عاشت فى معظم العصور فى شمال الجزيرة العربية .

التشابه بين العربية والكنعانية :

ذهب المستشرقون مذاهب شتى فى تعليل التشابه القائم بين العبرية، والكنعانية، فى معظم مظاهر الصوت، والقواعد، وأصول الألفاظ .

فذهب بعضهم، إلى أن هذه الظاهرة ناجمة عن أن اللغة الأصلية للعبريين القدامى، قد اشتبكت مع اللغة الكنعانية، فى صراع، إنتهى بتغلب الكنعانية عليها، مما أدى إلى انقراض لغتهم، وانتقالها إلى لغة السكان الأصليين لأرض كنعان، ويرون أن تحريفاً ملحوظاً قد طرأ على هذه اللغة ؛ فى أصواتها، وألفاظها وبعض قواعدها، مما أدى إلى نشوء لهجة متميزة على سائر اللهجات الكنعانية .

ويرى البعض الآخر ؛ أن هذه الظاهرة ناشئة عن أن العبريين كانوا فى الأصل من سكان أرض كنعان، ثم هاجروا منها، ثم عادوا إليها عن طريق سيناء . وفى هذه المدة الطويلة التى قضوها فى مهجرهم، ظلوا محتفظين بلغتهم القديمة، التى إعتراها تأثير طفيف بألسنة الأمم التى أقاموا بين أهليها . وهذا الرأى يستند علي ما ترويه الكتب المقدسة عن تاريخ الإسرائيليين .

وزعم البعض ؛ أن سبب هذه المشابهة ناجم عن أن اللغة العبرية قد تأثرت بلهجات السكان الأصليين، وبما انتقل إليها من هذه اللهجات، من الألفاظ، وقواعد الصرف، والاشتقاق وهلم جرا . وهذا رأى ظاهر الضعف، ذلك لأن التشابه القائم بين العبرية وسائر اللهجات الكنعانية، هو تشابه جوهرى، وليس تشابهاً سطحياً ضئيلاً يمكن إرجاعه إلى الاقتباس . وقد قرر علماء اللغة ؛ أن الإقتباس نذيراً بفناء اللغة المقتبسة، واندماجها فى اللغة المقتبس منها .

المراجع التى وصلت إلينا العبرية عن طريقها :

وصلت إلينا العبرية عن ثلاث مراجع هى :

١. الأسفار التى دونت بها : وهى أسفار العهد القديم، والتلمود، وملحقاتها، وعدد كبير من المؤلفات الأدبية، والعلمية، والقانونية، التى دونها بهذه اللغة علماء اليهود فى مختلف العصور .

٢. بعض نقوش أثرية على لوحات من الصخر والمعدن .

٣. استعمال اليهود لهذه اللغة فى تلاوة بعض الأوراد الدينية، ونصوص من التوراة، وما إلى ذلك .

وجلي أنه لم يصل إلينا عن هذه المراجع سوى لغة الكتابة . ويستفاد مما جاء فى الإصحاح الثانى من سفر القضاء، أن النطق ببعض الكلمات كان يختلف آنئذ باختلاف المناطق، وأن مناطق معينة كان يعسر على أهلها النطق بألفاظ شائعة، فى مناطق أخرى وقد حاول المستشرقون الوقوف على كيفية نطق اليهود بالأصوات، والمفردات، التى كانت مألوفة، فى التخاطب، طوال الفترة التى كانت اللغة العبرية فى أثنائها لغة محادثة، بين القبائل الإسرائيلية .

أما المرجع الثانى، أي ما وصل إلينا من كتب أو نقوش أثرية على لوحات صخرية أو معدنية، فلا يمثل النطق العبرى إلا فى صورة ناقصة، ذلك لأن الرسم العبرى، فى مراحله الأولى، كان مقصوراً على الرمز إلى الأصوات الساكنة فى الكلمات شأنها فى ذلك شأن سائر أنواع الرسوم السامية القديمة، وهذه الأصوات الساكنة ذاتها لم تكن بارزة فى ذلك النطق بروزاً صحيحاً كاملاً .

وأما المرجع الثالث الذى وصلت إلينا العبرية عن طريقه، ونعنى به استعمال اليهود لهذه اللغة فى تلاوة بعض الأوراد وآيات التوراة - فلا يمكن اتخاذه مرجعاً يقينياً للنطق العبري الصحيح . ذلك لأن المستشرقين لم ينصرفوا إلى ملاحظة هذه التلاوة إلا بعد انقراض العبرية بأكثر من عشرة قرون، أي زهاء القرن السابع الميلادي . وما من

شك فى أن عبارات يتناقلها الخلف، عن السلف خلال مدة مديلة كهذه تكون أصواتها الأولى عرضة لكثير من التبديل، والتغيير .

الأطوار التى مرت بها اللغة العبرية :

اجتازت اللغة العبرية منذ نشوئها طورين هامين، وكانت فى كل من هذين الطورين تتأثر تأثراً ملحوظاً بما يكتنف الإسرائيليين من أحوال سياسية .

ففى الطور الأول ؛ كانت اللغة العبرية خالية من عوارض العُجْمَة، وكانت جميع ألفاظها تقريباً من أصل عبري خالص . ويرى مؤرخو الأدب العبرى أن هذا الطور يمتد من حوالى القرن العاشر قبل الميلاد حتى سقوط مملكة يهوذا سنة ٥٨٦ ق.م. ويرون أن العبرية فى هذا الطور تعطينا صورة صادقة عن عقلية العصر الذى تم تدوينها فيه . وفى أواخر هذا العصر بلغت العبرية أوج ازدهارها . نلمس ذلك فى أسفار الأنبياء الذين ظهروا فى هذا الطور تتسم بطابع البداوة حتى فى عصور الحضارة، والاستقرار حين استقر بنو إسرائيل، وأقاموا لهم مملكة . وأقدم الآثار التى وصلت إلينا من تلك العصور تصطبغ بالسذاجة، وبساطة التفكير، التين كانتا ميزة الأدب العبرى . ويعللون هذه الظاهرة، بأن علاقة العبريين بشعوب الصحراء لم تنقطع، وبأن عيشة البداوة التى عاشوها قروناً طويلة قد تركت فى نفوسهم عادات كان من العسير نسيانها .

وكانت النقوش الأثرية، وأسفار العهد القديم، أهم ما وصل إلينا من آثار العبريين فى هذه الحقبة من الزمن . أما النقوش القديمة فقد عثر عليها محفورة على الصخور، والأحجار أو مسكوكة على النقود . وهذه النقوش تتفق فى ألفاظها، وأسلوبها مع ألفظ العهد القديم، وأسلوبه .

ومن أهم النقوش العبرية القديمة نقوش تم كشفها سنة ١٨٨٠ فى قرية سلوان بالقرب من بيت القدس، ويرجع تاريخه إلى عهد الملك خزقيال، أي حوالى سنة ٧٠٠ ق.م. عثر على هذا النقش على لوحة نصبت تخليداً لذكرى الإنتهاء من عملية الحفر فى

الجبل لجلب مياه النبع إلى بركة داخل المدينة القديمة، وهذا النقش المكتوب بقلم عبرى قديم مازال على حالته الأصلية إلى الآن .

وأهم ما وصل إلينا من هذه الآثار، قصيدة دينية، حماسية، جاءت فى الإصحاح الخامس فى سفر القضاة، على لسان حكيمة وحكيمات بنى إسرائيل إسمها " دبورة " . وتتحدث هذه القصيدة عن النصر العظيم الذى فازت به دبورة، والقائد الإسرائيلى باراق، على سيسرا قائد الجيوش الكنعانية . ويظن أن هذه الحكيمة عاشت حوالى القرن الحادى عشر قبل الميلاد .

وفى هذا الطور بلغت اللغة العبرية ذرا مجدها، ووصلت إلى غاية ما استطاعت الوصول إليه من النمو، والتهذيب، واتساع النفوذ . وفى الفترة الأخيرة من هذه المرحلة تم تدوين أسفار العهد القديم . ودامت عملية التدوين زهاء ثلاثة قرون (من النصف الأخير من القرن التاسع حتى أوائل القرن السادس قبل الميلاد) .

وفى الطور الثانى راحت عوامل الفناء تدب رويداً رويداً إلى اللغة العبرية، وأخذت الآرامية تتغلب عليها، وتنتقص من نفوذها، شيئاً فشيئاً، حتى قضت عليها فى هذا الطور تأثرت اللغة العبرية بثلاثة عوامل كان لها جميعاً أثر فعال فى إضعاف هذه اللغة وهى : إغارة الآشوريين، والكلدانيين على فلسطين . وما نجم عن ذلك من تشتيت شمل اليهود، ثم استيلاء اليونان على هذه البلاد، ثم انتشار اللغة الإغريقية، والثقافة الإغريقية فى الإقاليم التى خضعت للإغريق، ثم الفتح الإسلامى، وما تلاه من سيطرة اللغة العربية، والثقافة الإسلامية .

حقاً، إن أحبار اليهود بذلوا قصارى جهودهم، فى سبيل الإبقاء على لغتهم، ومكافحة الآرامية، وحمل اليهود على كرهها، وأن اليهود الذين أجلاهم بنوخذ نصر إلى بابل قد أبدوا حرصاً شديداً على لغتهم، طوال مدة النفى، وبعد عودتهم إلى فلسطين، وأن اليهود الذين بقوا فى فلسطين لم يقلوا عن إخوانهم حرصاً على لغتهم، ورغبة فى المحافظة عليها . بيد أن هذه الجهود جميعاً لم تستطع التغلب على تيار اللغة الآرامية، ولم

تقو على عرقلة قوانين الصراع .

ومما مهد للآرامية سبل السيطرة على العبرية ؛ إنتماء هاتين اللغتين إلى شعبة لغوية واحدة، ومتانة صلة القرابة التى تربط كلاً منها بالأخرى . أضف إلى ذلك التفكك الذى ظهر آنئذ بين اليهود، وانهيار سلطانهم السياسى . وما كاد ينتهى القرن الربع قبل الميلاد حتى غدت العبرية فى عداد اللغات الميتة فى التخاطب . وأبرز ما وصل إلينا من آثار هذه المرحلة بعض أسفار العهد القديم، وبعض الآثار الأدبية القيمة كالمدارش بما فيه من هالا خاوها غادا

المدارش والها لاخا والها غادة :

وبعد أن تم تخريب بيت المقدس ؛ أدرك الفقهاء اليهود أن عهد الشعب السياسى قد مضى، وانقضى، فراحوا يعملون على إحلال وحدتهم الدينية، محل وحدتهم السياسية ؛ بأن وجهوا عنايتهم إلى المحافظة على تراثهم الروحى، فأقاموا المدارس الدينية هنا، وهناك، وأهمها مدارس بغداد، وانكبوا على دراسة نصوص العهد القديم وتفسيرها .

ويعد المعهد القديم، المصدر الأساسى الذى تركز عليه الشريعة اليهودية . ونصوصة مفصلة حيناً ومجملة حيناً آخر، بعضها ظاهر جلي وبعضها الآخر مشكل متشابه، يحتاج إلى الإيضاح والتفسير . لذا جاء " المدارش " مفسراً لما غمض من نصوص العهد القديم " مبيناً لما خفى من رموزه " .

راح فقهاء اليهود، يلقنون هذه الشروح لتلاميذهم شفهياً، ويتناقلها عن السلف، واستمر الحال من هذا الموال حتى أواخر القرن الثالث الميلادى، إذ خشى الفقهاء أن يطغى النسيان على هذه الشروح فطفقوا يدونون كل ما علق فى أذهانهم منها . وأشهرهم الربانى بارنجانى الذى قام بجمع هذه الشروح، وتبويبها، وألف منها سفراً ضخماً يدعى مدراش ربا، وهناك مدارش آخر يدعى مدراش تنحوما جمعه الربانى تنحوما بعد مرور نحو قرن من الزمن . وراح الفقهاء اليهود، بعدئذ يدونون هذه

الشروح التى يعدها النقاد اليهود فلسفة التوراة، والشريعة اليهودية، وكانت الغاية من هذه الدراسة هى الوقوف على معانى كلمات العهد القديم، واستخراج القوانين منـه، ووضع قوانين جديدة اعتماداً على القياس، إن لم يكن هناك نص أو كان النص غامضاً مبهماً .

والمدراش على نوعين : " هالاخا " و" هاغادا " الهالاخـا : مجموعـة الأحكـام التى بين الحلال والحرام، والطهارة، والنجاسة إلخ مما ورد ذكره فى التوراة وفسره الفقهاء اليهود، ووضعوا له حدوداً وقيوداً تلائم حاجة العصر الذى كانوا يعيشـون فيـه . وأمـا الهاغادا فهى شرح لنصوص تاريخية، أو أخلاقية، وكثـيراً مـا يعتمـد هـذا الشـرح علـى المبالغة، والحدس والتخمين .

وإمام مؤلفى الفقه اليهودى هو العلامة موسى بن ميمون . وبعد كتابة " اليد القوية " عماداً لجميع من ألفوا بعده، وأشهرهم الربانى يوسف نارو، المعروف باسم " ماران " مؤلف كتاب " المائدة المنضودة " الذى يحتوى أربعة أقسام : يتناول أولها أحكام العبادات، وثانيهما الأحوال الشخصية، من زواج وطلاق الخ، وثالثـهما أحكـام الذبـح، والتعليم، وإحترام الوالديـن، وتكريـم العلمـاء الخ . ويتنـاول الرابـع شـئون القضـاء والمعاملات، والأحكام التى يصدرها القضاء اعتماداً على كتاب " ماران " الذى يعتمد على كتاب موسى بن ميمون، وهذا يعتمد علـى التلمـود الـذى يسـتقى أحكامـه مـن التوراة .

العبرية الربانية أو التلمودية :

فى مستهل العصور الوسطى؛ ظهر ما يسمى بالعبرية الربانية، أو التلموديـة، وذلك لأن أهم ما وصل إلينا من آثارها فـى هـذه المرحلـة، هـى بحـوث الربـانيين، فـى التلمود . وقد بلغ عددها ٦٣ كتاباً باللغة العبرية، فى شئون الدين، والقانون، والتـاريخ، وما إلى ذلك، وأطلق على هذه الأسفار اسم " المشنا " . ثم راح الفقهاء يشرحون المشنا بالآرامية، وأطلق على هذا الشرح " الجمارا " . ومن المشـنا والجمـارا معـا تـألف مـا

يسمى " التلمود " .

المشنا :

هى مجموعة قوانين اليهود السياسية، والحقوقية، والمدنية، والدينية . ومعظم هذه القوانين مبنى على تقاليد يهودية قديمة، وجدت منذ خروج بنى إسرائيل من مصر، وتيههم فى صحراء سيناء . ولما كثرت التقاليد، وتشعبت أطرافها، وازداد عدد الكتاب، والمجتهدين الناظرين فى الشريعة، وكثرت الأحكام الصادرة من المجامع فى الشئون المختلفة، قام شمعون بن جامليل أحد فقهائهم فى طبريا سنة ١١٦ ب.م. فاستعان بزملائه، وتلامذته على تنسيق تلك الأحكام والنظر فيها، فجمعوا ما تيسر لهم جمعه منها، وعكفوا على غربلته وتبويبه، وظل العمل سائراً كذلك إلى أن أتمه يهوذا هاناسيى، وتلامذته حوالى سنة ٢١٦ ب.م. فجاء ستة أقسام تحتوى على ٦٣ مبحثاً فيها ٥٢٤ فصلاً، فكانت هذه " المشنا ". ولقد دونت جميع هذه الشروح وما دار حولها من مناقشات، ومجادلات حادة باللغة العبرية، وسميت باللغة الربانية، لأن القائمين بهذه البحوث كانوا جميعاً من الربانيين، وأسلوب هذه اللغة متأثر إلى حد كبير بأسلوب اللغة الآرامية، وتحتوى الكثير من الألفاظ الآرامية، واللاتينية، والفارسية، والإغريقية، ولكن الأساس الذى تعتمد عليه العبرية الربانية ظل عبرياً ولم يفقد صبغته الكنعانية .

وتحتوى المشنا ستة عناصر وهى :

١. البذور (זרעים) : وهى قوانين تشير إلى الشئون الزراعية، مسبوقة بقوانين عن عبادة الله .

٢. الفصول (מועד) : ويبحث عن الأعياد عند اليهود، وعن يوم السبت، والتقاليد الخاصة بها .

٣. النساء (נשים) : وقد ذكرت فيه بالتفصيل قوانين الزواج، والطلاق، والنذور والوصية .

٤. العقوبات (נְזִיקִין) : وتشتمل على التشريع المدنى، والإجرامى، والكلام عن الحكومة.

٥. الأمور المقدسة (קָדָשִׁים) : وهى بحث عن القربان، والتضحية، ووصف هيكل أورشليم.

٦. الطهارة (טְהָרוֹת) : وهى بحث عن الطهارة، والنجاسة، والفرق بينهما.

الجمار :

وهى الشروح، والحواشى التى تحيط بالمشنا، وهى مدونة بالآرامية المشوبة بقليل من العبرية. ذلك أن فقهاء بابل، وفلسطين، هجروا، فى القرنين الثالث، والرابع، التوراة جانباً، وراحوا يعتمدون على المشنا ويتخذونها أساساً لشروحهم فيبسطوا بعض القواعد، وحاولوا تطبيقها على حالات افتراضية، أو واقعية لم يعالجها الفقهاء من قبل. فالمشنا تتضمن القواعد والأحكام بغير نقاش غالباً. أما الجمارا فتوضح هذه القواعد بأمثلة، أو حكايات، وتناقشها، وتضع إلى جانبها غالباً الحكم الفقهى الأخير. وقد بدأ تدوين الجمارا فى القرن الأول الميلادى، وتم تدوينها فى القرن الخامس.

التلمود :

المشنا والجمارا معا يسميان التلمود وهو مجموعة تفاسير، وشروح، وأخبار، وأحكام وضعها حكماء اليهود، وفقهاؤهم. وهو يتضمن أحوال اليهود، وصلواتهم، وفلسفتهم، وتقاليدهم، وعاداتهم، وأخلاقهم، وقصصهم وتاريخهم وهو كبير الحجم، يزيد عن عشرين مجلداً وضعت فى عصور مختلفة، وأحوال متباينة.

والتلمود ؛ اثنان : الأورشليمى، نسبة إلى أورشليم، وهو الذى تم إنجازه فى طبريا، والبابلى الذى تم فى بغداد، ويحتوى التلمود عنصرين : المتن والشرح ويسميان،

" المشنا " أي ما يحفظ عن ظهر قلب، أما " الجمار " فهى الحاشية التى تتضمن غالباً الحكم الأخير .

أما التلمود الأورشليمى ففيه ٢٩ مبحثاً من المشنا . وكان الفراغ من تهذيبه فى أواخر القرن الرابع، وأسلوبه أوضح وأجلى من أسلوب التلمود البابلى، ويمتاز عن ذلك بإيجاز مباحثه . وأما التلمود البابلى فكان الفراغ الأول منه نحو أواخر القرن الخامس . ويتضمن الأقسام الأربعة الأولى من الجمارا، وهو نحو أضعاف التلمود الأورشليمى وفيه ٣٦ مبحثاً فى ٢٩٤٧ صحيفة .

وفى القرن الثامن بعد الميلاد قام عنان بن داود فى بغداد وتبعته فرقة رفضت التلمود واكتفت بما فى التوراة بغير تفسير وهذه الفرقة تسمى " القرائين " .

وأفضل شروح التلمود الأورشليمى التفسير الذى وضعه العلامة موسى بن ميمون، أما التلمود البابلى فقد وضع أحسن شروحهم راشى . واختصر موسى بن ميمون التلمود خدمة للناظرين فى جميع أجزائه وسمى كتابه " مشنى توراة " . ولا يزال هذا السفر خزانة الشريعة الإسرائيلية حتى اليوم . وكان تأليفه باللغة العبرية، وباللغة العربية الدارجة آنئذ فى مصر .

وطبعت المشنا أول مرة فى نابولى سنة ١٤٩٢ . وتوالت طبعات التلمود بعدئذ فى عصور مختلفة وأماكن متفرقة . وقد ترجمت المشنا إلى لغات كثيرة أما الجمارا فلم تتعد الترجمة فيها بعض الفصول .

<u>والقوانين المذكورة فى التلمود هى :</u>

١. القوانين التى استنبطت صراحة، أو ضمناً من التوراة، أي من الأسفار الخمسة التى أنزلت على موسى .
٢. القوانين التى منحها الله موسى وهو على جبل سيناء .
٣. العادات، والتقاليد التى كانت لدى بنى إسرائيل قديماً، فى العصر الذى نزلت فيه التوراة .

٤. القوانين التى وضعها علماء بنى إسرائيل، وأدخلت بعد عصر التوراة، والغرض منها الوعظ والإرشاد، وتقويم الأخلاق، والتأكيد من إطاعة الأوامر الدينية، ومنع الرذائل وسوء الظن .

٥. المنهاج : وهى تمرينات دينية، لم يعتمد فى وضعها على نصوص من التوراة، ولكنها صارت كالقوانين المقدسة بطول استعمالها .

ويمتاز عهد التلمود، على العموم، بشدة تأثره باللغة الآرامية . ويبدو فى اللغة العبرية التلمودية أو الربانية شئ ملحوظ من مظاهر التأثر ببعض اللغات الهندية الأوربية التى إحتك اليهود بأهلها، إحتكاكاً سياسياً أو ثقافياً، كاليونانية، واللاتينية، والفارسية . وقد أدى هذا كله إلى تقلص العبرية شيئاً أمام اللغة الآرامية، مما اضطر رجال الدين إلى اتباع ما يتلونه أو يعملونه من نصوص التوراة أو أسفار الأنبياء بترجمة له باللغة الآرامية .

وكان خضوع اليهود لليونان ذا أثر فعال فى التفكير اليهودى، فتأثر أسلوب العبرية تأثراً جلياً باللغة الإغريقية، كما تأثرت العقلية اليهودية إلى حد كبير بالعقلية اليونانية . وهكذا أمسى استعمال العبرية مقصوراً على رجال الدين وحدهم .

وقد أدى زوال نفوذ بنى إسرائيل السياسى، ثم تدمير بيت المقدس، وحرق الهيكل عام ٧٠ م إلى تدهور كبير فى اللغة العبرية، وقد تأثرت هذه الحوادث تأثيراً عظيماً فى تاريخ اليهود الدينى، واللغوى، فصاروا ينحون منحى جيلة فى دراستهم .

اجتازت اللغة العبرية، بعد ذلك مرحلتين آخرين ؛ تبدأ الأولى منذ إختتام أسفار العهد القديم . وتمتد حتى ما قبل القرون الوسطى، وتسمى العبرية فى هذه المرحلة العبرية التلمودية، وقد تحدثنا عنها آنفاً - وتبدأ المرحلة الثانية من القرون الثامن الميلادى، وتمتد حتى اليوم، وهى مرحلة العبرية الحديثة، وقد كتب بها فى هذه المرحلة عدد كبير من علماء اليهود، المنتمين إلى شعوب شتى .

وتمتاز العبرية فى هذه المرحلة بشدة تأثرها باللغة العربية، وباللغات الأوربية

الحديثة . وتتفاوت آثار هذه المرحلة فى فصاحة لغتها، وصحتها تبعاً لاختلاف المؤلفين، ومدى تمكنهم من اللغة، وإلمامهم بآدابها القديمة . وقد دل الاستقراء على أن اليهود الشرق - لا سيما يهود البلدان العربية - الذين يستعملون اللغة العبرية هم؛ على وجه العموم، أبلغ عبارة، وأفصح أسلوباً، وأصح لغة، من بنى جلدتهم يهود الغرب الذين يستعملون هذه اللغة .

الفصل الثالث

اللغة الآرامية ولهجاتها

تمتد هجرة الآراميين إلى سورية إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد تقريباً . ووقفوا فى تلك المنطقة عقبة كؤوداً فى سبيل تقدم الآشوريين . وارتبط تاريخهم بنشاط الشعوب المجاورة لهم . وكان عدم اتحادهم سبباً فى عجزهم عن تكون مملكة قوية . ويذكر الكتاب المقدس، وجود صلات قرابة بين الآراميين، والعبريين . وقد علا نجمهم فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد . وشكلوا فى منعرج الفرات مملكة بيت أدبنى . وأنشأوا " تل برسيب " عاصمة لهم (وهى حالياً تل الأحمر) وامتدت هذه المملكة إلى نهر البالخ . ونشأت دويلات أخرى مثل بيت حيانى، وعاصمتها " تموزاتا " (تل حلفا حالياً فى نهر خابور) وغيرها من المدن، ووصلوا حتى الزاب الصغير، وطوقت بذلك المملكة الآشورية . ووصلت وحدات منها حتى جنوب بغداد، وانتشرت القبائل الكلدانية فى جنوب بالبل، إلى الخليج العربى، وكان هؤلاء يتمون بصلة قرابة إلى الآراميين . وهكذا كانت بلاد كلد، وفى منتصف القرن التاسع تشكلت ست دويلات صغيرة .

وقد شكل الآراميون الذين كانوا يقيمون فى شرق دجلة على حدود بابل، وعيلام فكانت تسمى مقاطعتهم (آرميو) .

وبالرغم من انتهاء تاريخهم السياسى بعد أن لعبوا دوراً هاماً مدة أربعة، أو خمسة قرون. بقيت لغتهم طاغية على أقطار الشرق مدة ألف سنة حتى أتت اللغة العربية فصرعتها.

واللغة الآرامية سامية الأصل، وهى قريبة من الفينيقية، والعبرية، والعربية. وأبجديتها مكونة من ٢٢ حرفاً، وظهرت من قبل فى فينيقية فى نهاية الألف الثانى قبل الميلاد. وقد لوحظ أن الآراميين أضافوا إلى لغتهم حروفاً أخرى هى " الألف، والهاء، والواو، والياء " كما أن بعض النصوص كتبت بالآرامية الخالصة. والبعض تأثر باللغة الفينيقية. وقد دفعت العلاقات الدبلوماسية، والتجارية بين الدويلات الآرامية إلى استخدام لغة واحدة خصوصاً فى باكورة تاريخ آرام. فيما عدا " سسال " التى احتفظت مدة طويلة بلغة محلية.

ليس من شك فى أن الآراميين استعاروا الكثير من مفردات لغات الشعوب المجاورة ؛ فأخذوا من اللغة الآشورية البابلية، والفينيقية. وحاولت اللغة الآرامية أن تفرض نفسها على من احتلوهم من الغزاة. فعرف الآشوريون كثيراً من الآرامية. ولذلك نجد على بعض الآثار، ذات الطابع الآشورى، كاتبين ؛ أحدهما آشورى، والآخر آرامى، يدونان النص باللغتين. وترجع معظم تلك الوثائق إلى القرنين التاسع والثامن

انتشرت الكتابة الآرامية فى بلاد ما بين النهرين، لأنها كانت أسرع فى التدوين من الكتابة المسمارية، كما انتشرت فى سوريا وفلسطين، وازدهرت فى مملكة بابل الجديدة فى القرن السابع. وكشف عن العديد من الألواح المسمارية، وعليها كتابات آرامية، ومن أيام نبوخذ نصر. وسارت الآرامية إلى جانب الأكدية، ثم تفوقت عليها، وأصبحت فى نهاية القرن السابع لغة الدبلوماسية الدولية. ولما قضى قورش على بابل ٥٣٩ ق.م. كانت اللغة الآرامية هى اللغة الرسمية لجميع ولايات (سترابيات) الإمبراطورية الفارسية التى بلغت شرقاً إلى نهر الأندوس، وغرباً إلى نهر النيل. وفى مصر، تراسل الموظفون الفرس، والمصريون بالآرامية، وهى لغة أجنبية لكلا الموظفين.

ومما يدل على ألوان للمحاسبة كتبت بالآرامية . وفى آسيا الصغرى عثر على كتابات آرامية من العهد الفارسى، وعلى نقود تحمل كتابات آرامية . وانتشرت الآرامية كذلك حتى الهند فى القرن الثالث قبل الميلاد . كما انتشرت فى سيناء . وفى فلسطين عثر على كتابات آرامية فى العهد الفارسى كما عثر فى كثير من النواحى، فى مصر، على وثائق كتبت بالآرامية . وقد اقترح بعض اللغويين تسميتها بآرامية المملكة، وهى بدون شك لم تكن إلا صورة من الآرامية المشتركة . وكانت فيها آثار عديدة للتطور الصوتى والنحوى . ومعها كلمات إيرانية إدارية، وعسكرية . وتأثرت البهلوية – وهى اللغة الإيرانية فى هذا الوقت – بالآرامية . ولما غزا الاسكندر الأكبر الشرق، أدخل اليونانية، وبذا يتقلص نفوذ الآرامية . ونشأت عن ذلك طرق جديدة لكتابة الآرامية، منها العبرانى المربع، ومنها النبطى والتدمرى، والسريانى، والمندعى . (Mendeen) .

وقد تبع انتشار الآرامية، واتصل أصحابها، بغيرهم من الأقوام أن تولدت منها لهجات عدة يمكن أن تميز تبعاً لاختلاف الزمان، والمكان، والدين . والحضارة وقد اختلفت الآراء فى تقسيم اللهجات الآرامية، فيقسمها " نولدكة " إلى شبرقية، وغربية، واللهجات الشرقية عدة هى لهجات التلمود البابلى، والسريانى، والمندعية، وما عداها فهو غربى . ومع ذلك فالواقع أن الخلاف بين اللهجات الآرامية لم يتخذ شكلاً واضحاً إلاّ فى عصر متأخر، وهو العصر الذى يبدأ تقريباً بظهور المسيحية، وعلى ذلك وجب استبعاد اللهجات الآرامية القديمة لتقاربها، وهى لهجة زنجيرلى، والآرامية التى استعملها الفرس فى دواوينهم، والتى يسميها العلماء الآن بالآرامية الدولية، وآرامية أوراق البردى التى وجدت فى جزيرة الفنتين بأسوان، وآرامية الكتاب المقدس . ونستطيع بعد ذلك أن نقسم اللهجات الآرامية إلى شرقية، وغربية . وأما الشعبة الشرقية فتضم لهجة الرها الآرامية، وكان موطنها ما بين النهرين، وسميت بعد ظهور المسيحية بالسريانية، ولهجة آرامية يهودية بابلية، هى لهجة التلمود البابلى، كان موطنها شمالي العراق، ولهجة الصابئين الآرامية، وهى اللهجة المندعية، وموطنها جنوبي العراق .

أما الشعبة الغربية فتضم دويلتين، لسانهما آرامى، وهما تدمر، والنبط . وقد وصلت إلينا لغتهم عن طريق النقش فقط . وثلاث لهجات أدبية، وهى اليهودية الغربية المقدسة، والجليلية، والسامرية، والملكية، أو الآرامية الفلسطينية المسيحية .

وأقدم ما وصل إلينا من الكتابات الآرامية مستخدم من حفائر " زنجيرلى " وهى عاصمة " مملكة شمأل "، وهى الآن قرية فى سورية الشمالية القريبة من عنتاب شمالى حلب . وترجع هذه الكتابات إلى حوالى القرن التاسع قبل الميلاد وهى للملك بنو ملك سمأل، وابنه بوركوب . وكانت مملكتها خاضعة للآشوريين فى القرن الثامن من قبل الميلاد .

وهناك كتابات وجدت فى نيراب من أعمال حلب، وهى من كتابات القسور كتبت في القرن السابع قبل الميلاد لكاهنى " القمر شنزر بن وأجبر " .

وقد وجدت فى " تيما " بنجد فى شمال جزيرة العرب صورة لكاهن من نقشين أحدهما كبير، والآخر صغير . وثلث النقش الكبير معدوم . وقد جاء فيما بقى سالماً أو آلهة تيما أعطوا كاهن " سلم " مكاناً ومالاً فى بيت سلم للأبد، وأن الصورة صورة الكاهن . وترجع هاتان الكتابتان إلى حوالى القرن الخامس قبل الميلاد .

أما الكتابات الآرامية الدولية ؛ فقد وصلت إلينا من العصر الفارسى نصوص آرامية كثيرة من جهات مختلفة من الإمبراطورية الفارسية، ومنها ترجمة آرامية لكتابة " بهستون " المشهورة التى أمر بكتابتها دارا الأول سنة ٥١٠ ق.م. على جبل عال فى جانب الدرب الذى بين بابل، وهمذان فى موضع اسمه " بهستون " وهى كتابة بالخط الأسفينى فى ثلاث لغات : الفارسية القديمة، والبابلية المتأخرة، والعيلامية . وقد أرخ دارا فى هذه الكتابة حروبه، وأعماله، وتأسيس مملكته، ثم أراد نشرها فى جميع أرجاء الإمبراطورية فأمر بترجمتها إلى الآرامية، وإرسالها إلى جميع الجهات، واكتشفت واحدة منها فى أسوان .

أما آرامية الفنتين ؛ فقد وصل إلينا منها عدد من الكتابات، على أوراق البردى، اكتشفت فى الفنتين بأسوان، ويرجع تاريخها إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وأغلب هذه الكتابات لليهود والآرامية، وكان اليهود يكتبون بالآرامية، وقد وجدت أكثر من ثمانين قطعة من هذه الأوراق تشتمل على مكاتبات، وعقود زواج،وبيع، وقوائم، وتواريخ، وقصص من بينها قصة أحيقار .

أما آرامية الكتاب المقدس فقد كتب بها بعض الأجزاء من أسفار عزرا، ودانيل، وهى تدل على مدى انتشار الآرامية بين اليهود فى عصر الفرس حتى أصبحت عندهم لغة دينية مقدسة . وقد أطلق على آرامية الكتاب المقدس اسم الكلدانية .

هذه أمثلة من أقدم الكتابات الآرامية، وانتهاء العصر الذى نقشت فيه ينتمى الطور الأول للغة الآرامية، وهى الآرامية القديمة، وقد انتهى هذا الطور باستيلاء الاسكندر على بلاد الشرق، وانتشار نفوذ اليونان ولغتهم فيه، وذلك لم نعثر للغة الآرامية على كتابات فى هذه الفترة لأنها كانت لغة العوام فقط .

وبعد انحلال الدولة اليونانية كانت اللهجات الآرامية قد أخذت تتميز بعضها عن بعض، ويأخذ كل منها شكلاً خاصاً . وفى هذا الطور يمكن تقسيم اللغة الآرامية إلى شعبتين : غربية، وشرقية، وكل شعبة منها، تضم عدداً من اللهجات كما قدمنا .

فالشعبة الغربية تشتمل على :

اللهجة التدمرية :

وكانت تدمر – وهى واحة فى صحراء الشام بين دمشق ونهر الفرات – محطاً كبيراً للقوافل، فاكتسبت لذلك مركزا تجارياً ممتازاً وبخاصة فيا بين القرن الأول قبل الميلاد وسنة ٢٧٣م ،حين خربها اوريليوس، وقد عثرنا على عدد من النقوش التدمرية تصور لنا حضارة الأقوام الذين استوطنوا هذه الجهة . وقد وجدت أكثر من النقوش فى تدمر ووجد الباقى فى الكيب – بالقرب من تدمر – وفى إفريقية، وروما، والمجر، ورومانيا، وإنجلترا . وكان أهالى تدمر بدواً من أشراف الآراميين . والغالب أن النقوش

التى وجدت فى إفريقية وفى البلاد الأوربية هى من كتابة التجار، والجنود التدمريين، وأكثرهم من كتابات القبور، والتشريف وهى مكتوبة بلغتين : إما اللاتينية، وهى الأكثر، وإما اليونانية والتدمرية . ولم تكن الكتابة اللاتينية فى أغلب الأحيان إلا ترجمة للكتابة التدمرية، ولكنها كانت تشتمل فى أكثر الأحيان على اسم الصانع الذى قام بعمل النقش . ،

ونستدل من عدد من هذه النقوش ؛ أنه شيد فى مدينة تدمر فى القرن الأول للميلاد معبد عظيم ليحل السماء، يكفى للتدليل على مقدار اتساعه أن نعلم أنه لما خربت تدمر، ونقص عدد سكانها بعد انكسار جيش الملكة الزباء ترك أفاضل الناس بيوتهم، وسكنوا المعبد نفسه، واتخذوا لأنفسهم فيه بيوتاً، وجعلوا بينها أزقة، وسدوا جميع مداخله، إلا واحد اتقاء لغارات البدو . وتعرف من هذه الكتابات أيضاً، أن أهل تدمر كانت لهم قلاع بعيلة، عن المدينة نفسها، فى جانب نهر الفرات لحماية التجارة والقوافل .

اللهجة النبطية :

والنبط قبائل من العرب، وكان ملوكهم من بنى الحارث وأكثر أسماء الأعلام الواردة فى نقوشهم عربية؛ مثل حارثة، ومالك، ومليكة، وجذيمة، وكليبة، ووائل، ووائلة، ومغير، وقصى، وعلى، وعميرة، ويعمر، وكعب، ومعين، وسعد، وسعود، ووهب الله، ويتم الله، الخ ... وقد عرفت مملكة النبط منذ القرن الثالث قبل الميلاد، وازدهرت فيما بين القرنين الأول قبل الميلاد، والأول بعد الميلاد، وكانت عاصمة دولتهم فى وادى موسى بالقرب من معان، وكلنا لا نعرف بالضبط الاسم الذى كان يطلقه النبط عليها لأنه لم يرد فى كتاباتهم، وكان اليونان، والرومان يطلقون عليها اسم (Petea) أي الحَر، أو السَّلع أو السلاع فى بلاد أدوم (أدونيم) جنوب القدس . وقد جاء فى القاموس : وسَلْع فى الجبل الشق . وربما سميت عاصمتهم كذلك لقيامها على جبل شق إلى نصفين

. وكانت قصبتهم الجنوبية الحِجر، وتُعرف الآن باسم مدائن صالح، وهى على سكة حديد الحجاز بين معان والمدينة .

وكان نبط البتراء وبُصرى (أى حوران) هم الصلة بين بلاد العرب، والغرب وكان منهم أحد أباطرة الرومان وهو فيليب العربى (٢٤٤ – ٢٤٩م) وكان للنبط مملكة قوية يخشاها اليهود، وبقية أمم الشام حتى أهل روما، وكان ملك النبط يملك على دمشق فترة من الزمن، ولكنه لم يتخذها قصبة له لبعدها عن محور المملكة، ولما كان أهل روما يخشون أن يزداد فيها نفوذ أحد غيرهم، وخافوا أن يبسط النبط سلطانهم على المشرق كله، أرسل إمبراطور روما جيشاً لمحاربتهم، أمَّر عليه كورنيليوس بلما فخرب مملكة النبط سنة ١٠٦م . وصارت بلاد حيوان التى كانت جزءا من مملكة النبط تابعة لروما، ومع ذلك فقد استمر العرب فى البادية، والحضر يكتبون بالخط النبطى، وبقى مستعملاً حتى فى كتابة اللغة العربية وقد أخذ النبط الحروف الآرامية المفردة، واستعملوها متشابكة، وعنهم أخذ العرب الأبجدية فى الخط الكوفى .

وقد وجدت نقوش نبطية كثيرة فى البتراء، وبُصرى، وتيماء، والحِجر، وفى شرق الأردن، ودمشق، وصيدا وبعض جهات من جبل الدروز، مثل سبع وهى الآن اسم خربة عظيمة قريبة من مدينة القنوات، ومركز السويدات، وكذلك وجدت نقوش فى إيطاليا . وقد وجدت أغلب هذه النقوش فى المقابر، ومنها ما نقش بدقة فوق أبواب المقابر المبنية، ومنها ما خربش على الرخام . أما المنقوشة فقد وجدت أكثرها فى مدائن صالح، وبعضها فى وادى موسى، وفى بلاد حوران . وأما الكتابات المخربشة فقد وجدت كلها فى بلاد حوران، وخطها قبيح .

ونلحق بالكتابات النبطية الكتابات التى وجدت فى أودية طور سيناء، وبخاصة فى وادى المكتب، وهى آخر كتابات نقشت بخط نبطى، ولغة نبطية .

وتضم الشعبة الغربية كذلك ثلاث لغات أدبية كما ذكرنا من قبل وهى :

اليهودية الغربية، المقدسة، والجليلة :

كانت العامة فى فلسطين قد نسيت العبرية، فى زمان المسيح، واتخذت لها لهجة آرامية، غربية، وكان المسيح يحدث تلاميذه ويخاطب العامة بهذه اللهجة، مع أننا نعرف من الإنجيل أنه كان يعرف العبرية . ولم يكن الكتاب المقدس قد ترجم إلى هذه اللهجة فى أول الأمر، فكان الأحبار، يقرأون التوراة فى الصلاة بالعبرية، فإذا أتموا قراءة فصل، قاموا بترجمته إلى الآرامية على السامعين حتى أصبحت هذه الترجمة قسماً من الصلاة، عند اليهود، ثم قاموا بكتابة هذه التراجم مع بعض الشروح، وانتهوا من جمعها، وتصحيحها فى القرن الرابع الميلادى، وتعرف عندهم باسم ترجوم . وكذلك كتب بها المداراشيم، والتلمود الفلسطينى، أو المقدس، وتحتوى هذه الكتب على شرائع اليهود، ونبذة عن أحبارهم المشهورين .

اللهجة السامية :

وقد استعمل الساميون – وهم طائفة قديمة من اليهود – لهجة آرامية غربية، ترجموا إليها التوراة، وألفوا فيها طقوساً، وأشعاراً، وأدعية خاصة بالصلاة . وقد تنازع السامريون مع اليهود وباهى كل منهم صاحبه بأنه على دين بنى إسرائيل الصحيح، ولم يقبل الساميون من الكتاب المقدس إلا أسفار موسى الخمسة، وكانت عندهم بالخط العبرى القديم، ولم يقبلوا الخط المربع الذى استحدثه اليهود بعد الجلاء، فلما دخلت الآرامية فلسطين ترجم السامريون إليها أسفار موسى الخمسة .

وكانوا يسمون لهجتهم بالسامرية، وهى قريبة من اللهجة اليهودية الفلسطينية، ولكنها مضطربة، وليس لها نحو كامل، وقد ضاعت بعد الفتح العربى، وتعلمت العامة اللغة العربية، ولكنهم استمروا فى كتابة كتبهم الدينية، بلهجتهم هذه، بعد أن أصبحت لهجة صناعية، ومختلطة بكلمات شتى من السريانية، والعبرية . ومنذ ذلك

الحين ضعف السامريون، وتناقص عددهم تدريجياً، وهم اليوم قليلون جداً في فلسطين: وفى نابلس ونواحيها.

اللهجات الآرامية الفلسطينية المسيحية أو الملكية:

قلنا أن السيد المسيح كان يخاطب تلاميذه باللهجة الآرامية الغربية. وقد أثبت البحث كذلك أن بعض الأناجيل قد كتبت أولاً باللهجة الآرامية الغربية، ثم نقل بعد ذلك إلى اللغة اليونانية، ولكن الترجمة كانت – مع ذلك – تشتمل على كلمات آرامية، بحروف يونانية، ولكن هذه النسخ من الأناجيل لم تصل إلينا، ولم يصل إلينا غير النسخة اليونانية، وعنها ترجم ثانية إلى الآرامية، والسريانية. وأما كتابات بولس الرسول فقد كتبت باليونانية مباشرَة. وقد أخذ نصارى فلسطين، وسوريا فى ترجمة السريانية للعهد الجديد، فاستعملوها فى كنائسهم، مع بعدها عن لغة العامة، ثم حدث بعد ذلك أن انقسم النصارى إلى نساطرة، ويعاقبة، وملكية، وكان المالكية يخالفون أكثر النصارى الآراميين، ولهذا السبب عدلوا عن كتابة لهجتهم بالخط السريانى، واستبدلوا به خطاً هو إلى حد ما مزيج من الخطوط السريانية جميعها، وكان من أهل فلسطين ملكية فترجموا الكتاب المقدس، إلى لهجتهم، وكانت ترجمتهم حرفية دقيقة، لم يراعوا فيها المعانى، ولا ترتيب الكلمات فى الجملة على قواعد اللغة الآرامية. ولم يبق لنا من كتبهم إلا القليل، وكان إملاؤهم غير واضح، وغير مشكل بحيث يمكن الاختلاف فى نطق كلماته، وهذا هو السبب فى أن هذه اللهجة لم تلق عناية كافية. وقد ظل أصحابهم يتكلمون بها فى فلسطين حتى انقرضت أيام الفتح العربى.

وتختلف لهجات الشعبة الشرقية، عن الغربية اختلافاً واضحاً، إذ أنها تستعمل النون فى صيغة المضارع الغائب بدل الياء، فى اللهجات الغربية، كما نلاحظ أيضاً أن النصوص التى وصلت إلينا من اللهجات الآرامية الغربية قليلة نسبياً، وموضوعاتها متقاربة، وهى فى الواقع ظروف لا تسمح بتحقيق قيمة هذه اللهجات

بالدقة، فى الوقت الذى احتفظت فيه اللهجات الشرقية بمادة أوسع، فالسريانية مثلاً لها أدب غزير متشعب . وتضم هذه الشعبة :

اللهجة الآرامية اليهودية البابلية :

وكان يستعملها يهود العراق الساكنون فى بابل، وما حولها، فى كتب الدين بين القرنين الثانى، والسابع الميلادى، أي إلى أيام الفتح الإسلامى . وقد بقى لنا منها التلمود البابلى، وشرح الكتاب المقدس الذى ألف فى مدارس اليهود فى بابل فيما بين القرنين الرابع، والسادس الميلادى، ويعرف باسم الجمارا . وقد تأثرت كغيرها من اللهجات الآرامية اليهودية العبرية .

اللهجات المندعية :

واسمها مشتق من الكلمة الآرامية (م دّ ع ا) ومعناها المعرفة، ويسمى أصحابها بالصابئين، أو المندعيين، وهم طائفة من القبائل الآرامية كانت تسكن منطقة نهر الأردن، ثم هاجرت منها إلى العراق، وكان أهل حران منهم يسمون أنفسهم ناصوريين، وهم فرقة دينية من العارفين بالله، خلطوا فى تعاليمهم بين مذاهب اليهود، والنصارى، وثنية البابليين، ووثنية الفرس، وأدخلوا عليها أخيراً بعض تعاليم الإسلام . وهم يدعون أنهم على مذهب يحيى بن ذكريا " يوحنا المعمدان "، ولذلك كانوا يغتسلون فى الأردن، كما كان يحيى يغتسل فى الأردن، فما هجروا إلى العراق أخذوا يسمون كل نهر وكل ماء " نهر الأردن " . وقد ذكر القاموس فى مادة صبأ : " والصابئون يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام، وقبلتهم من مهب الشمال عند منتصف النهار . وقال شارح القاموس فى الحاشية : " وفى التهزيب هم قوم يشبه دينهم دين النصارى، إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب . ويزعمون أنهم على دين نوح وهم كاذبون، وقيل هم عبدة الملائكة، وقيل هم عبدة الكواكب كما فى البيضاوى " .

وهم يزعمون أيضاً أنهم أهل المعرفة من النصارى، وأن عندهم معرفة خاصة عن الأشياء الدينية، والروحانية، ولكنهم فى الواقع لم يكونوا نصارى بل كانوا

يعترضون على النصارى، واليهود، فحاربتهم الكنيسة، كما حاربهم اليهود . والعماد أو الغطاس مهم جداً فى دينهم، وهم يعظمون يوحنا، ويدعون أنه المسيح الحقيقى، وأن عيسى ادعى النبوة، وعندهم كتاب يوحنا .

وكتبهم الباقية كلها دينية، وعددها قليل، وأهمها كتاب كنز الكبير . وفيه أجزاء أخذت من اليهود، والنصارى، والإسلام، ومن قول أهل المعرفة، ويظهر من هذا أنهم بدأوا بجمع رواياتهم، وطقوسهم الدينية، بعد فتح المسلمين للعراق، لكي يعدوا أنفسهم من أهل الكتاب . وقد ضاعت كل كتبهم التى ترجع إلى ما قبل الإسلام . أما العصر الذى ألف فيه ما تبقى من كتبهم فغير معروف على التحديد .

وللغة المندعية منزلة خاصة بين اللغات الآرامية، فهى اللهجة الوحيدة التى لم تتأثر بأى مؤثر خارجي، ولذلك فإنها تعد آرامية خالصة، بينما تأثرت اللهجات الأخرى بمؤثرات خارجية شتى .

ولا يزال المندعيين بقية باقية حتى اليوم، ويعرفون باسم الصبأ، ويسكنون بطائح البصرة، ويقيم بعضهم فى بغداد، ويعمل أكثرهم فى نقش الفضة بالصور، والرسوم، وهم متمسكون بدينهم، ويتكلمون العربية، والفارسية .

لهجة الرها (السريانية) :

وهى اللهجة الآرامية التى كان موطنها ما بين النهرين، فى الإقليم الذى كانت عاصمته مدينة الرُّها، وأرفة كما كان العرب يسمونها، وهى التى يعرفها الفرنجة باسم Idesse (إدسًّا) وكانت تحكمها فى العهد السابق لظهور المسيحية أسرة عربية، يدل على ذلك أسماء ملوكها : أبجر، ومعين، ووائل، فلما ظهرت المسيحية، وانتشرت فى هذا الإقليم، واتخذت لغته لغة أدبية لها، كره أصحابه أن يطلق عليهم اسم الآراميين، وأن يطلق على لغتهم اسم اللغة الآرامية، ورأوا فى هذه التسمية مرادفاً للوثنية، والإلحاد، فعدلوا عنه إلى الاسم الذى أطلقه عليهم اليونان وهو " السريان " وسموا لغتهم " السريانية " .

وليس من شك فى أن السريانية قد استفادت كثيراً من اتخاذ المسيحية لها لغة أدبية، فانتشرت فيما بين النهرين، ثم اتجهت فى طريقها ناحية الشرق، وكان تسربها إلى الغرب ضئيلاً جداً : ذلك أن اللغة اليونانية كانت منتشرة فى الغرب، وكانت أنطاكية (فى شمال سوريا) معقلاً لها . ولم تتمكن اللغة السريانية من دخول فلسطين لأن النزاعات الدينية والسياسية التى كانت قائمة بين سكانها، وبلاد ما بين النهرين، قد حفزت الفلسطينيين المسيحيين إلى النهوض بلهجتهم، وجعلها لغة أدبية، ودخلت السريانية مصر، ولكن فى الأديرة، وبين رجال الدين، وبخاصة فى الإسكندرية وكانت هناك صلات بين كنيسة الرها والكنيسة المسيحية فى جنوب فرنسا، وهاجر إلى فرنسا كثير من السريان فى عهد القيصرية الأول حوالى سنة ٨٠٠ للميلاد .

أما فى الشرق ؛ فلم يكن هناك ما يمنع من انتشار اللغة السريانية ؛ فقد كانت لغة الكنيسة المسيحية فى الشرق تتبعها أينما حلت، كانت لغة المسيحية فى فارس، وحملها المبشرون من النساطرة معهم إلى بلاد التركستان، والهند حتى بلاد الصين . وكانت اللغة السريانية لغة المسيحيين فى المملكة الساسانية كما ذكرنا، وبها درس الطب، والعلوم الطبيعية فى مدرسة جند يسابور، وغيرها من مدارس السريان فى البلاد الفارسية .

وقد دون السريان كتبهم بعدة أنواع من الخطوط، وكان أقدمها مدوناً بالخط الأسطرنجيلى، ويفسر بعضهم معناه بخط الإنجيل، ويفسره الآخرون بالخط المستدير فلمّا انقسم السريان إلى نساطرة، ويعاقبة، وملكية ابتدع كل فريق منهم لنفسه خطاً، ومع ذلك فقد ظل الخط القديم مستعملاً وصارت المؤلفات تكتب الخطوط الأربعة : الأسطرنجيلى، واليعقوبى وكان يطلق عليه اسم السرطا (أى الذى يكتب بسرعة) والنسطورى والملكى، والخط الأخير مستخرج من الخطوط الثلاثة السابقة .

وقد ألف السريان فى لغتهم هذه فى جميع الفنون، والأدب التى كانت معروفة فى أيامهم، ولكنهم لم يكونوا منشئين، أو مبتدعين، لم ينبغوا فى العلوم، ولا فى الفنون،

بل ولم ينبغوا فى الحرب، وكان ينقصهم فطنة العرب، وذكاؤهم، لم تنجب صوامع الرها، وقنسرين، ونسيبين وغيرها أحداً كالفارابى، أو ابن سينا، أو ابن رشد، ولكنهم مع ذلك أجادوا التلمذة اليونانية فهضموا ما تلقنوه عنهم، ثم نشروه فى لغتهم، كما هو أو مع زيادة طفيفة، وإليهم يعود الفضل فى نقل تراث اليونان إلى العرب، فالعلم مدين لهم بهذه التراجم الدقيقة لعدد عظيم من أمهات المؤلفات اليونانية القيمة، والتى لولاها لضاعت هذه المؤلفات، يضاف إلى ذلك عدد من السجلات، التاريخية المتواضعة التى خلفها يوحنا الأفيزوس، وديونسيوس التلمورى، ويوشع العمودى، وميخائيل السريانى، وابن العبرى، وهى سجلات تستحق كثيراً من الثناء، إذ بدونها ما استطعنا أن نصل إلى كل ما وصلنا إليه من معلومات، عن تاريخ الكنيسة، وعن كثير من الحوادث السياسية التى وقعت أثناء حياة المؤلفين .

والمعروف أن الأدب السريانى قد أثر تأثيراً كبيراً فى الأدب العربى، وذلك أن العرب حينما ابتدأوا يهتمون بالعلوم، والفلسفة اليونانية، وحاولوا نقلها إلى لغتهم كانت الترجمة السريانية هى الواسطة فى هذا النقل، وأكثر المترجمين المشهورين مثل حنين بن إسحاق، وابنه إسحاق بن حنين، وجيش ابن الأعصم، ويحيى بن البطريق، ويحيى بن عدى، وابن زرعة كانوا ينقلون عن السريانية .

ومع ذلك، فقد يكون من عدم الإنصاف، أن نصف السريان عامة بأنهم لم يكونوا منشئين، أو مبدعين، فنحن نعلم أن أهل حران منهم من قد نبغوا فى الفلك، وغيرهم من العلوم الطبيعية، وألفوا فيها، فقد وصل إلى أيدينا من هذه الفنون كتاب قوانين البلدان لإبن ديصان، والراجح أن غيره من السريان قد ألَّف فى فنون أخرى، ولكن الجهل الذى كان يسيطر على الجيل الأول من المسيحية دفعه إلى بعض هذه الفنون الأدبية، وزهده فيها، وحبب إليه أن يقنع بالكتب الدينية، ولذلك فقد عمد هذا الجيل إلى إتلاف الكتب غير الدينية، ومن هنا لم يصل إلينا إلا الكتب الدينية، والكتب التى لا تتعارض مع المسيحية .

أما عن أسلوب الكتابة السريانية فقد كان المؤلفون متأثرين بأسلوب الكتاب المقدس، وكثرت فى كتاباتهم الإصطلاحات، والإستعارات المستقاة من الكتاب المقدس، وطبعت بالطابع الدينى، للسبب الذى أشرنا إليه، من قبل، من جهة، ولأن الكثرة المطلقة من الكتَّاب كانت من رجال الدين من جهة أخرى .

وقد اختلط اليونان بالسريان إختلاطاً كبيراً، ولذلك فإن من المؤكد أن الأساليب اليونانية كانت – تبعاً لذلك – ذات أثر فيما وصلت إليه اللغة . فقد حاكى السريان الأبنية اليونانية فى بعض كتاباتهم، وقلدوهم فى طريقة استعمال الكلمات، بل إنهم نقلوا إلى لغتهم كثيراً من الكلمات اليونانية، كما فى كتاباتهم .

وظلت السريانية مزدهرة حتى فتح العرب بلاد السريان، ومنذ ذلك الحين أخذت اللغة السريانية تضمحل، وتحل محلها اللغة العربية، واختلفت لغة العامة من السريان عن لغة الكتابة، فظهرت الحاجة إلى وضع علم النحو، وابتداع طرائق لضبط الكلمات، وتأليف معاجم للسريانية، والعربية، وبدأ الشعر العربى يؤثر فى الشعر السريانى، فظهرت فيه القوافى، ولم تكن معروفة فيه قبل ذلك . ولكن سرعان ما اضمحل الشعر السريانى، وأصبح أشبه بكلمات تُستخرج من قاموس لتُصفَّ إلى جوار بعضها . وأخيراً دالت اللغة السريانية، كلغة للتخاطب، وبعد أن كان أكثر الأطباء المسيحيين الذين جاءوا من جند نيسابور في مطلع العصر العباسى، لا يحسنون العربية، أصبح الأطباء وكل من له عناية بالتراث اليونانى، أوله رغبة فى معرفة علوم الأوائل محتاجاً إلى تراجم عربية، ولم يبق للسريانية أثر إلا عند بعض المثقفين الذين ثابروا على استعمال هذه اللغة فى تأليفهم، وخاصة فى الكنيسة .

ثم صحت اللغة صحوة الموت، فى القرنين الثانى عشر، والثالث عشر للميلاد، على يد عدد من الكتاب المشهورين كابن الصليبى، وميخائيل، والكبير، وابن العبرى، وتبدلت الحالة فى هذه الفترة، فبعد أن كانت الكتب تترجم من السريانية إلى العربية فى صدر الإسلام، أصبحت الكتب تترجم من العربية إلى السريانية فى هذه

الفترة، وإذا بابن العبرى، ومعاصريه يترجمون كتب ابن سينا، والفخر الرازى، وأضرابهما من فلاسفة المسلمين من العربية إلى السريانية .

ونهاية القرن الثالث عشر انقرض استعمال اللغة السريانية تقريباً، ولم يبق منها اليوم إلا بعض بقايا فى بعض نواحى العراق الشمالية، فى عدد من البلدان فيما بين بحيرة أورميا، وبحيرة فان حيث يقيم بعض النصارى من النساطرة ويسمونهم بالآشوريين . وفى شمال الموصل حيث يوجد بعض آلاف من اليهود يعيشون على فلاحة الأرض . وفى طور عابدين ؛ وهى نواح جبلية فى البلاد الفارسية، حيث يقيم بعض اليعاقبة . وفى ثلاث من مدن سوريا منعزلة بعضها عن بعض : الأولى مسيحية وهى معلوله . والثانيتان سكانها من المسلمين ؛ وهما جبّعدين وبخعة . ولكن لهجات هذه البلاد تختلف كثيراً عن اللهجات القديمة، إذ أنها جاورت جهات تأثرت بلهجات تركية، وعربية، وفارسية، وأردية، ومن أهم هذه اللهجات لهجة " الفلليخى " وهى لهجة يتكلم به قرب الموصل، ولهجة طور عابدين، ولهجة بحيرة أورميا، وكلها لغات يتكلمها غير المثقفين، وليست لغات تأليف، غير أن المبشرين الأمريكيين قد اجتهدوا فى القرن الماضى فى استخدام هذه اللهجة فى الكتابة، فترجموا إليها بعض الكتب، وخاصة الإنجيل، وألقوا فيها بعض الكتب – كما يفعلون منذ قرون فى اللهجات الحامية الموجودة فى جنوب السودان – ولكن هذه الحركة قد فشلت .

وقد يكون من الأمور الطبيعية أن نتساءل بعد ذلك : متى بدأت العناية بدراسة الأدب السريانى ؟

الأمر الذى لا شك فيه أن الأدب السريانى لم يدرس دراسة منتظمة، إلا منذ القرن الثامن عشر حين بدأ يوسف سمعان السمعانى الماردنى المتوفى سنة ١٧٦٨م يكشف عن أهمية هذا الأدب بما نشره فى كتابه " المكتبة الشرقية " (طبع فى روما فيما بين سنتى ١٧١٩ و ١٧٢٨م) من تراث الأدب السريانى، عن مخطوطات نقلها من دير السريان بوادى النطرون .

ومع ذلك، فإننا نستطيع أن نقول أن الشرقيين بدأوا فى دراسة الأدب السريانى، منذ النصف الأخير من القرن السادس عشر الميلادى، نلمح ذلك فى كتابات موسى المردينى اليعقوبى، وفى الجهود التى بذلت فى إحياء النحو السريانى، بعد ذلك بقليل فى القرن السابع عشر .

وقد قامت هذه النهضة بوجه عام على أكتاف الموارنة من السريان، وكان على رأسهم عائلة السمعانى، التى كان لها شرف تخريج علماء أوربا، الذين أغنوا الأدب بما أخرجوه من المخطوطات السريانية، ولم تكن هذه المخطوطات قد كثرت بعد، وقد أوقف السمعانى على مكتبة الفاتيكان مجموعة نفيسة من المخطوطات السريانية، التى نقلها على عدة دفعات من دير السريان بوادى النطرون . وقد قام علماء الغرب بعد ذلك بنشر نفائس الكتب فى هذه اللغة .

ولم يكن قد طُبع فى ذلك الحين من فهارس المخطوطات الشرقية المحفوظة بالمكتبات العامة سوى فهرس مخطوطات الفاتيكان الذى أعده يوسف سمعان السمعانى، واصطفان عواد السمعانى، وفهرس مكتبة لورانتين فى فلورنسا ؛ الذى وضعه أصطفان عواد سمعان . ولم تكن هذه المكتبات تشتمل – فى ذلك الحين – إلا على قليل جداً من المخطوطات السريانية، ولكن هذه المكتبات أخذت – فى القرنين الأخيرين – تبذل جهوداً متواصلة لاقتناء المخطوطات السريانية. حتى تجمَّع لدى كل منها مئات من هذه المخطوطات . وكان حظ المتحف البريطانى منها عظيم جداً، فقد استطاع أن يحصل على مجموعة ضخمة من هذه المخطوطات كانت نُواتها مجموعة من مخطوطات دير السريان بوادى النطرون، كما عملت هذه المكتبات على أن تضع فى متناول الباحثين فهارس وصفية تحليلية كاملة قام بإعدادها، ونشرها عدد من أعلام المستشرقين . وقد وضعت عدة مؤلفات فى تاريخ الأدب السريانى .

بعض الألفاظ المتشابهة فى القرآن الكريم بالآرامية :

ولما ظهر الإسلام بنوره على المشرق العربى، ونزل القرآن المجيد على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لاحظ فقهاء اللغة وجود ألفاظاً أجنبية فيه عن اللغة العربية، ولا يغير ذلك من عربية القرآن الكريم . ونحن نؤمن بما نزل فيه من آيات تشير إلى ذلك " وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ... "، (سورة الرعد، الآية ٣٨)، " ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر، لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين " (سورة النحل، الآية ١٠٣) وكذلك سورة يوسف، الآية ٨، وسورة الشعراء، الآيات ١٩٣ – ١٩٥ وسورة طه، الآية ١١٣ وسورة الزمر، الآية ٢٨، وسورة الشورى، الآية ٧، وسورة الزخرف، الآية ٣، وسورة فُصِّلت، الآية ٤٤، وسورة الأحقاف، الآية ١٢ . فهل معنى ذلك أن الـ" ٧٧٩٣٤ " كلمة المشتمل عليها القرآن الكريم كلها عربية قرشية . ليس من شك فى أن بينها كلمات قليلة من أصل غير عربى .

أخرج ابن جرير بسند صحيح عن أبى ميسرة، التابعى الجليل قال :" فى القرآن من كل لسان " . وذكر السيوطى فى هذا الباب عن ابن النقيب قوله " من خصائص القرآن على سائر كتب الله تعالى المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم، لم ينزل فيها شئ بلغة غيرهم، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب، وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم، والفرس، والحبشة شئ كثير " .

والآرامية كما سبق أن بينا تُشارك العربية الفصحى فى أن أصل اللغتين واحد، والسريانية هى القنطرة التى مرت عليها علوم اللغة الآرامية إلى اللغة العربية . وإلى القارئ الكريم بعضاً من ألفاظ وردت فى القرآن الكريم لها أصل فى الآرامية .

١. " أب ": التى جاءت فى الآية ٣١ من سورة عبس . وهى تعنى (ثمرة) (آبو) فى الآرامية . ويعطيها المفسرون والشراح معنى المرعى . فيقول الجوهرى فى الصحاح الجزء الأول ص ١٨٦ (الأب : المرعى) . ويقول الزمخشرى " والأب المرعى لأنه يؤب أي يؤم وينتجع والأب والأم " (الكشف الجزء الرابع ص ١٨٦)

وذكر جرجى زيدان " و(أبنو) كانت تدل فى اللغة السامية الأصلية على الثمرة عموماً، ومازالت تدل على ذلك فى اللغة الآشورية والآرامية . أما فى العبرية فقد أدغمت النون فى الباء وعوض عنها بالتشديد فصارت آبَّة، بتشديد الباء ... ثم شقوا من هذه اللفظة فعلاً فقالوا : أبب بمعنى أثمر، وأما فى السريانية فقد أصاب هذه اللفظة ما أصابها فى العبرانية، وصارت (أبا) وهى تدل عندهم على الفاكهة كالتين، والبطيخ، وأما العربية، فقد حدث نحو ذلك ولكن الأب صار عندهم للدلالة على الكلأ والمرعى، أو ما أنبتت الأرض وقالوا : الأب للبهائم كالفاكهة للناس " .

هذا وجدير بالذكر أن كلمة (أب) العربية والتى تعنى الوالد، هى فى الآشورية (أبو) وفى العربية (أب)، وفى الآرامية (أب)، وفى لغات جنوب الجزيرة والحبشة (أب).

٢. " أفك ": ينطقونها فى الآرامية هفخ Hfakh وهى تعنى (الكذب) . وردت فى القرآن الكريم فى سورة العنكبوت آية ١٧، وفى سور أخرى عدة . وقد استخدمت فى صيغ كثيرة .

٣. " آمن " : وتقرأ فى الآرامية هيمن Haymen . ومعناها فى الآرامية صدق، حقيقة، أوحاها الله تعالى . وردت فى القرآن بصيغ مختلفة (آمن وردت ٣٣ مرة، آمنت وردت مسندة للمؤنثة الغائبة خمس مرات، آمنت وردت مسندة للمتكلم ثلاث مرات، آمنتم وردت عشرة مرات، آمنا وردت ٣٣ مرة، آمنوا وردت ٢٥٨ مرة، يؤمن وردت ٣ مرات، تؤمنوا وتؤمنون وردت ٢٠ مرة، نؤمن وردت ١٣ مرة، لتؤمنوا وردت مرة واحدة، ويؤمنون وردت ١٠٥ مرة) .

٤. " بارك " : بمعنى سبَّح فى الآرامية بارخ Barekh . وردت بكثرة فى القرآن الكريم، فمثلاً فى سورة الأعراف آية ٥٤ .

٥. " بعير " : وتكتب فى الآرامية بعيرو Biro . وتطلق فى اللغة العربية على الجمل، والناقة بلا تمييز . ومعناها فى الآرامية (كل دابة تحمل أحمالاً أو تجر مركبة) ولم ترد هذه الكلمة فى القرآن إلا فى سورة يوسف، آية ٦٥ .

٦. " بقعة " : وتكتب فى الآرامية فقعتو Foa' to، ومعناها فى الآرامية حقل أو سهل . وجاءت فى القرآن الكريم فى سورة القصص آية ٣٠ . ولم ترد فى القرآن إلا هذه المرة. وتقرأ فيه بالفتح والضم . وهى " القطعة من الأرض على غير هيئة التى إلى جانبها ". وتدل فى العبرية أيضاً على قطعة أرض .

٧. " بيت " : وهى من الفعل الآرامى (بوت Bot) بمعنى أقام فى المكان . وهى فى الآشورية (بنو)، وفى العبرية (بيت)، وفى الآرامية (بيتا)، وفى لغة جنوب الجزيرة والحبشة (بيت) . وردت ٦٩ مرة على صيغ مختلفة فى القرآن المجيد . وقد جاءت فى أسماء دويلات كثيرة آرامية مثل بيت زمانى، وبيت أدينى .

٨ " بيع " : جاءت فى الآرامية بيعتو Bi' to تدل على قبة كانت فى كثير من الكنائس القديمة، وجاءت فى سورة الحج الآية ٢٠، ومعناها باللغة العربية المكان الذى يتعبد فيه النصارى .

٩. " التبار " : وردت فى علة آيات من القرآن الكريم، منها ما جاء فى سورة الفرقان آية ٣٩ " وكلاً ضربنا له الأمثل وكلاً تبرنا تتبيرا " وغيرها (سورة الأعراف آية ١٣٩، والإسراء آية ٥٨ ونوح آية ٢٨ . ويفسرها الزمخشرى بقوله " والتتبير التفتيت، والتكسير، ومنه التبر وهو كسار الذهب، والفضة، والزجاج " . وتبره مأخوذة من الآرامية Tabar . ومنها كما قال الزمخشرى هو كسار الذهب، والفضة، والزجاج الذى أتى من اللفظة الآرامية تبرو Tebro وقد جعله جلال الدين السيوطى من اللغة النبطية .

١٠. " تجارة " : وتدل فى الآرامية، فى أول عهدها على بـائع الخمـر تجـارو Tigaro وردت فى تسع آيات فى القرآن الكريم، البقرة آية ٢٨٢، النساء آية ٢٩، التوبـة آيـة ٢٤، النور آية ٣٧، فاطر آية ٢٩، الصف آية ١٠ .

١١. " تنور " : تتألف فى الآرامية من قطعتـين بيـت Beyt ولفظـة نـورو Nouro الدالة على مكان النار . وركبت تركيبا مزجيا، لا يختلف عن التركيب المزجـى فـى اللغة العربية . وهكذا تكون تنورو Tanouro فى الآرامية . وقد وردت فـى سـورة هود آية ٤٠، والمؤمنون آية ٢٧، وقال المفسرون " أن التنور؛ وزنه تفعول من النار " . وردت مرتين فى قصة نوح فى القرآن الكريم .

١٢. " تين " : جاءت فى الآرامية تينو Tino وردت فى سورة التين فقط .

١٣. " مثقال " : جاءت فى الآرامية متجولـو Matgolo بـهذا المعنـى . ووردت فـى القرآن الكريم : النساء آية ٤٠، يونس آية ٦١، الأنبياء آية ٤٧، لقمان آية ١٦، سبأ آيـة ٣، ٢٢، الزلزلة آية ٧، ٨ . " معنى مثقال الشئ : ميزانه من مثله " أو " ما يـزن بـه وهو من الثقل .

١٤. " ثم " : وتنطق فى الآرامية ثمون Tamon وتدل على المعنى الذى تـدل عليـه فى العربية " هناك " . وقد وردت فى القرآن الكريم أربع مرات : منها فى البقـرة آية ١١٥ " ولله المشرق والمغرب، فإينما تولـوا فثـم وجـه الله "، والشـعراء آيـة ٧٤، والإنسان آية ٢٨، والتكوير آية ٢١ . وينطقونها فى العبريـة سمـه Sammah وقلبـت الثاء الآرامية أو السامية إلى سين .

١٥. " ثوم " : وردت فى البقرة آية ٦١، ويقرأها ابن مسعود وعلقمة وابـن عبـاس بالثاء، وتقرأ فى اللغة الآرامية " تومـا " . وتقـرأ فـى العبريـة " شـوم " . وفـى الآشورية بابلى " شومى " وفى لغات جنوب الجزيرة والحبشة " سومات " .

١٦. " جبار " : وردت فى القرآن الكريم : هود آية ٥٩، إبراهيم آية ١٥، غافر آية ٣٥، وتقرأ فى الآرامية جبورو Gaboro ومعناها متسلط، متكبر، عات، قدير .

ولأن الرجل يمثل القوة، سماه الآراميون Gabro . وهى التى أعطت اللغة العربية اللفظتين جبروت Gaborouto وتكبر Etgobar . وأن لفظة Gabre التى تعنى الرجل فى الآرامية أو الرجولة هى التى تعنيها الكلمة الفرنسية Virilite أي الخصوبة .

١٧. " أجتبى " : وردت فى القرآن : طه آية ١٢٢، القلم آية ٥٠، مريم آية ٥٨، الأنعام آية ٨٧، آل عمران آية ١٧٩ وغيرها من الآيات . ومعناها فى العربية كما فى الآرامية (اختار) " Gbo جبو " . كما تدل على فعل (جمع) . واستعملت مع لفظة الخراج . وجعلت أصحاب المعاجم هذا الفعل ناقصاً يائياً . وهو فى الآرامية من ذوات الواو .

١٨. " جاسوس " : ولم ترد فى القرآن الكريم إلا مرة واحدة، فى سورة الحجرات آية ١٢ وينطقونها فى الآرامية جشوشو Gochoucho . ويذكر المفسرون أن بعض القراء بقلبون جيم " تجسوا " حاء . والمعنيان متقاربان . وذكر الأصفهانى " أصل الجس من العرق، وتعرف نبضه للحكم على الصحة، والسقم، وهو أخص من الحس فإن الحس تعرُّف ما يدركه الحس، والجس تعرُّف حل ما من ذلك، ومن لفظ الجس أشتق الجاسوس " .

١٩. " جو " : وردت مرة واحدة فى القرآن الكريم، فى سورة النحل آية ٧٩، بمعنى (جوف) وتدل فى بعض العامية على معنى الداخل حينما نقول (كنت جو الدار أى داخل الدار) وهذا هو معناها الأصلى فى الآرامية التى تنطقها جو Gawa (وجوانى عكس برانى فى حالة النسبة) . أما فى العربية الفصيحة، فهى تدل على الفضاء حين تكون مضافة، خصوصاً فى استعمالاتنا الحديثة، وبذلك تبتعد عن معناها فى الآرامية . أما فى الآية القرآنية " ألم يروا إلى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون " فهى عنا تدل على (جوف) المعنى الأصلى الوارد فى الآرامية .

٢٠. " حرب " : وردت فى القرآن الكريم : البقرة آية ١٧٩، المائدة آية ٦٤، الأنفال آية ٥٧، محمد آية ٤ . كما وردت بصيغة حارب، المائدة آية ٢٣ . وبصيغة المضارع غير هذا الموضع . وجاءت فى الآرامية حربو Harbo دالة على السيف، والخراب، وللتدمير، والقتال .

٢١. " حصن ": جاءت فى القرآن الكريم ثمانية عشر مرة، فى معان سامية سواء مجازية أو حقيقية. وأصلها فى اللغة الآرامية حصن Hesn يعنون بها "مكاناً قوياً" . والحصن فى الآرامية ينطق حصنو Hesno والحصن قوة، وأن القوة مناعة، والحصن هو المكان الذى يتقى به .

٢٢. " حنان " : وردت فى القرآن الكريم مرة واحدة فى سورة مريم آية ١٣ . وهى فى الآرامية كما فى العربية تدل على الرحمة، فهى عندهم Hanono وفى العبرية أيضاً Hanon وهى موجودة فى سائر اللغات السامية على وجه التقريب .

٢٣. " خرطوم " : جاءت فى القرآن فى سورة القلم آية ١٦ . ليس ببعيد أنها من لغة مذحج كما جاء فى السيوطى، وتنطق فى الآرامية Hartoumo خرطومو بمعنى (الأنف) .

٢٤. " خمر " : وردت فى القرآن الكريم ست مرات : البقرة آية ٢١٩، والمائدة آية ٩٠، ٩١، محمد آية ١٥، يوسف آية ٤١، أصلها من الآرامية حمرو Hamro .

٢٥. " خنزير " : وردت فى القرآن الكريم أربع مرات، البقرة آية ١٢٣، المائدة آية ٣، وجاءت فى الآرامية حنزيرا . وفى العبرية حزير، وفى لغات جنوب الجزيرة والحبشة " جنزير "، وفى الآشورى البابلى خنسر .

٢٦. " خياط " : جاءت فى سورة الأعراف، الآية ٤٠ على هذه الصيغة مرة واحدة فى القرآن الكريم كله و " خيط " وردت مرتين فى سورة البقرة آية ١٨٧ . وتنطق بهذا المعنى فى الآرامية حيوتو Hayoto .

٢٧. " دار " : وردت فى القرآن الكريم أكثر من ٤٧ مرة وتنطق بهذا المعنى فى الآرامية ديرو Dayro .

٢٨. " الطور " : جاءت فى سورة المؤمنون آية ٢٣ " وشجرة تخرج من طور سيناء " . وفى قوله " والطور وكتاب مسطور " سورة الطور آية ٥٢ . وهو الجبل بالسريانية . وقال ياقوت : لا يسمى طوراً حتى يكون ذا شجر . ولا يقال للأجرد طور . ويقال لجميع بلاد الشام طور . وبلسان النبط كل جبل يقال له طور . وقد استخدمت الكلمة فى سفر الخروج بمعنى طبقة من الحجارة (الخروج ٢٨ : ١٧) . وفى سفر دانيال بمعنى الجبل، فى السريانية (طور رب) (دانيال ٢/٢٥) أى جبل عظيم . والكلمة آرامية فى الأصول السامية، وقد احتفظت العربية بصورتها الآرامية أى بمجيئها بحرف الطاء . والمعروف أن " الطاء " فى الآرامية تقابل " الظاء " فى العربية وكان حقاً أن تكون " ظور " كما نقول " نظر " فى العربية، وفى السريانية (نطر) .

ثانياً : الألفاظ المتشابهة فى السريانية والعربية :

قام الأب مار أغناطيوس يعقوب الثالث عام ١٩٦٩م بجمع الألفاظ المتشابهة فى السريانية، والعربية، وقبل أن يعرض على قرائة الألفاظ المتشابهة . ذكر أن فى الأبجدية السريانية اثنين وعشرين حرفاً . ازدوج لفظ ستة منها وهى الباء والجيم (المصرية) Gamel، الدالة، الكاف، الباء (P الإفرنجية)، والغين، الذال، الخاء الفاء، الثاء . ويتميز بنقطة صغيرة ترسم تحت الحرف . ويعرف الأول باصطلاح اللغويين السريانيين بـ (القاسى) والثانى بـ " اللين " .

ومن مميزات اللهجة السريانية الفصحى الشرقية لفظها حرف الفاء قاسياً على الإطلاق، كحرف الـ V إفرنجى، ما عدا بعض ألفاظ قليلة فنلفظها كالواو بدلاً من الفاء خطأ . بل تلفظ حرف الـ P (الباء اللين) أيضاً كالواو .

ومن مميزات اللهجة السريانية الفصحى الغربية أن لفظ الأول ليناً على الإطلاق أى فاء . أما الثانى فقد أهملت إلا قليلاً . وكلا الأمرين خطأ لا مبرر له . وأما الألفاظ التى دخلت العربية عن طريق هذين الحرفين فقد انقلب فيها الأول إلى باء والثانى إلى فاء أو واو .

ومن مميزات اللهجة الشرقية أيضاً، استعمالها الشدة كما فى العربية، وهذه الشدة موجودة منذ العصور القديمة، لدى بعض القبائل السريانية فى العراق .

ففى النون : Nanna بدلاً من منا، المن Anba " الأنبا " بدلاً من Abba " الأب " ولا تزال الكنيسة القبطية فى مصر تستعمل " الأنبا " لأسقفها، وبطاركتها Anbouba " الأنبوب " بدلاً من Abbouba " الأنف والوجه " Anfe بدلاً من Affe ، Ganza " الكنز " بدلاً من Gazza . هذا ولا يزال الكتاب المندعية " الصائبة " يسمى بـ " الكنزا " Ganza .

Gunda " الجند " الجوقة، والفرقة بدلاً من Gudda، ومازالت هذه اللفظة مستعملة فى السريانية بمعنى تلجوقة . أما فى العربية فبمعنى فرقة من العسكر .

Hazira بالحاء الخنزير بدلاً من Hazzira . وقد سبق الإشارة إلى هذه اللفظة فى المفردات التى وردت فى القرآن الكريم . Harnouba بالحاء، الخرنوب بدلاً من Harrouba .

Enza بالعين، العنزة بدلاً من Ezza . ولا تزال بنت الظبية تسمى فى العربية العنزة

وفيما يلى بعض الألفاظ التى انتقلت من السريانية إلى العربية عن طريق حرف الجيم:

أ. الجيم التى انتقلت إلى حرف الكاف : Gad كد (الصحيح جد) . Gnaz كنز Sgar سكر (باب، أوصد . سد) .

ب. الجيم التى انقلبت إلى القاف : Urga الأوراق (الذى لونه لون الرمادى) Sibag الزيبق والزئبق .

ج. القاف التـى انقلبـت إلى جيـم Ngal نجـل (الأرض شـقها) . Qubta الجـب (وردت فى القرآن الكريم فى سورة يوسف) . وقد جاءت القاف فى Slaq غينـاً . زلغ، أى أضاء كما هى فى Zlagh السريانية .

الشين السريانية غالباً سين فى العربية . والسين شين . والطاء ظاء، والحاء خاء، والعين غين أو ضاد أو همزة .

وانقلبت أحياناً فى بعض الألفاظ الجيم السريانية إلى غين، مع أنها فى الغالب جيم عربية، والطاء والصاد إلى ضاد، والكاف إلى قاف وبالعكس .

وهناك مشكلة الحروف الأصلية، والنطقية والحلقية إذ اختلف لفظ كثـير منـها فى اللغتين اختلاف الشعوب الناطقة بها، بحيث أصبحت الزاى فى اللغة الواحدة سيناً أو شيناً أو صاداً فى اللغة الأخـرى وبـالعكس، والتـاء دالاً أو طـاءً وبـالعكس، والحـاء والعين أحياناً هاء أو همزة أو ذابتا كلياً .

وهناك ألفاظ أخرى متشابهة، جاءت ذالها السريانية زاياً فى العربية، وثاؤها سيناً وبالعكس . وليس عجيباً أن تقرأ فى السريانية : Zwada بالزاى و Swada بالصاد أى الزيادة . Sapouna بالسين والصاد أى صابون . أما فى العربية فتقرأ : تلعثم وتلعثـم (بمعنى توقف فى الأمر وتأنى . غرس وغرز . لزق ولصق . مرث ومرس (بمعنى تقع فى الماء ولبن) .

وفى صدد الحروف القطعية تقـرأ فـى السـريانية Htar بالحـاء والطـاء و Htar بالحاء والتاء أي خطر، وتكبر . Patca بالطاء Petca بالتاء أي البطاقة . أما فـى العربيـة فتقرأ التمتام والطمطم (الذى فى لسانه عجمة) . أما فى صدد الحروف الحلقية فنقرأ فى العربية مثلاً : حجر وعجز بمعنى حجز .

وإليك بعض الألفاظ التى تخللت الحروف الأملية والنطعية والحلقية :

<u>الأسلية</u> : Buziqa الباشق . Zedaq صـدق، ومنـها Zaddeq صـدق وصـادق وتصدق، Zedqa الصدق (البر) والصديـق، Zedeqta الصدقـة، Zaddiqa الصديـق

(وردت فى القرآن الكريم) .Zahra السهر (القمر) . Mazda السد (الجبل) . وردت فى القرآن الكريم . Nzar نذر (وردت فى القرآن الكريم) . Sgar زجر . Sahsahma بالسين والحاء والصحصحان (ما استوى من الأرض وكان أجرد) . Sandouqa بالسين، الصندوق . Salta بالسين والطاء، الصلت .(السيف الصقيل الماضى) . Sram بالسين، صرم (قطع) Sdar بالصاد، سدر (تحير)، ومنها Sdara بالصاد، السدر، (الحيرة) . Swada بالصاد، الزوادة ومواد الكلام . ومنها Swadaya بالصاد السوادى (العامى) . Slafta بالصاد . السلحفاء. Qamista بالسين، القميص، Qpas بالسين، قبض (ضد مد وبسط) وأسك وأنجز Qafsa بالسين، القفص . Rza رذى هزل . سقم، أثقله المرض، ومنها Razaya الزرى (الضعيف المهزول) .

النطعية : Rdaq بالذال، يثق، Tabah بالطاء والحاء ذبح . Tha بالطاء تاء، Tamtem بالطاء من تمتم . Ntah مد ومنها Netha المدة . Sedra الستر (الحجاب) . Qatya بالتاء، القثاء (تنطق بالعامية المصرية قتاية) . Qatifta الطاء، التطعيفة (المخل) .

الحلقية : Kkaf بالهمزة، عكف . Kukta الكعكة . Manaa بالعين، الميناء Fahem بالحاء، فهم Eqaa بالعين، فقد (قذى العين). Qahaqh بالخاء، قهقه (اشتد ضحكه) . Qrah بالخاء قرع (صلع . سقط شعر رأسه) ومنها Qarha أقرع .

ومن هذا القبيل نقول : Subta بالصاد و Sabouaaz بالصاد و Sabouaa بالصاد والعين . فقد استحالت العين فى اللفظتين الأولين إلى همزة، كما فى الصابئة والصابئين، وذابت كليا فى الثالثة كما فى الصبئة .

أما الألفاظ السريانية التى اختلف تركيبها فى العربية، فهى على سبيل المثال : Burka الكركبة (أن اللفظة السريانية أصح من العربية، إذ يقول : " برك البعير " لا ركب . و" ليس لفلان مبرك جمل " لا مركب) . Beroula البور . Nagra النورج (سكة الحراث) Ammnet بالعين والطاء، وعتم (اصلم) . Safha بالصاد والحاء،

الصفحة (القصعة) .Rahbouna بالهاء العربون . Rthima بالثاء، الأثــرم . المتحكــم الأسنان) . Chaa بالهمزة والعين، عشى (جـــهر، ســاء بصــره) منــها Chteq ســكت . ومنها Chatiqa الساكت .

المصادر والمراجع والهوامش المتعلقة بالباب الخامس :

١. ربحى كمال، دروس فى اللغة العبرية، الطبعة الخامسة، دمشق، ١٣٩١هـ ١٩٧١م .

٢. ذهب معظم المستشرقين إلى أن الصيغة القديمة للفعل إنما هى صيغة الأمر، ثم اشتقت منها صيغة المضارع فى حالة الإسناد للضمير ؛ فمن قم، وعد، وزد، وبع .. اشتق فى – رأيهم – يقوم، يعود، يزيد، ويبيع . وهذا الرأى لا يدل على أن الفعل مشتق من صيغة الأمر، بل كل ما يمكن استنتاجه منه هو أن أقدم صيغة للفعل إنما هى صيغة شبيهة بصيغة الأمر، كانت تستعمل للدلالة على جميع الصيغ ؛ فى الماضى، والمضارع، والأمر .

٣. تذكر التوراة أن لإبراهيم من قطورة أم ولده، منها بنو مدين، وأن اسحاق كان له ولدان : يعقوب واسمه إسرائيل، وعيسو واسمه أدوم، وأن يعقوب ترك اثنى عشر ولداً ينتسب إليهم أسباط بنى إسرائيل الإثنا عشر، ومن ذرية عيسو اليعاد أبو العمالقة .

٤. تتألف القبائل العبرية من بنى إسرائيل، وعدة شعوب أخرى، كبنى آدوم، وموآب، وعمون ولا تطلق العبرية إلا على لغة بنى إسرائيل وحدهم .

٥. فقه اللغة، للدكتور على عبد الواحد وافى، ... ...

٦. الآداب السامية، للأستاذ عطية الأبردشى،

٧. عبد الحميد زايد، " نظرات عابرة على العلاقات بين لغات الشرق الأدنى القديمة " عالم الفكر، المجلد الثانى، العدد الرابع، يناير / فبراير / مارس سنة ١٩٧٦م .

٨. د. مراد كامل، د. محمد حمدى البكرى، تاريخ الأدب السريانى من نشأته إلى الفتح الإسلامي، القاهرة ١٩٤٩م .

(ترتيب هذه المصادر والمراجع والهوامش حسب ورودها فى هذا الباب)

موضوعات للمناقشة الحرة:

- أسرة اللغة السامية تُعتبر من أقدم الأسرات اللغوية التى ظهرت على مسرح اللغات العالمى ... ناقش هذه القضية على ضوء ما درست .
- بنى العلماء فرضياتهم لوحدة الأسرة السامية على بعض السمات المفترضة ... عدد هذه السمات فى مقال مختصر ... .
- تشترك مجموعة اللغات السامية فى الكثير من الخصائص ؛ من بينها أدوات التعريف ... هل يمكنك عمل جدول توضح فيه هذه الأدوات، مستشهداً على ما تقول ... .
- إن من عظمة القرآن الكريم أنه يحتوى على العديد من المفردات التى تُرجح أن أصولها غير عربية ... أذكر بعض من هذه المفردات ... مع ذكر الآيات القرآنية التى وردت بها ... .
- تتهم إسرائيل كل مَنْ يختلف معها فى الرأى بأنه معاد للسامية ... هل يمكنك دحض هذا الرأى ومناقشته علمياً ... .
- استخدم المنهج التقابلى بين اللغة العربية، واللغات الأخرى التى درستها ضمن مجموعة اللغات السامية . مركزاً على ما يلى :

أدوات التعريف ... التركيب الإضافى ... ضمائر الملكية ...
الضمائر الشخصية ... المصدر ... الأزمنة المستخدمة، والفوارق بينها ...

الفهرس

الفهـــرس

الباب الثانى
أسرة اللغات الهندو - أوروبية
ومكانة الفارسية والأوردية بينها

الفصل الأول

الفصل الثانى

الفصل الثالث

الفصل الثانى

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الباب الخامس

اللغات السامية ، ومكانة العبرية بينها

الفصل الأول

الفصل الثانى

الفصل الثالث



للطباعة
يسرى حسن إسماعيل
شارع عبد العزيز - الهدارة ٢ عابدين
عابدين ت ٢٩١٠٠٧٥ دار السلام ت ٢٢٠٩١١٨